كرامات الأولياء

بين

المثبتين والنافين

تأليف

الأستاذ الدكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالى

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م



إلى ....

أهل العرفان بالله

أحباب الله ورسوله

الذين قال الله فيهم : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

سورة يونس ٦٢-٦٤

المقدمة

الحمد لله أكرم أولياؤه بمناجاته لهم، وبيّن جل شأنه أنهم الغالبون عنده المقربون منه، الموفون بعهده إذا عاهدوا، ثم هم في الآخرة أهل القربى، وعنده في المقام العالي، قال تعالى : ﴿ألا إنّ أوْلِيَاء اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله بين أن أولياؤه هم أهل العلم به والخشية منه وهم الصديقون الذين آمنوا بالله ورسله وتمسكوا به فلم يتزحزحوا عنه. قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله اصطفاه الله رحمة للعالمين، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣). وبيّن جل شأنه على لسان رسوله أن هذه الرحمة تكون مهداه إلى الخلق من الخالق فيقول الرسول ﷺ : "إنما أنا رحمة مهداه".

---

١) سورة يونس / الآيات ٦٢-٦٤.

٢) سورة الحديد / ٨.

٣) سورة الأنبياء / ١٠٧.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جعله الله نوراً ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (1).

وارض اللهم عن آل بيته الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين وأتباعه الذين هم درة الفخر فوق تاج الرأس ما بقى الدهر إلى يوم الدين.

وأكرم اللهم علماؤنا أهل العرفان بالله رب العالمين، وارحم والدينا وشيوخنا وأكرمنا في أهلينا وأولادنا وبناتنا وذرارينا، واجعلنا يا ربنا عندك من المقبولين انك نعم المولى ونعم النصير.

فإن الحديث عن أولياء الله – تعالى – لا ينقطع أبداً، وأهل الإسلام جميعاً متفقون علىّ أن ما جاء به القرآن الكريم، وما ورد ذكره في السنة النبوية المطهرة يجب القيام به، والاستمساك بما فيه مع، الحرص عليه، وذلك شأن المؤمن بالله لأنه يصدق بما أنزل الله، حتى وإن لم يكن له في فهم ذلك سبب؛ لأن الإيمان بذلك كله، إنما هو إيمان بالغيب، الذي امتدح الله أهل الإيمان به. فقال تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾(2)، أى يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم من البعث والجنة والنار والصراط والحساب وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن أو النبى ﷺ ويؤدون الصلاة على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها وخشوعها وآدابها(3).

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

---

1) سورة المائدة / ١٥، ١٦.

2) سورة البقرة ٢-٤.

3) راجع صفوة التفاسير / الإمام الصابونى / جـ١ / ص٢٢.

الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

فالمؤمنون الكاملون في الإيمان المخلصون فيه إذا ذكر اسم الله فزعت قلوبهم لمجرد ذكره، استعظاماً لشأنه وتهيباً منه جل وعلا، وإذا تليت عليهم آيات القرآن الكريم ازداد تصديقهم ويقينهم بالله لا يرجون غير الله ولا يرهبون سواه، فقد أخبر عنهم باسم الموصول بثلاث مقامات عظيمة وهى : مقام الخوف، ومقام الزيادة في الإيمان، ومقام التوكل على الرحمن فهم المتصفون بما ذكر من الصفات الحميدة وهم المؤمنون إيماناً حقاً لأنهم جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال[2].

بيد أن علاقة الولاية الإلهية[3] بالكرامات الربانية لم تتم دراستها – حسب ما وقفت عليه – دراسة فنية دقيقة، تكشف عن طبيعة تلك العلاقة، كما تحدد مواقف القائلين بها والنافيين، وفى نفس الوقت تكشف وجوه التباين بين خوارق العادات المختلفة، من ثم فقد استخرت الله تعالى أن يكون موضوع تلك الدراسة التي أقوم بها هو :

---

1) سورة الأنفال / ٢-٤.

٢) راجع الإمام الصابونى / صفوة التفاسير / جـ١ / ص٤٩٤.

٣) قصدت بذلك التفرقة بين الولاية الشيطانية والولاية الرحمانية وقد جاء الحديث عنهما في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف / ١٩٦.

وأيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ . المائدة / ٥٥.

وفى الثانية – ولاية الشيطان - : وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴾ النساء / ١١٩،

وقد أفاض في الحديث عن ذلك شيخ الإسلام بن تيمية في كتابه / أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / وأيضاً ابن القيم الجوزية في كتابه / تلبيس إبليس.

"كرامات الأولياء بين المثبتين والنافيين". وسأحاول أن تكون عنايتى في هذا الجانب متعلقة بالكرامات الحسية(1).

وجاء اختيارى لهذا الموضوع لما يلي :

أولاً : أن خوارق العادات قد وقف البعض منها موقف النافي مطلقاً وهم الوضعيون، والماديون والعقليون، بل والطبيعيون أيضاً، لأنهم تصوروا استحالة خرق القواعد الثابتة، ظانين أن الارتباط بين الأسباب والمسببات ارتباط عقلي لا يتخلف بينما هو ارتباط عادى جرت به سنن الله الكونية(2).

ثانياً : أن خوارق العادات إنما تجرى بقضاء الله وقدره، وفيها ما يقع تأييداً للنبي وتأكيداً على كونه مرسلاً من قبل الله تعالى، ولذا أعد الكثيرون المعجزات أهم أدلة إثبات النبوات(3).

ثالثاً : أن خوارق العادات التي تجيء على الصالحين متعددة : منها ما يكون خاصاً به وحده كالفراسة، ومنها ما يكون متعلق الأثر بغيره كالمعونة والمغوثة، ومنها : ما تظهر آثاره مشتركة في المظاهر كالإرهاص، وأهل الإثبات لهم على ذلك أدلة، وأهل النفي أدلتهم تقوم على مجرد شبهات وظنون.

---

1) أما الكرامات المعنوية فسأجعلها في جزء مستقل ان شاء الله تعالى.

2) وما جرت به سنن الله الكونية في الوقائع المعتادة – يجرى مثله في الخوارق العادية على نفس المنحى الذي جاء منه الأول لقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ سورة الأحزاب / ٦٢.

3) وقد عرضت لذلك في صورة موجزة ولمزيد من التفاصيل يراجع الإمام الفخر الرازى / المطالب العالية / الجزء السابع والثامن وكذلك مجموع فتاوى ابن تيمية. والعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم للمرحوم الأستاذ الدكتور / صلاح عبد العليم إبراهيم.

رابعاً : أنى قصدت بجهات الإثبات والنفي هنا للكرامة ما هو قائم عند المفكرين المسلمين وحدهم[1]. إذ هم المعول عليهم في هذه الدراسات التي تجمع بين اتجاه الصوفية من ناحية، وعلماء السلوك معهم، وبين المتكلمين من ناحية أخرى، وذلك ميدان خصيب يحتاج بذل المجهود في خدمته والقيام عليه وبخاصة متى كان المسلم على رغبة شديدة في الوصول إلى نتائج محددة.

خامساً : ان خوارق العادات التي تجيء للتكذيب والتحقير أو بيان الحرفة والحيلة قد اختلف بعض الدارسين في مفاهيمها وطرائق التعرف عليها، ومن ثم رأيت ضرورة تحديد المفاهيم والمصطلحات حتى تكون الغاية واضحة والنتيجة مسلمة، كما أن أنواع الكرامات المتعددة إنما تنهض لأصحابها وفى نفس الوقت فإن خوارق التكذيب قد جاءت دالة هي الأخرى على بطلان مزاعم المنتسبين إليها، وذلك من شأنه أن يثرى البحث العلمي ويقدم خدمة لطلابه أينما كانوا.

سادساً : أن أدلة الإثبات يمكن أن ترجح وأدلة النفي، أما إذا حُملت أدلة النفي على معنى آخر فقد يكون لها شأن، ومن ثم كان من الضروري الوقوف على وجهات النظر في المسألة من خلال العرض الهادئ والتناول الأكثر هدوءاً، لأن هذه المباحث متى جاءت على غير ذلك فإن نتائجها تكون غير مقبولة.

---

١) إذ لم أتناول شيئاً عن منكرى خوارق العادات من الماديين أو الوضعيين لأنهم ينكرون امكانية تخلف السبب عن المسبب لقيام العلاقة بينهما على الحتمية والعلية والضرورة ومن ثم فلا أقصدهم هنا.

* **منهجي في تلك الدراسة :**

حاولت أن ألتزم الموضوعية واستخدام المنهج التاريخي في حدود القضايا والوقائع التي تستلزم الحفر في جبين التاريخ، والبحث أو التنقيب عن طبيعة الفكرة المعروضة، فربما كانت قديمة، ولكنها عرضت بصورة حديثة أو معاصرة، فظن الناظر إليها حدوثها، بينما هي قديمة في طبيعتها، حديثة في عرضها.

كذلك استخدمت منهج العرض والتحليل، لأنه يحتاج مطارحة الأدلة ومحاولة التعرف على طرائق ترتيبها وتركيبها، وذلك من شأنه أن يمهد للنتائج الصحيحة لما هو معروف من أن أى عمل لا يقوم على مقدمات صحيحة فإن نتائجه لا تكون صحيحة، لما هو معروف من أن فاقد الشيء لا يعطيه.

كما أن منهج التحليل يستتبع النقد والموازنة بين الأفكار المعروضة والأدلة القائمة، وذلك عمل علمي خالص، بل اعتبره البعض قمة العمل العلمي لأن طرح الآراء على مائدة النقد يسهم في التعرف على جزئياتها ومحتوياتها وطرائق استخلاص كل جزئية فيها استخلاصاً يقوم على أسس صحيحة.

في نفس الوقت إلتزمت الحيدة والموضوعية، إذ ليس من شأن الباحث المنصف ليَّ الآراء، أو تبنى أفكار مسبقة، وإلا فمعناه أنه عجز عن التخلص من سيطرة عواطفه عليه، وشأن الباحث الجيد أن يكون حكماً نزيهاً، وقاضياً أميناً لقوله ﷺ : "القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار، أما قاض الجنة فهو الذي عرف الحق وعمل به، وأما قاضيا النار : فأحدهما : لم يعلم الحق وقضى بين الناس فعلمه باطل، وثانيهما : علم الحق وقضى بخلافه فهو أيضاً عمل باطل وكلاهما في النار"(١).

---

١) رواه البخارى / فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ١١ / ص١٤٥.

والباحث بمثابة قاض يصدر أحكاماً قد تنال القبول وقد تنال عدم القبول، وكلما كان مسيطراً على نفسه قادراً على كبح جماح غرضه الشخصي متمكنٌ من الوقوف على أسس القضية أو الفكرة المعروضة عليه محاولاً تقوى الله – عز وجل – فإنه يوفق إلى ذلك ويؤجر على أي ناحية كان لأنه حينئذ يكون بمثابة المجتهد في القضية المعروضة، وفى الحديث الشريف : "إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإذا أصاب فله أجران : أجر على اجتهاده وأجر على إصابته وإصابة الحق هي غاية المسلم"[(1)].

ولا يغربن عن ذى رأى أنى ما قصدت إلا الحقيقة والبحث عنها بغية الوصول إليها والوقوف على الحكمة التي دعى الشرع الشريف إلى معرفتها والاستمساك بها من غير نظر إلى غير ذلك، وفى الحديث الشريف : "الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت"[(2)].

ونظراً لوقوع لخصومات الكثيرة بين مثبتى الولاية والكرامات، وبين النافيين لأى منهما على أية صورة من الصور مما نتج عنه، وجود خلافات فكرية داخل المجتمع المسلم تحولت إلى صراعات عقدية فكان من الضروري أن أكون بمثابة الفيصل في المسألة حيث أعرض لقضايا الطرفين ثم أحاول إبراز دورى أو مجهودى المتواضع في الحكم بين هؤلاء المتحاورين.

---

١) فتح البارى شرح صحيح البخارى / جـ١٠ / ص٤١٩، شرح النووى على صحيح مسلم / جـ١١ / ص٩١.

٢) سنن الترمذى / جـ٥ / ص٥١.

*** محتويات الدراسة :**

تحتوى الدراسة على **ثلاثة أبواب** :

جاء الأول منها تحت عنوان : خوارق العادات بوجه عام، وجاء بعده مدخل، ثم فصلان :

أحدهما عن خوارق التأييد

وثانيهما عن خوارق التكذيب بحيث تكون الكفتان متساويتان من كل ناحية، وقد عرضت لذلك كله في شيء من التفصيل.

الباب الثاني : علاقة الكرامة بالطرائق المختلفة : حيث جاء في فصلين :

أحدهما : عن الكرامة بين المفهوم والدلالة.

ثانيهما : بين الإثبات والنفي.

بحيث تكون الأمور متساوية، والقواعد العامة منضبطة.

أما الباب الثالث فقد جاء حديث عن أنواع الكرامات بحيث شمل هو الآخر فصلين :

أحدهما عن الكرامات : من إجابة الدعاء وظهور الطعام في غير أوانه.

وثانيهما عن الكرامات بين سماع الهواتف وجلب العروش.

ثم جاءت الخاتمة حاوية نتائج البحث وما وقفت عليه.

ولا يغربن على الدارس أن هذا البحث ليس مقصوداً به حصر أنواع الكرامات فذلك ليس شأنه لأن حصر الكرامات قام به الكثيرون، فلما انتهوا منها أعلنوا أن الحصر الحقيقي غير ممكن[1].

وفى تقديري : أن هذا العمل المتواضع الذي قمت به لا يخلو من وجهات النظر إذ العصمة لا تكون إلا للأولياء ومن قبلهم الأنبياء، ومن عصمهم الله بعصمته، ثم ان الآراء تمثل وجهات نظر فمن أصاب وجهة رآها غالبة على أخرى فإنما يحمد الله أن هيأه للصواب، ولا ينظر إلى غيره على أن ما وصل إليه منقصة أو مذمة ما دامت الأمور كلها بقضاء الله ومن أنعمه.

أما أنا فما زلت أردد قول الله تعالى الملك العلام

ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[2].

الأستاذ الدكتور
محمد حسين موسى
محمد الغزالى

---

١) من أشار إلى ذلك العلامة / يوسف النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٤٨ وما بعدها وكذلك ذكر نفس الفكرة العلامة تاج الدين السبكى، في الطبقات، ونفس الصنيع ذكره العلامة الشعرانى في كتابه / لواقح الأنوار المعروف باسم / طبقات الشعرانى.

٢) سورة هود / ٨٨.

الباب الأول

خوارق العادات بوجه عام

المدخل

الفصل الأول

خوارق التأييد

١- المعجزة

٢- الفراسة

٣- الإرهاص

٤- المعونة

٥- المغوثة

خوارق العادات بوجه عام

جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يجعل الأسباب والمسببات في الكائنات تجرى نحو غاية واحدة سواء أكانت هذه الغاية مدركه لكل الناس أم للخواص، وسواء اتضحت تلك الغاية من غير تنبيه إليها، أو احتاجت إلى شيء من التنبيه، لأن ذلك مما اقتضته حكمة الله تعالى، وجرت به سنته في خلقه.

والنصوص الشرعية على هذا النحو كثيرة : منها قوله تعالى ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(١) وقوله تعالى ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾(٢). وقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(٣) ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾(٤).

فسنة الله جارية لا تغير فيها ولا تبديل ولا تحول سواء كان ذلك مع المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم أو الكاذبين إذ لم يرجعوا عما هم فيه فأهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم وهذه سنة الله فما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيْصل إلا ونصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين فقد

---

١) سورة الأحزاب الآية ٦٢.
٢) سورة فاطر الآية ٤٣.
٣) سورة الفتح / ٢٣.
٤) سورة الإسراء ٧٧.

نصرهم مع قلة عددهم[1] وقد ذكرت بعض آيات القرآن الكريم ألواناً متعددة من الأدلة على إثبات وجود الله، وتفرده جل علاه بالوحدانية وانصراف الأمور كلها في الكون إليه تعالى وحده، ومن تلك الألوان المتعددة ما يجعل القلب والعقل والنفس والوجدان ينطلقون في ميدان البحث العلمي بأوسع ما يمكنهم الوصول إليه والأخذ بأسبابه والتعرف عليه سواء كان ذلك في الكونيات أو الأجرام السماوية أو الزاحفات والمنتصبات الأرضية والأدلة في هذا المقام كثيرة، مما يؤكد جريان الأمور في طبيعة ثابتة عرفت باسم : سنن الله الكونية[٢]، وسنن الله في خلقه على السواء لا تبدلّ أصولها ولا تتغير معالمها، وان حدث شيء من ذلك التغير أو التبديل فإنما يكون على الفروع لا على الأصول[٣].

في مجال الحركة المنتظمة نجد الجبال منذ خلقها الله تعالى وهى جبال يثبت الله تعالى بها الأرض[٤]، وفى نفس الوقت تتحقق بها الغايات

---

١) تفسير القرآن العظيم / العلامة ابن كثير / جـ٣ / ص٥١٩، ٥٦٢ وجـ٤ / ص١٩٢ بتصرف.

٢) من ذلك ما كتبه الدكتور / محمد أحمد الغمراوى في كتابيه / سنن الله الكونية وقام بالتعليق عليه د/ عبد السلام محمد الكردانى، وكتابه / الإسلام في عصر العلم، حيث تعرض فيه لذكر العديد من الآيات الكونية التي تثبت سنن الله الكونية.

٣) يستدل على ذلك بأحوال البيئة من حرارة ورطوبة وأمطار وجفاف فكلها عوارض بيئية لا تغير من حقيقة الأرض أو السماء ولا المظاهر المحيطة بهما.

٤) قال تعالى : ﴿والجبال أوتاداً﴾ سورة النبأ / ٧ فقد جعلها الحق سبحانه أوتاداً للأرض أرساها بها، وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. راجع د. محمد أحمد الغمراوى / الإسلام في عصر العلم / ص٢١٣، ٢١٤، وتفسير بن كثير جـ٤ / ص٤٦٢.

والمنافع[1] وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم بلفظها في نحو تسع وعشرين آية، وبوصفها أنها رواسي في نحو تسع آيات[2]، وهى مع ذلك تجرى كسنة من سنن الله الكونية. قال تعالى : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون﴾[3] ففى الآية الكريمة معجزة قرآنية علمية : لأنها تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العلم بقرون، وهى تنبيء بحركة للجبال تشبه حركة السحاب الذي يتحرك لا بالذات ولكن بواسطة الرياح التي تد له.

إذن للجبال حركة لا بالذات لأنها في مرأى العين جامدة ولكن بواسطة الأرض التي تحملها فالآية الكريمة تثبت للأرض حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة للجبال تشبه حركة السحاب[4].

وجعلها الله عز وجل لعدة غايات ومنافع بالإضافة إلى كونها مثبتة للأرض، فهى علامة من علامات الساعة حيث تسيرها قبل القيامة. قال تعالى : ﴿وإذا الجبال سيرت﴾[5]. ﴿يوم نسير الجبال وترى

---

١) قال تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ / النحل ٦٩.

٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / باب الجيم / ص٦٦٣.

٣) سورة النمل / آية ٨٨.

٤) د / محمد أحمد الغمراوى / الإسلام في عصر العلم / ص٣٠١، ٣٠٢.

٥) سورة التكوير / ٣.

الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[1] وأيضاً سخرها الله تعالى لنبيه داود – عليه السلام – لتسبح معه لله رب العالمين : ﴿وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾[2] (ويا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد﴾[3] الخ الآيات التي جاءت تتحدث عن الجبال في القرآن الكريم[4].

وكذلك السماء ما تزال هي السماء منذ خلقها الله تعالى سماءً لم يحدث لها تغيير ولا تبدل، بل لم يحدث فيها أي تصدع أو انشقاق، بل ولا أدنى من ذلك. قال تعالى ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾[5].

أي خلقها الله تعالى طبقة بعد طبقة فانظر إلى السماء وتأملها هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً – أي شقوق – أو خروق يا ابن آدم[6].

---

١) الكهف / ٤٧.
٢) الأنبياء / ٧٩.
٣) سبأ / ١٠.
٤) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / باب الجيم ص١٦٣.
٥) سورة تبارك / آية ٣، ٤.
٦) العلامة بن كثير / تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص١٩٢.

ويقول الإمام الرازى[1] : ذكر صاحب الكشاف في ﴿طباقا﴾ ثلاثة أوجه :

أولها : طباقاً : أي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقاً على طبق، وهذا وصف بالمصدر.

ثانيها : أن يكون التقدير ذات طباق.

وثالثها : أن يكون التقدير : طوبقت طباقاً.

ودلالة هذه السموات على القدرة من وجوه :

أحدها : من حيث أنها بقيت في جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة.

---

[1] هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الطبرستانى الرازى، الملقب بفخر الدين، ومما كنى به : "أبو المعالى، أبو عبد الله، أبو الفضل، ابن الخطيب، ابن خطيب الرى"، ومن ألقابه "فخر الدين، شيخ الإسلام"، إلا أنه من أشهر ألقابه "الرازى" نسبة إلى مدينة "هراة"، ثم لحقت الزاى بها على قياس.

ولد – رحمه الله – بمدينة "الرى" في شهر رمضان ٥٤٤هـ الموافق ١١٥٠م، على القول الراجح، ونشأ فيها، وتربى بها، وهى في أزهى عصورها تتلمذ على يد شيوخ كثيرين، وعلى رأسهم والده الإمام "ضياء الدين" الشهير بخطيب الرى، وتتلمذ على يديه في الأصول والفروع.

استطاع – الشيخ – أن يحيط بعلوم عصره شرحاً وتأليفاً، فألف في جميع العلوم، فجاءت مؤلفاته شاملة : "علم الكلام، والفلسفة، والفقه، والأصول، والتاريخ، واللغة العربية، والتفسير". ومنها : "المطالب العالية، الأربعين في أصول الدين، ونهاية العقول في دراية الأصول، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، وعصمة الأنبياء، وأسرار التنزيل، وأنوار التأويل ..إلخ" من المؤلفات الكثيرة التي لا يتسع المقام لذكرها. راجع الوافى بالوفيات جـ٤ ص٢٤٨. وطبقات المفسرين للإمام السيوطى ص٣٩ ط اليمن ١٨٣٩هـ. وهدية العارفين ٢/ص١٠٧ ط١ استنبول ١٩٥٥م. والامام ابن كثير – البداية والنهاية ١٥٥/١٣. وراجع رسالتنا في الدكتوراة – فكر الإمام الرازى في النبوات، من خلال تفسيره مفاتيح الغيب، ومدى توظيفه في العصر الحديث – مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٩٢م.

وثانيها : من حيث أن كل منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو أزيد منه وأنقص.

وثالثها : انه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء إلى جهة معينة.

ورابعها : كونها في ذواتها محدثة.

وكل ذلك يدل على استنادها إلى قادر تام القدرة.

وأمر سبحانه وتعالى بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع، هل يجد فيه عيباً وخللاً، يعنى أنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب، بل يرجع إليك خاسئاً أي مبعداً من قولك خسأت الكلب إذا باعدته[1].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾[2].

فالعقل إذا نظر إلى الآية الكريمة وتأملها جيداً وجد أن الشجر الأخضر لكى يحيا لابد من وجود الماء فيه، ولولاه لكان يابساً، ويتسائل العقل : كيف تخرج النار الحارقة من الماء البارد والعكس، وكيف تختبيء النار الحارقة في العود الأخضر الرطب؟ ان الأمر في غاية الغرابة.

فكر الإنسان المسلم بعقله محاولاً وضع الإجابة فوجد أن العرب أنفسهم تعرفوا على نوعين من النبات المنتشر في الصحراء، أحدهما يسمى نبات المرخ، والثانى يسمى : نبات العفار، وأن كلا منهما نبات

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب جـ١٥ م٣٠ / ص٥٧، ٥٨.

٢) سورة يس / ٨٠.

صحراوى زاحف متسلق، ويوجد بنسب متفاوتة وفى مسافات قد تتباعد أو تتلاقى لكنها موجودة في الواقع ولها آثار ظاهرة(١).

وان هذين النوعين من النبات إذا تلامسا أو تماسا حدثا بينهما ظاهرة الاشتعال التي تعرف بحرائق الغابات، وإذا حدث بينهما تلامس من فاعل قاصد يحدث عنهما نار يمكن استخدامها ونقلها وتصير أجزاء هذين النوعين من النبات – المرخ والعفار – كأعواد الثقاب أو الولاعات التي نستخدمها في حياتنا اليومية وطالما كان في أجزاء النوعين شيء من الماء فإن استعمالهما لاستجلاب النار يظل قائماً – رغم أنهما أخضران فيهما الماء – فإذا جفا من الماء بطل استعمالهما تماماً من هذه الناحية التي ذكرها القرآن الكريم مرتبطة بالفائدة منها(٢).

وفى الأمثال العربية كانوا يقولون : "في كل شيء نار، واستمجد المرخ والعفار"(٣) وأيضاً : "وإياك والنار فهى كامنة في المرخ والعفار"(٤) إلى غير ذلك من الأمثال التي تدعو إلى التعرف عليها والاستفادة منها.

ومع هذا لم يكن العربى قديماً يعرف أنهما ضدان – العود الأخضر والنار – وأن كلاً منهما يخرج من الآخر، فلما نزل القرآن الكريم بالحديث عنهما وعلاقتهما القائمة، لم يسع المسلم المفكر إلا البحث التجريبى حتى يصل إلى معرفة حجم تلك العلاقة ونوعها

---

١) الدكتور / بدر الدين عبد اللطيف / النباتات العلمية في القرآن / ص١٢٥.

٢) الدكتور / صلاح عبد العليم إبراهيم / الإنسان في القرآن الكريم بداية ونهاية / رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة ص٢٥٠.

٣) الأستاذ / محمد بك جلال / الأمثال في الفصحى ص٢٢٧، ط١ القاهرة ١٩٢١م.

٤) الشيخ محمد عبد الجواد / الأمثال العربية / باب الهمزة ص١٩.

والأسباب التي تدفع إليها والنتائج التي تعقبها فلما انتهى إلى ذلك الاعجاز هب قائلاً :

جمع النقيضين من أسباب قدرته هـذا السحاب به ماء ونار
سبحانك اللهم أنت القهار أنت الواحد القادر المختار
أنت جمعت بين النقيضين تجاور بالوجود الماء والنار
فالشجر الأخضر ينمو منسلا يلاعب أعطافه المرخ والعفار
بذا نطعم ألوان خير وبذا تستضيء الجنبات والدار

إذن المفكر المسلم تأمل الآية الكريمة على الناحية الشرعية فعرف أن الله تعالى قادر على إحياء العظام البالية واعادتها خلقاً جديداً، وأن البعث أمر واقع في الآخرة، كما هو قائم في النشأة التي نحن فيها، وتكون النشأتان – الدنيا والآخرة – متماثلتان بالنسبة لقدرة الله تعالى، وأنها جميعاً عنده تعالى سواء بدليل أنه جل شأنه يخرج بقدرته العظيمة من الشجر الأخضر ناراً تحرق ذات الشجر إذا انطلقت إليه.

وذهب العلامة أبو حيان التوحيدى – رحمه الله تعالى – إلى القول بأن الله تعالى ذكر لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة وبعثه من جديد، ألا وهو إبراز الشيء من ضده وذلك أبدع شيء هو اقتداح النار من الشجر الأخضر، ألا ترى الماء يطفيء النار، ومع ذلك خرجت النار مما هو مشتمل على الماء[1]، وذلك مما تعنى به الحكمة التأملية، وبناء عليه يكون المفكر المسلم مستقلاً عن غيره يقوم بفكره على الأصول والقواعد العامة القائمة في النقل المنزل.

---

1) العلامة / أبو حيان التوحيدى / البحر المحيط / جـ7 / ص348.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾[١].

فالآية الكريمة بالإضافة إلى حديثها عن السموات – والتى سبق الحديث عنها – تحدثت ع الأرض، - وسنتكلم عنها لاحقاً – تحدثت أيضاً عن الزمان كفكرة لها وجود واقعى، وفرقت بين مفهوم الزمان باعتباره فكرة ومفهومه باعتباره واقعاً فعلياً، وتحدثت الآية التي قبلها عن المساء والصباح : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾[٢]، ولا شك أن الصباح والمساء طرفا اليوم والليلة، فكل يوم يبدأ بالصباح وينتهى بالمساء، وكل ليلة تبدأ بالمساء وتنتهى بالصباح، وكل منهما ينازع الآخر في مطالعه، كما يواليه في البداية والنهاية أو الابتداء والانتهاء.

كما أن الآية التي توالت بعد السابقة هي قوله تعالى : ﴿وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾[٣] قد جاء فيها الحديث عن ثلاثة أوقات بين وقتى المساء والصباح، فتكون الأوقات كلها خمسة راجعة في مفهومها لمواقيت أداء الصلاة نفسها، عندنا نحن المسلمين طبقاً لما أمرنا به رب العالمين وعلمنا رسولنا الكريم ﷺ من قوله : "صلوا كما رأيتمونى أصلى"[٤] وهى :

---

١) سورة الروم / ١٨.

٢) سورة الروم / ١٨.

٣) سورة الروم / ١٨.

٤) رواه الإمام البخارى في صحيحه / جـ٥ / ص٢٣٣١.

وقت العشاء : حين تمسون، وقت الفجر : حين تصبحون، وقت الظهر : حين تظهرون، وقت العصر وهو داخل في مفهوم حين تظهرون، وقت المغرب : وهو وقت العشاء.

بيد أن إخراج الله الحى من الميت[1]، مثل إخراج النبات الحى من الأرض الجامدة الميتة، وإخراج الدجاجة من البيضة المنفصلة التي لا حس فيها ولا حركة، فهو من أوضح الأدلة على إخراج الأضداد من بعضها، مع عدم فساد واحد منها، فالله تعالى أخرج النار المشتعلة من العود الأخضر، وأخرج كذلك النبات الحى من الأرض الميتة، وذلك وأمثاله مما دفع المفكر المسلم حتى يضرب فيه بقوس الفكر، وسهام التأمل عله يبلغ في المسألة مبلغاً.

وكما يخرج الله تعالى الأضداد من بعضها، فإنه تعالى يدخلها أيضاً في بعضها، مع عدم تلاشى أي منهما في الآخر، فهو سبحانه يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل[2]، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل[3]، ثم يخرج أحدهما من الآخر، ويجعل ذلك آية من آياته، قال تعالى : ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾

---

١) قال تعالى : ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ سورة الأنعام ٩٥، والآيات في هذا الشأن كثيرة. على سبيل المثال في سورة آل عمران / ٢٧، يونس / ٣١، الروم / ١٩ ... الخ.

٢) قال تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾ سورة الزمر / ٥.

٣) قال تعالى : ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير﴾ الحج / ٦١ وقال تعالى : ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور﴾ سورة الحديد / ٦.

وقولـه تعـالى : ﴿لا الشـمس ينبغـي لهـا أن تـدرك القمـر ولا الليـل سـابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[1].

وكـذلك النجـوم مـا تـزال علامـات يهتـدى بهـا السـائرون[2]، ومصـابيح هدايـة يتأملهـا العـارفون[3] وزينـة للسـماء يعجـب بهـا النـاظرون[4]، وتسـبح لله منـذ خلقهـا، وربمـا هـذا التسـبيح عنـه الـثقلان يغفلون، قال تعالى : ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن مـن شـيء إلا يسـبح بحمـده ولكـن لا تفقهـون تسـبيحهم انـه كـان حليمـاً غفوراً﴾[5].

والأرض حالها كحال السماء ونجومها، لم يختلف أمرها عما جاء ذكره فـي القـرآن الكـريم عـن خبرهـا، قـال تعـالى : ﴿والأرض بعـد ذلـك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها﴾[6]. ومع أنها مدحوة إلا أنهـا صـالحة للعيش والقيام بالأعباء التي كلفها الله تعالى القيام بها.

يقـول الشـيخ الصـابونى : أى والأرض بعـد خلـق السـماء بسـطها ومهدها لسكنى أهلها، وأخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام[7].

١) سورة يس / ٣٧.

٢) قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ سورة النحل / ١٦.

٣) قال تعالى : ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ سورة تبارك / ٥.

٤) قال تعالى : ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ سورة الصافات / ٦.

٥) سورة الإسراء / ٤٤.

٦) سورة النازعات / آية ٣٠-٣١.

٧) الشيخ محمد على الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٣ ص٥١٥-٥١٦.

ويقول الإمام الفخر الرازى "إن الله خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً ثم دحى الأرض أى بسطها ثالثاً بسطاً مهياً لنبات الأقوات، فالأرض كالأم والسماء كالأب و"مرعاها" أى ماؤها عيونها المتفجرة بالماء وما يأكله الناس والأنعام[1].

ثم هي في حال مواتها كهى في حال حياتها، فإن امتنع عنها الإنبات ماتت، وان هطل عليها المطر وأحياها الله بالنبات حيية. قال تعالى : ﴿ ... وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير﴾[3].

يقول الإمام الرازى : "همودها : يبسها وخلوها عن النبات والخضرة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت والاهتزاز : الحركة على سرور فتحركت بالنبات وانتفخت وأنبتت من كل زوج بهيج فهو مجاز لأن الأرض ينبت منها، والله تعالى هو المنبت لذلك، لكنه يضاف إليها توسعاً ﴿من كل زوج بهيج﴾ أى من كل نوع من أنواع النبات من زرع

---

١) الإمام الفخر الرازى / التفسير الكبير / جـ١٦ / ٣٢ / ص٤٨.

٢) سورة الحج / ٥.

٣) سورة فصلت / ٣٩ والآية من البراهين والعلامات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته أنك ترى الأرض يابسة جرداء لا نبات فيها تشبه الرجل الخاضع الذليل فإذا أنزلنا عليها المطر تحركت حركة شديدة وانتفخت وعلت بالنبات وأخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار. راجع / الشيخ محمد على الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٣ / ص١٢٤.

وغرس، والبهجة حسن الشيء ونضارته، والبهيج بمعنى المبهج وهو الشيء المشرق الجميل"[1].

ثم انها تؤدى واجبها طبقاً لسنن الله الكونية لم يختلف أمرها في شيء أبداً، فلم تتغير طبقاتها ولم تنزع مياهها إلى النار أو النور، فتنعدم الفوائد، كما لم تغلب ملوحتها عذوبتها، ولا جبالها سهولها كما لم يختلف أمر هضابها عن تضاريسها منذ خلقها الله عز وجل، فدل الأمر على أن حال الأرض كحال غيرها من الحقائق التي خلقها الله عز وجل ذات طبيعة بعينها.

وهذه الأرض لها رحم يخرج منه الحب والنبات، كما أن للمرأة رحماً يخرج منه الأولاد والبنات[2].

وضرب الله الأمثال لإحيائه تعالى الأرض الموات بالماء هو نفسه المعنى القائم في إحياء الله تعالى رحم المرأة العاقر بوليد يعبر عن إمكانيات أمه في الخصوبة مهما كان سنها متقدماً فتتحول من امرأة ميتة في رحمها إلى سيدة حية به، فيها رغبة شديدة وإمكانيات عالية، لتكون أنثى كاملة في عالم الإنسان.

نلمح ذلك كثيراً، وقد ذكر القرآن الكريم علينا أطرافاً نذكر منها : زوج نبى الله زكريا – عليه السلام – التي بلغت وزوجها من الكبر عتياً، ولم تكن المرأة قد رزق منها زوجها، أو رزقت منه بولد[3]، ورغم تقدم كل منهما في السن بجانب جفاف رحمها عن العمل، إلا أن نبى الله

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / جـ١٢ / ص٩.

٢) راجع الاعجاز العلمي في القرآن الكريم. والإسلام يتحدى للاستاذ / وحيد الدين خان.

٣) وهى الياصابات ابنة عمران أخت حنه بنت فاقوذا ابن قنبل أم مريم والدة سيدنا عيسى – عليه السلام – لأمها.

زكريا – عليه السلام – دعا ربه قائلا لما حكاه القرآن الكريم ﴿رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾[1] وقوله تعالى ﴿وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾[2].

فأرسل الله تعالى الملائكة تخبر نبيه الكريم سيدنا زكريا – عليه السلام – أن الله أكرمه واستجاب لندائه، وأنه أحيى رحم زوجه العاقر بوليد اسمه يحيى، وحقق الله تعالى للرجل أمل فؤاده فحملت زوجه، ثم وضعت بعد الحمل وليدها يحيى.

ولذلك يقول العلماء : أن الله تعالى سماه يحيى لأن رحم أمه أحيى به، حتى ذكر البعض من أهل التفسير أن زكريا – عليه السلام – سأله أحاد الناس : لم سميته بيحيى؟ فقال النبى – عليه السلام – سميته بيحيى ليحيى، وهى عبارة تحمل معان كثيرة منها :

- الأول : ليحيى الله به رحم الياصبات[3] أم يحيى، ويظل خصباً سواء تحقق الحمل مرة أخرى بعد ذلك الحمل أم لم يتحقق المهم

---

١) سورة آل عمران / ٣٨.

٢) سورة مريم / الآيات ٥، ٦.

٣) هى زوجة زكريا. وقد كانت عاقراً ومتقدمة في الأيام مع زوجها، ولكن الرب أعطاها ابناً هو يوحنا المعمدان. وكانت من سبط لاوى. إلا أنها كانت نسيبة للعذراء مريم، وعندما بشر الملاك جبرائيل العذرائ مريم كان الياصبات حبلى في شهرها السادس، وقد ذهبت إليها العذراء إلى أرض يهوذا الجيلية. وعندما دخلت بيت زكريا وسلمت على الياصبات ارتكفى لجنين في بطنها وامتلأت الياصبات من الروح القدس. وصرخت بصوت عظيم. وقالت : مباركة أنت في النساء. ومباركة هى ثمرة بطنك. فمن أين لى هذا أنت ربى أم ربى إلىَّ. فهو ذا حين صوت كلامك في أذنى ارتكض الجنين في بطنى بابتهاج. فطوبى للتى أمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب. (دائرة المعارف الكتابية جـ١ ص٤٠٨).

أنـه يظـل حيـاً عنـدها، وهـو أحـد المعـانى المقبولـة فـي التسـمية بيحيى.

- الثاني : ليحيى بـه الشـرع، فيكـون هـذا الوليد نبيـاً كريمـاً كأخواتـه من الأنبياء والمرسلين، يحيى بشرع الله ما أماتته النفوس الهزيلـة أو أضـاعته العقـول العـاجزة عـن تفهـم شـرع الله تعـالى، أو التـي انصرفت عنه بكبر أو عناد.

- الثالث : ليحيى هو فيمد بـه العمـر، ويبـارك الله تعـالى فيـه، حتـى يكون حاملاً لواء التبليغ وأمانـه الشـرع التـي جعلهـا الله تعـالى مـن المصطفين من عباده ليكونوا رسل الله تعالى إلى أقوامهم.

- الرابع : ليحى بين بنى قومه الذين أعمـاهم الهوى فوقعوا ضـحايا الشيطان ومكائده، ولم يلتفتوا إلى الشرع الذي بعث الله به الأنبيـاء حتى يتعرفوا شرع الله تعالى ويلتزموه.

بل أن نسبة الماء هي الأخرى فـي حـال ثباتهـا وتخلخلهـا لـم يتغير شـيء فيهـا، فـلا العذب صـار مالحـاً، ولا المـالح صـار عذبـاً، ولا البحـار صـارت أنهاراً، ولا الأنهار صـارت بحاراً، لأن ذلك من سنن الله الكونية. قـال تعـالى : ﴿مـرج البحـرين يلتقيـان . بينهمـا بـرزخ لا يبغيـان﴾[1] وقـال تعـالى : ﴿وهـو الـذي مـرج البحـرين هـذا عـذب فـرات وهـذا ملـح أجـاج وجعـل بينهمـا برزخـاً وحجـراً محجـوراً﴾[2] وقـال تعـالى : ﴿ومـا يسـتوى

---

١) سورة الرحمن / آية ٣، ٤.

٢) سورة الفرقان / آية ٥٣، وينقل الإمام الرازى قول ابن عبـاس فيقـول : مـرج البحـرين. أى أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل فـي المـرج وهمـا يلتقيـان، والمقصـود مـن الفرات : البليغ في العذوبـة حتـى يصـير إلـى الحـلاوة، والأجـاج نقيضـه وأنـه سـبحانه بقدرتـه يفصـل بينهمـا ويمنعهمـا التمـازج وجعـل من عظيم اقتداره برزخـاً حـائلاً مـن قدرته / راجع مفاتيح الغيب / م١٢ / ص١٠٠.

البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[١].

يقول الشيخ الصابوني تحت تفسيره للآية الأولى : ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ أن الله تعالى أرسل البحر الملح والبحر العذب يتجاوران ويلتقيان ولا يمتزجان بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة، قال ابن كثير : والمراد بالبحرين : الملح والحلو، فالملح هذه البحار، والحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وجعلَ الله بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر[٢].

بل ان النبات أيضاً ما يزال على الهيئة التي خلقها الله عليها، فلا النخيل صار بطيخاً، ولا العنب صار تمراً، بل ما تزال الحمضيات كما هي، والموالح كما هي، والحلو أيضاً كما هو. قال تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حباً وعنبا وقضبا . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[٣].

---

١) سورة فاطر / ١٢ . ويقول الشيخ الصابوني / وما يستوى ماء البحر وماء النهر، هذا ماء حلو شديد الحلاوة ويكسر وهج العطش ويسهل انحداره في الحلق لعذوبته، وهذا ماء شديد الملوحة يحرق حلق الشارب لمرارته وشدة ملوحته، فكما لا يتساوى البحران العذب والمالح كذلك لا يتساوى المؤمن مع الكافر، ولا البر مع الفاجر / راجع / صفوة التفاسير / الشيخ الصابوني / جـ٢ ص٥٦٩.

٢) الشيخ / محمد على الصابوني / صفوة التفاسير / جـ٣ ص٢٩٥. وراجع / مختصر تفسير ابن كثير ٤١٧/٣.

٣) سورة عبس / آية ٢٤-٣٢.

يقول الإمام الرازى : فلينظر الإنسان إلى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره، ولا شك أنه موضع الاعتبار، فإن الطعام الذي يتناوله الإنسان له حالتان : احداهما : متقدمة وهى الأمور التي لابد من وجودها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود، والثانية : متأخرة، وهى الأمور التي لابد منها في بدن الإنسان حتى يحصل له الانتفاع بذلك الطعام المأكول، ولما كان النوع الأول أظهر للحسن وأبعد عنه للشبهة لا جرم اكتفى الله تعالى بذكره، لأن دلائل القرآن لابد وأن تكون بحيث ينتفع بها كل الخلق، فلابد وأن تكون أبعد عن اللبس والشبهة، وهذا هو المراد من الآية، وقوله ﴿صببنا﴾ المراد منه الغيث، ثم انظر في أنه كيف حدث الغيث المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيف بقى معلقاً في السماء مع غاية ثقله، وتأمل في أسبابه القريبة والبعيدة، حتى يلوح لك شيء من آثار نور الله وعدله وحكمته وفى تدبير خلقه هذا العالم[1].

وقد اقتضت سنة الله تعالى في خلقه أن تستمر طبائع الأشياء ثابتة حتى تكون معلومة للكافة والخاصة، لأنها لو تبدلت في جيل من الأجيال لما كانت معروفة بنفس المعرفة عند جيل آخر، وهذا ما يترتب عليه فساد الكثير من المصالح وضياع الأكثر من المنافع وهو مما تتنزه عنه حكمة البارى جل علاه.

فالعقل الطبيعى يدرك أن الإنسان منذ خلقه الله تعالى وهو إنسان على الصورة التي خلقه الله عليها، لم يقع فيها شيء من التبديل والتعديل، قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / م١٦ / ص٦١-٦٢، وابن كثير / م٤ / ص٤٧١، ٤٧٢.

عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[1].

وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[2].

وقال تعالى : ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهراً وكان ربك قديراً﴾[3]. أي خلق من النطفة انساناً سميعاً بصيراً واناثاً يصاهر بهن، فبالنسب يتعارفون ويتواصلون، وبالمصاهرة تكون المحبة والمودة واجتماع الغريب بالقريب[4].

فالإنسان وهو آدم الأول اقتطع جزء منه تمثل في حواء الأم، ثم جاء أبناؤهما في الأشكال المختلفة والطبائع المتباينة مع أنهم جميعاً من جنس آدمي واحد دلالة على أن الذي باين بين أفراد النوع الواحد هو الذي خلقهم وهو أعلم بهم بدليل : أن الذكورة والأنوثة تصاحبان الفضلات المنوية منذ تكون في صلب الأب حتى توضع في رحم الأم، ولم يحدث أن تحولت الأصول في بني الإنسان عن تلك السنة الإلهية.

---

١) سورة المؤمنون / ١٢-١٤، وراجع : مفاتيح الغيب م١٢ / ص٨٤ فقد أفاض كثيراً وهو يفسرها.

٢) سورة النساء / ١.

٣) سورة الفرقان / آية ٥٤.

٤) الشيخ / محمد علي الصابوني / صفوة التفاسير / جـ٢ / ص٣٦٦، ٣٦٧، ومفاتيح الغيب / م٢٤ / ص١٠٣، ومختصر بن كثير جـ٢٢/٦٣٥، والقرطبي / جـ١٣ / ٣٩.

فقد خلق الله الإنسان مكرماً على كثير من خلقه مفضلا[١]، وجعل هذا التكريم في كونه على أحسن تقويم[٢]، وأتم صورة، وأكمل برهان، وفى الحديث الشريف : أن الله خلق آدم على صورته[٣].

يقول الراغب الأصفهانى : الصورة هي : ما خص الله بها الإنسان من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، واضافته إلى الله تعالى على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه، تعالى الله عن ذلك، ويمكن أن تكون الإضافة على سبيل التشريف له كقوله : بيت الله، وناقة فلان، ونحو ذلك[٤].

فهذا الإنسان الذي خلق لم يحدث له أن تحول الذكر أنثى أو تحولت الأنثى رجلا[٥]. كما لم يسر هذا الإنسان على أربع مذ بلغ، وأما زحفه في سن الرضاعة، فما ذلك إلا من حيل المعايشة في الجو الذي خلق فيه.

---

١) قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ سورة الإسراء آية ٧٠.

٢) قال تعالى : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك﴾ سورة الانفطار / ٦-٨.

٣) قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم / سورة التين / ٤ / والصورة المرادة هنا هي الصورة الآدمية ذاتها، كما أن عود الضمير على أقرب مذكور يدل على أن الصورة هي صورة الأدمى التي نراها ونعرفها فلم يحدث على هذا الإنسان شيء من التبديل أو غير ذلك وإنما خلق كما هو من غير أن يقع عليه نقصان أو زيادة.

٤) الإمام الراغب الأصفهانى / المفردات في غريب القرآن / باب الصاد / ص٣١٧ ط دار التراث.

٥) أما الحالات الاستثنائية التي وقع فيها تحويل أشباه الرجال إلى إناث أو خناث فإنما هي حالات فردية وتمت بعد جملة من التدخلات الصناعية وهو ما يعبر عنه بالطفرات الصناعية.

وكذلك الحال مع الجن، فمادته الأصلية هي النار، ولم يحدث أن تحول الجن ملكاً ولا الملك جناً، لأن الصورة التي عليها الجن تأتى من مادته، ومادته هي النار، وبالتالى صورته تكون دائماً من جنس مادته : ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾(١).

أى ومن قبل آدم خلقنا الجان – أى الشياطين ورئيسهم إبليس – من نار السموم وهى النار الحارة الشديدة التي تنفذ في المسام فتقتل بحرّها وقال المفسرون : عنى بالجان هنا "إبليس" أبا الجن لأن منه تناسلت الجن فهو أصل لها كما أن آدم أصل للإنس(٢).

وأما الملائكة فإن الله خلقهم على صورتهم التي خلقهم عليها على أساس أنهم من مادة النور، خلقوا ولم يحدث أن تحول ملك إلى جن أو انس، أو تغيرت به طبيعته النورانية فهم أجسام لطيفة هوائية خلقت من النور تستطيع أن تتشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات غالباً(٣).

وقد ورد النقل المنزل بالحديث عن المادة التي خلق الله منها الملائكة وأنها من النور على سبيل التخصيص في مقابلة الجن المخلوق من النار والإنس المخلوق من الطين ففى الحديث الشريف الذي ترويه السيدة عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : خلق الله الملائكة من نور العرش، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم(٤).

١) سورة الحجر / ٢٧.
٢) الشيخ محمد على الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٢ / ص١٥.
٣) العلامة علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن / لباب التأويل في معانى التنزيل / المطبعة الخيرية / جـ١ / ص٤٢.
٤) صحيح مسلم / كتاب الزهد / ص٦٠، ومسند الإمام أحمد جـ٦ ص١٥٣، والبيهقى جـ٩ ص٣.

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : "خلق الله الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم"(١).

يقول أحد العلماء : ذلك حديث صحيح لرسول الله ﷺ يذكر فيه الأصل الذي خلقت منه الملائكة، والأصل الذي خلق منه الجان، والأصل الذي خلق منه الإنسان، وهو حديث جليل بعيد المرامى متعدد المعانى(٢).

وبهذه التباينات في الأصول يتضح لنا أن سنة الله في خلقه ثابتة، وأن أمرها قائم على الاضطراد المشروع على سبيل الاضطرار الحتمى أو السببية العقلية أو العلية الجبرية.

غير أن هذه الثوابت التي تتمثل فيها ملامح سنن الله الكونية قد تجيء مخالفة أوضاعها العامة ومن ثم تخالف أيضاً سنن الله العادية وحينئذ يطلق عليها اسم : خوارق العادات لأنها جاءت على غير مألوف العادة المستقرة وخوارق العادات كثيرة ومتنوعة، لكنها من فعل الله أيضاً، وبالتالى فإنما هي عادة إلهية وإن كانت في نظر الناظر إليها أمراً جديداً.

وقد تعددت هذه الخوارق للعادات، وبخاصة ما جاء على الناحية الشرعية وكان هذا التعدد بمثابة علامة متميزة تجّرى فيها، ومن ثم كثر الحديث عن هذه الخوارق، كما كثرت أنواعها بل قيل ان خوارق

---

١) صحيح مسلم / كتاب الزهد / ص٦٠.

٢) للأستاذ : البهى الخولى – آدم عليه السلام – فلسفة تقويم الإنسان وخلافته / ص٧٥ / مكتبة وهبة ١٩٧٤م.

العادات تجيء متعددة على العديد من الاعتبارات، وقد نظم بعض أهل الإسلام جملة الخوارق شعراً فقال :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة ... فمعجزة أن من نبي له صدر

وان بان منه قبل وصف نبوة ... فالإرهاص سمة تتبع القوم في الأثر

وان جاء يوما من ولى فإنه الكـ ... ـرامة في التحقيق عند ذوى النظر

وإن كان من بعض العوام صدوره ... فكنوه حقا بالمعونة اشتهر

ومن فاسق ان كان وفق مراده ... يسمى بالاستدراج سيا قد استقر

وإلا فيدعى بالاهانة عندهم ... وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر[1]

كما ذهبوا إلى بيانها نثر، وقد عدها بعضهم سبعة[2]، وعدها الشيخ محمود الأنصارى ثمانية، حيث أضاف إلى ما سبق ذكره المغوثة، وعرفها بأنها : أمر خارق للعادة يقع لعبد صالح على وجه الانقاذ له وليس تخليص[3]، وعدها غيره تسعاً مضيفاً إليها الفراسة وعرفها بأنها : أمر خارق للعادة وخاطر يهجم على القلب ينفى ما يضاده، يثب على صاحبه وثوب الأسد على الفريسة[4].

---

١) العلامة الشيخ أحمد الصاوى / حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية / ص٥٩ ط الحلبى

٢) ممن ذهب إلى ذلك العلامة الشيخ محمد بن محمد الأمير / حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد ص١٣١ ط الحلبى الأخيرة ١٣٦٨هـ-١٩٣٨م، وهى المعجزة والإرهاص والكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة والسحر.

٣) الشيخ محمود نصر الله بن توفيق الأنصارى / النبوة في القرآن الكريم ص٩٣ ط دار زاهد ١٩٣٨م.

٤) العلامة بن القيم الجوزية / مدارج السالكين / جـ٢ / ص٥٠٤ والطحاوية / شرح الإمام ابن أبى العز الحنفى ص٤٤٦.

وهذه الخوارق في جملتها طبقاً لما حكاه أهل الإسلام تحتاج نوعاً من البسط حتى يتضح أن خوارق العادات إنما هي مما يجريه الله عز وجل على وجه عنده لا يتعلق بشيء آخر خلف الأفعال الإلهية، وهذا يقتضى تقديم نبذة عن كل من هذه الخوارق، بحيث يظهر للقارىء الفرق بين الكرامات وغيرها من الخوارق، كما يتضح الصور التي يجيء فيها أمر الكرامة وبالتالى لا يقع القارىء لأى منها في لبث أو وهم أو خطأ، وسيكون ذلك على النحو التالى :


الفصل الأول
[١] خوارق التأييد

خوارق التأييد

وهى تشمل كلاً من : المعجزة، الكرامة، ثم الإرهاص والفراسة، والمعونة، والمغوثة، ومن ثم فهى ستة جيء بها للتأييد والتثبيت والانقاذ على ما ذهب إليه المتكلمون من أهل الإسلام، وسوف أتناولها في شيء من التفصيل من خلال السطور المقبلة ان شاء الله تعالى :

أولاً : المعجزة :

تعتبر المعجزة من خوارق العادات، لأنه تجيء على غير مألوف الناس، وهى إحدى مثبتات النبوة عند أهل السنة والجماعة[1].

وتعرف المعجزة على الناحية اللغوية في كل من صور الفعل والمادة الصرفية التي جاءت منها، وهى في مجملها لا تخرج عن كونها الصورة التي يقع بها التحدى ويجيء عليها إثبات عجز المتحدين، سواء أكان التحدى من النبى أم من المرسل إليهم النبى ومن ثم فلفظ المعجزة يجيء مذكراً باعتبار الفعل، ويجيء مؤنثاً باعتبار الواقعة التي تجيء عليها صورة المعجزة.

وطبقاً لهذا فقد عرفت المعجزة بتعريفات، كما ظهر أن لها تنوعات، وكذلك ذكر أهل العلم وجه دلالتها على الغرض الذي جاءت منه، وسوف أتناول هذه الجزئيات فيما يلي :

---

١) لأن مثبتات النبوة أربعة : الأول : المعجزات، الثاني : أحوال النبى قبل البعثة، الثالث : الكتب السابقة بأنه نبى، الرابع : ملازمة الصدق للنبي بحيث انما يدعيه في أول حياته هو نفسه الذي يستمر عليه حتى وفاته.

١ـ تعريفها :

أ) في اللغة :

وردت مادة الكلمة – ع – ج – ز – في لغة العرب على أنحاء شتى، كما جاءت على العديد من المعانى، كما جاءت على ناحية المشتقات المختلفة ولذا يقال :

١ـ ان مادة – ع – ج – ز – يأتى المصدر منها العجز : وهو الذي يقابل القدرة : يقال : عجز الرجل عن احتمال الشيء، وعجزت المرأة عن الاحتفاظ بما في أحشائها من جنين، ومعناه : أن الضعف أصابهم، والوهن غلبهم ولم تعد لديهم القدرة على الاحتمال فحصل العجز منهم على ملاقاة الظرف المحيط بهم(١).

ـ كما أن – ع – ج – ز – تفيد الوهن في العقل أيضاً والضعف عن تفهم الفكرة المعروضة(٢)، ومنه المعجزة لأنها تأتى أعلى من إمكانيات الآخرين فتعجزهم عن الاتيان بالمثل، سواء كان الاعجاز واقعاً في القدرات المادية الجسدية أم العقلية وغيرها(٣) مما يقع عليه الاعجاز أو يأتى فيه.

٢ـ ان لفظ (ع ج ز) استعير لإظهار العجز، حيث ان الأمر متعلق بالمعقولات، فلا يكون اللفظ حينئذ جارياً على أصله اللغوى، وإلا وقعت الاستحالة التي نبه إليها البلاغيون ومما هو معلوم أن :

الحقيقة اللغوية : هي استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة(٤).

---

١) المعلم بطرس البستانى / قطر المحيط.

٢) المعجم الوجيز مادة (ع ج ز) ص٤٠٧.

٣) المعجم الوسيط / باب العين، وراجع أساس البلاغة للعلامة الزمخشرى.

٤) الشيخ / محمد داوود الافريقى / نظرات في علوم البلاغة / ص٧٣/ طـ أولى ١٩٢١م.

والحقيقة العرفية : هي استعمال اللفظ فيما تعارف عليه القوم كاصطلاح خاص بهم[1].

٣- اسند فعل العجز على سبيل المجاز إلى ما هو سبب العجز وصار اسماً له، وهذا يصح على أساس جواز استعمال اللفظ في الحقيقة واستعماله في المجاز طالما كانت العلاقة بينهما قائمة[2].

٤- ان المعجزة مذكر معنوى دخلت عليه التاء، ودخولها على لفظ المعجز إنما جاء لنقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية لأنه صار معروفاً لدى الدارسين باسم المعجز[3].

فدخول التاء على لفظ المعجز في الوضع القائم هنا يقصد به أحد أمرين :

الأول : النقل من الوصفية للاسمية : في لفظ المعجزة قياساً على لفظ الحقيقة و[illegible] اسم المشترك بين اللفظين وهو الاستعمال عن النقل من الوصف للاسم.

الثاني : المبالغة في المعنى، كما في لفظ العلامة، فإن مذكرها علم ومؤنثها علامة.

ومعناها : أنها تكررت عدة مرات فصارت دالة عليه لا تفارقه، ويكون اطلاقها اسماً من باب الاستعمال الخاص أو الوصف القائم في معنى المبالغة[4].

---

١) الشيخ / أبو الوفا عبد الحكم رضوان / بين اللغة والاصطلاح في الألفاظ والمفاهيم ص١٣.

٢) الشيخ / محمد بن داوود الافريقى / نظرات في علوم البلاغة / ص٩١.

٣) وهو الشائع في كتب العلم، لأنه نقل من الوصف إلى الإسم.

٤) الشيخ / محمد بن داوود الافريقى / نظرات في علوم البلاغة / جـ١ ص٨٧.

ويرى الإمام الجويني : "أن لفظ المعجزة قد استعمل استعمالاً مجازياً آخر، غير النقل من الوصفية للاسمية وهو التجوز والمبالغة في المعنى، وهذا التجوز الأخير الذي ذكره إمام الحرمين بناء على رأى استقاه من الإمام الأشعرى[١].

ويقرر إمام الحرمين الجوينى ومن شايعه الرأى : أن لفظ المعجزة ضد للفظ القدرة، لأن المعجزة لفظ يتعلق بالموجود من حيث أنه غير مقدور عليه ولا يتعلق بالمعدوم أو المستحيل وإلا فإن التحدى لو وقع فيهما أو في أى منهما لكان غير واقع على المتحدين به، والحجة غير قائمة، وكذلك المعجز فإنه يكون في المقدور عليه[٢].

ب) تعريف المعجزة في الاصطلاح :

أهل العلم من المسلمين عرفوها بالعديد من التعريفات، من أبرزها ما يلي :

- أنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة[٣].

وهذا التعريف قد تصدى له الكثيرون بالتوضيح، وبيان أوجه القصور أو التمام فيه، وقد أسرف في بيان ذلك الكثيرون من أهل السنة والجماعة.

---

١) د. على جبر / إمام الحرمين وأثره في بناء المدرسة الأشعرية،

وإمام الحرمين : هو أبو المعالى عبد الملك الجوينى، أحد شيوخ أهل السنة والجماعة، لقب بإمام الحرمين، لأنه تفرغ للعمل بالتدريس في مكة والمدينة فترة من الزمان وله راء ربما استقل فيها عن كثير من الأشاعرة. راجع / الأعلام للزريكلى / وهدية العارفين، وأعلام الفكر الإنسانى ص٥٨٧.

٢) الشيخ / محمود نصر الدين / النبوة في القرآن الكريم / ص٩٧ طـ أولى ١٩٢١م المطبعة الخيرية.

٣) الإمام / فخر الدين الرازى / محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين / تحقيق طه عبد الرؤوف سعد / طـ الكليات الأزهرية / ص٢٠٧.

- أنها فعل من أفعال الله تعالى قائم به جل شأنه، يتحقق بمثله التصديق للنبي في أنه مبلغ عن الله تعالى[1]، ونفس التعريف مما ذكره العلامة السعد التفتازانى حيث يقول : انها فعل من أفعال الله تعالى، أو قائم مقام الفعل يقصد بمثله التصديق[2].

- انها فعل يظهر على يد مدعى النبوة بخلاف العادة في زمن التكليف موافقاً لدعواه، وهو يدعو الخلق إلى معارضته، ويتحداهم في الاتيان بمثله، ولكنه يقع عليهم العجز، فيتبين به صدق من يظهر على يديه، وما من رسول من رسل الله، إلا وقد كان مؤيداً من الله تعالى بمعجزة، أو معجزات كثيرة دالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من قبل الله تعالى[3].

- وهذا التعريف فيه الكثير من التوسعة بالنسبة لما قبله ومن ثم فإنه يعتبر تعريفاً وافياً على الناحية التي جاء فيها، وهو مفيد في العلوم والمعارف نفس افادته في المعجزة وأنها من قبل الله تعالى.

- أنها أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة أو الرسالة تصديقاً له في دعواه، مقرون هذا الأمر بالتحدى مع عدم المعارضة، وعجز الناس عن الاتيان بمثله وأن يكون ذلك المعجز موافقاً لدعوى النبى ﷺ في دعواه، وأن يكون ذلك كله في زمان التكليف[4].

---

١) الشيخ / محمود نصر الدين الأنصارى / النبوة في القرآن الكريم / ص٩٧.
٢) الإمام / سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / جـ٢ ص١٣٢، وقد نسب هذا التعريف إلى الإمام الأشعرى.
٣) العلامة : أبو المظفر الاسفرايينى / التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية / ص١٠٤.
٤) العلامة / البغدادى / أصول الدين / ص١٠٧.

- أما إذا وقع في زمان غير زمان هذا النبى، أو وقع في غير زمان التكليف، فإنه لا يكون خارق للعادة، ولا يكون إلا أحد أمرين : اما ابتداءً لعادة جديدة في عالم جديد، أو تكرار لما جرت به حكمة الله تعالى في ذلك الأمر المستجد.

ثم ان من جرت على يديه خوارق العادات ان كان من أولياء الله المعدودين المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، تاركاً لما نهاه الله عنه مستكثراً من طاعاته، فهو من أولياء الله سبحانه وتعالى، وتكون هبة من أنعم الله عز وجل ونعم الله لا تحصى[1].

ثم ان هذه التعريفات إنما تؤكد على اهتمام مفكرى الإسلام بالمعجزات كعلامة من علامات التميز في الفكر الإسلامى أما لماذا؟!!

فلأن ظهور الخارق للعادة في ثلاث مواضع لا يكون دليلاً على صدق من يدعى النبوة أو الرسالة حتى لو ادعاها أو لنفسه زعمها.

الموضع الأول : انقضاء زمن التكليف باعتبار أن زمن التكليف هو الذي تقع فيه خوارق العادات، أما بعده فكله زمن خوارق.

الموضع الثاني : زمان نفض العادات، وتغير الرسوم القائمة، لأن العادات المنقوضة ستكون في هذا الزمان أكثر من التشابه، وبالتالى فقلب هذه الحقائق لا يمثل طبيعة جديدة، وإنما يمثل عادة مستجدة أو عادة منقوضة.

الموضع الثالث : ظهور أشراط الساعة، لأن ظهورها لا يكون محتاجاً لخوارق، ومنه ظهور المهدى، وخروج الدجال،

---

١) الإمام الشوكانى / قطر الولى على حديث الولى / ص٢٧٢ / تحقيق / إبراهيم إبراهيم هلال / ط أولى دار الكتب الحديثة.

ونـزول عيسـى بـن مـريم، وخـروج يـأجوج ومـأجوج وخروج الدابة التي تكلم الناس في المهد وكهلاً، وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدخان الذي يصيب الكافر حتى يكون كالسكران[1].

وهذه المعجزة أنواع، وهذا ما سنتكلم عنه في الصفحات القادمة أن شاء الله تعالى.

أنواع المعجزات :

تتعدد المعجزات بتعدد الأنبياء، وتتنوع بتنوع الأمم والشعوب، ومن هنا رافقت المعجزات أنبياء الله تعالى تفضلاً منه واحساناً ولطفاً بعباده[2]، لتكون وسائل تصديق الأنبياء واثبات نبوتهم، وحجة لله تعالى على من شاهدها، أو تواتر سماعه بها عمن شهدها حتى لا يكون للناس على الله حجة[3].

أما من شاهدها فإنه ينتقل انتقالاً مباشراً من الشعور بعجزه إزاء المعجزات إلى شعوره وإيمانه بأنها من صنيع الله تعالى القادر على كل شيء، وأما من تواترت إليه فلأن التواتر يعطى الخبر صفة اليقين، وضرورية التسليم به، فلا فرق بين من شاهد بعينه وبين من نقل إليه

---

١) الشيخ / حسين بن محمد الجسر / الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية / ص١٠٣، ١٠٤.

٢) وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وأما المعتزلة فيعتبرونها من باب الوجوب والإلزام، راجع في ذلك شرح المواقف للإيجي، وشرح المقاصد للتفتازاني / وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٥٦٧.

٣) قال تعالى : ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ سورة الإسراء / ١٥.

الخبر عن طريق التواتر، فالمشاهدات والمتواترات من الأمور الضرورية التي يجب التسليم بها.

والذى يجمع معجزات الأنبياء السابقين مع معجزة رسول الله ﷺ هو كونها : من الأمور الخارقة لما اعتاده الناس، وأما غير ذلك فالمعجزة القرآنية تختلف تماماً في طبيعتها ووصفها عن سائر معجزات الأنبياء السابقين.

فقد كان الطابع الذي يجمع بين معجزات الأنبياء السابقين : هو الطابع الحسى المادى، مثل : معجزة عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – تخلفت عادة النار ولم تحرقه. قال تعالى : ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين . ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾(١).

ومثل معجزة ناقة سيدنا صالح – عليه السلام – قال تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح إئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين﴾(٢).

ومثل معجزات سيدنا موسى عليه السلام : كانقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعه السحرة، ومعجزة فلق البحر ونجاته وإهلاك فرعون، وكذلك معجزة إحياء أناس من بنى إسرائيل بعد موتهم

---

١) سورة الأنبياء آية ٦٦-٧١.

٢) سورة الأعراف ٧٣-٧٧.

بالصاعقة، ومعجز رفع جبل الطور من فوقهم حين أخذ الله عليهم الميثاق وغير ذلك من المعجزات الحسية الكثيرة التي ظهرت على يد سيدنا موسى – عليه السلام – لاقناع بنى إسرائيل(1).

وكذلك كانت معجزات سيدنا عيسى – عليه السلام – حيث كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، ويشفى الأعمى والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله تعالى ويخبر الناس بما يدخرونه في بيوتهم(2).

وقد خاطب الله تعالى الناس بهذا الأسلوب حيث أن طبيعتهم ومستوى تفكيرهم لم يكن يرقى إلى أكثر من ذلك، حيث كانوا عاجزين عن الاستدلال بالنظر العقلي الخالص فاقتضت حكمة الله لمخاطبتهم بالمعجزات الحسية.

ولما تكاملت العقول البشرية وترقت في مدارج التفكير العقلى وأصبحت صالحة لتقبل رسالة عامة خالدة، كانت معجزته ﷺ هي القرآن الكريم وهو المعجزة العقلية التي هدت الناس لا عن طريق المعجزات الحسية ولكن عن طريق العقل والفكر والنظر في الكون وما فيه من إبداع واختراع لكى يكون دليلاً قاطعاً على وجود المبدع جل وعلا.

ومع أن رسولنا ﷺ قد أوتى كثيراً من المعجزات الحسية إلا أنها لم تكن هي الطريق الأساسى لاثبات نبوته ﷺ حيث كانت المعجزة العقلية هي الأساس في الاقناع على طريق الدعوة إلى الله تعالى.

---

1) قال تعالى : ﴿وإذا قتلتم نفساً فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ سورة البقرة / ٧٢، ٧٣.

2) قال تعالى : ﴿ورسولاً إلى بنى إسرائيل إنى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبأكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ سورة آل عمران / ٤٩.

وقد فرق العلماء بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية من عدة طرق نذكر منها :

١- جاءت المعجزات الحسية منفصلة عن الدعوى والمنهج الذي جاء به الأنبياء السابقون، بينما جاء القرآن الكريم جامعاً بين المعجزة والدعوى معاً فهو آية الرسول وبرهانه، وهو في الوقت ذاته منهجه ودعواه، فمعجزة موسى – عليه السلام – هي العصا وكان منهجه هو التوراة، وكانت معجزة عيسى – عليه السلام – الطب وكان منهجه هو الإنجيل، أما القرآن الكريم فهو المعجزة والمنهج معاً ليظل المنهج محروساً بالمعجزة، وتظل المعجزة في المنهج[1].

٢- المعجزات الحسية قد تلتبس بغيرها من الأمور عند غير العالم العاقل، ولذلك اختلطت المعجزات الحسية عند اليهود والنصارى بأمور السحر والكهانة والتبس عليهم الأمر حتى أنهم كانوا وإلى بداية عصر التنوير في أوربا يحكمون على من يتهم بالسحر بالإعدام حرقاً لأنه بسحره – في نظرهم – إنما يتطاول على مقام النبوة، أما المعجزة العقلية فلا تلتبس بشيء ولا تزيغ بها الأهواء ولا تضل فيها الأفهام ولا تخلق على كثرة الرد[2].

٣- المعجزات السابقة أفعال وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله ومعجزة القرآن الكريم صفة الله فهي كلامه، والصفة باقية ببقاء المتصف بها[3].

---

١) فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى / معجزة القرآن / ص١٠.

٢) الأستاذ / أحمد عز الدين عبد الله خلف الله : القرآن يتحدى / ص٢٦٠، وأيضاً / حقائق الإسلام وأباطيل خصومه أ / عباس محمود العقاد / ص٧٠ ط القاهرة ١٩٧٧.

٣) فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى / معجزة القرآن الكريم / ص٩.

٤- المعجزة العقلية تتعدد مناهجها وتختلف طرقها في الاقناع وفى الدلالة فقد تكون أدلتها بيانية أو غيبية أو علمية، أما الأدلة الحسية فليس لها من ذلك نصيب.

٥- المعجزة العقلية تقنع العقل وتدفعه إلى التفكير والوصول إلى الحقائق بتعقل وروية، أما المعجزات الحسية فهى تفحم العقل وغالباً ما تكفه عن الرؤية وتضطره بالافحام القاهر إلى التسليم، ذلك أن المعجزات الحسية إنما تعتمد على الشعور والوجدان فهى لاقناع من لم يقتنع بتفكيره[1].

وننتقل بالحديث إلى إعطاء نبذة عن كل نوع من أنواع المعجزة.

أ] المعجزة الحسية :

أن يخلق الله تعالى العلم والحياة والقدرة في الكونيات والحيوانات والجمادات وسائر الأشياء بقدرته تبارك وتعالى كما حدث مع الأنبياء السابقين ولنبينا محمد ﷺ وسأذكر طرفاً من الحديث عن بعض معجزات نبينا محمد ﷺ الحسية[2] :

١- انشقاق القمر وتأخير غروب الشمس :

انشقاق القمر : معجزة كونية لرسول الله ﷺ قال عنها القرآن الكريم : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[3].

---

١) أ / عباس محمود العقاد / التفكير فريضة إسلامية / ص٥٠.

٢) قال العلامة سعد الدين التفتازانى في شرح المقاصد ص١٣٨ : المعجزات أفعال ظهرت منه ﷺ خلافاً للعادة تربى على ألف قد فصلت في دلائل النبوة.

٣) سورة القمر / آية ١.

يقول الشيخ إسماعيل البروسوى تحت تفسيره للآية : "إن صناديد قريش اجتمعوا فقالوا يا محمد : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، ووعد الإيمان وكانت ليلة البدر، فرفع رسول الله ﷺ أصبعه وأمر القمر بأن ينشق نصفين فانفلق فلقتين، فلقة ذهبت عن موضع القمر، وفلقة بقيت في موضعه وقال ابن مسعود : رأيت حراء بين فلقى القمر (١) وقد رآه كل من أهل مكة وغيرهم بحيث لم يختص برؤيته أهل مكة وحدهم بل شملهم وغيرهم.

ومثل انشقاق القمر يأتى تأخير غروب في مغرب اليوم التالى لمعجزة الإسراء والمعراج حتى دخلت عير قريش وغيرها من الدلائل الكونية التي تجرى في ملك الله الواسع، وكانت تجيء مع النبى محمد ﷺ معجزة له(٢).

٢- شهادة الضب(٣) :

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابى قد صاد ضباً، فقال ما هذا؟ فقالوا له هذا نبى الله محمد ﷺ فقال الأعرابى : واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب وطرمه بين يدى رسول الله ﷺ.

فقال له ﷺ : يا ضب : فأجابه بلسان عربى يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من أوفى القيامة. قال له ﷺ : من تعبد؟

---

١) الشيخ إسماعيل صقر البروسوى / تنوير الأذهان / تفسير روح البيان / م٤ / ص١٨٩ دار الصابونى.

٢) الإمام القرطبى / الأعلام ص٣٢٦، وما بعدها / وأيضاً الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للعلامة ابن تيمية.

٣) من مجموعة الحيوانات التي شهدت لرسول الله ﷺ بالإضافة إلى الضب، الذئب الذي شهد له ﷺ والظبية واكتفيت بذكر رواية شهادة الضب لرسولنا ﷺ ففيه كفاية.

قال الضب : أعبد الذي في السماء عرشه وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته، وفى النار عقابه.

قال رسول الله ﷺ : فمن أنا؟ قال الضب : أنت رسول رب لعالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، فأسلم الأعرابى[1].

٣- تفجير الماء من بين أصابعه ﷺ :

روى أن النبى ﷺ خرج في بعض أسفاره، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ : هل مع أحد منكم ماء؟ فأتى بماء في إناء، فوضع يده الشريفة في ذلك الإناء وسمى الله تعالى : قالت الصحابة : فرأينا الماء يخرج من بين أصابعه ﷺ - فتوضأ الناس حتى توضئوا كلهم.

قيل لأنس بن مالك كم تراهم؟ قال نحواً من سبعين، وقد اتفق له مثل هذا مرة أخرى وكانوا نحواً من ثلاثمائة، وكذلك يوم الحديبية وغيرها، وقد وقعت له ﷺ تلك المعجزات في جمع كبير من الناس لا يتطرق إليهم الكذب ولا يتفقون عليه[٢].

ومثل نبع الماء له ﷺ : تفجره وجريانه وسريانه وكلها مما وردت على أنها معجزات له ﷺ.

---

١) الإمام القرطبى / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / جـ٣ / ص٢٥٩-٣٦٠.

٢) الإمام القرطبى / الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / جـ٣ ص٣٥-٥٦.

٤ - تسبيح الحصى :

اشتهر تسبيح الحصى بين يديه ﷺ شهادة له، فعن أنس – رضى الله عنه – قال أخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فسبحن بين يديه حتى سمعنا تسبيحها، ثم صبهن رسول الله ﷺ في يد أبى بكر[١] فسبحت كذلك، ثم صبها في أيدينا فلم تسبح.

وما روى عن على كرم الله وجهه قال : كنا بمكه مع رسول ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله[٢].

يقول العلامة الدردير : نقل عنه عليه السلام من خوارق العادات ما بلغ القدر المشترك من حد التواتر وان كانت تفاصيلها آحاداً : كتسبيح الحصى في كفه، وتكليم الجمادات والحيوانات، ونبع الماء من الأصابع، وظهور البركة في الأطعمة والأشربة وغير ذلك مما لا يحصى كثرة[٣].

---

١) هو عبد الله بن عثمان الملقب بأبى قحافة بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويلتقى مع الرسول ﷺ في "مرة بن كعب"، وعرف في الجاهلية باسم : عبد الكعبة، فسماه الرسول ﷺ لما أسلم عبد الله، وكنيته أبو بكر لأنه بكر في باعتناق الإسلام.

ولد رضى الله عنه في الثانية أو الثالثة من عام الفيل، فهو أصغر من الرسول ﷺ بنحو سنتين أو ثلاثة.

وأمه سلمى بنت صخر بنت عم أبى قحافة، وتكنى بأم الخير، وكان في الجاهلية يشاغل تاجر ثياب، وكان صاحب مال وفير، وهو أول من أسلم من الرجال، وخليفة رسول الله ﷺ، وله مواقف كثيرة في الإسلام، وقال فيه رسول الله ﷺ : "لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجح" وقال : "لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً. وإن صاحبكم خليل الله" – راجع تاريخ الرسل والملوك للعلامة الطبرى جـ٣ / ص٢١٨ / طبعة دار المعارف، وكذلك العقد الفريد لابن عبد ربه / جـ٢ / ص٢٣٤. وكذلك تاريخ الأمة العربية للدكتور / عبد الفتاح شحاته / ص١١-١٧.

٢) المصدر السابق جـ٣ / ص٣٥٨.

٣) العلامة أبو البركات الدردير / شرح الخريدة البهية / ص٦٠.

٥- حنين الجذع :

ومجمل المعجزة أن رسول الله ﷺ كان يخطب على جذع نخلة فصنع له منبر وترك الجذع الذي كان يخطب عليه فحن الجذع حنين الإبل الفاقدة أولادها، حتى تصدع وانشق، فجاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن، فقال النبي ﷺ له إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه فتنبت لك عروقك ويكمل خلقك، ويجدد خوصك وثمرك، وإن شئت أغرسك في الجنة يأكل منك ومن ثمرك أولياء الله، ثم اصغى له النبى يستمع له ما يقول : فقال الجذع : بلى تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه يسمعه من يليه، فقال له قد فعلت.

ثم قال رسول الله ﷺ : اختار دار البقاء على دار الفناء، فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه فأنتم أحق بذلك وأن تشتاقوا إلى لقائه[1].

ومن معجزات رسول الله ﷺ الحسية :

- شهادة الشجرة.
- شهادة الأسقف والحوائط.
- تكليم الذراع المسمومة.
- اضطراب الجبل وسكونه.
- حديث الناقة.
- حديث الحمار.
- حديث الظبية.
- حديث الذئب.

---

١) الإمام القرطبى / الاعلام / جـ٣ / ص٣٥٨ وما بعدها.

ويقول شيخنا الأستاذ الدكتور "عوض الله جاد حجازى" : لنبينا محمد ﷺ معجزات كثيرة منها انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتظليل الغمام له، ومعنوية، وقد أوضحها القرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولاً وهى كلها معجزات له ﷺ[1].

٢] المعجزات العقلية :

وهى التي تكون للأنبياء ويقع التحدى فيها من خصوم الأنبياء، والمتكلمون يسمونها دلالة الدليل على المدلول[2].

ثم إن المعجزة العقلية هي أرقى المعجزات على الاطلاق وهى معجزة القرآن الكريم أما لماذا هي أرقى المعجزات على الإطلاق؟

فلأنها هي الممثلة لكلام الله تعالى، بل هي كلام الله نفسه وصفه من صفاته، والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه وهو الله عز وجل[3]، والله عز وجل قد أخبر عن ذلك بقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وبناء عليه فإن المعجزة العقلية أساسية دائمة أبد الدهر، ما دام الليل والنهار يجريان في طريق واحد، وهى القرآن الكريم بكل ما فيه من فصاحة وبلاغة ووجوه إعجاز.

---

١) الأستاذ الدكتور / عوض الله جاد حجازى / دراسات في العقيدة الإسلامية / دار الطباعة المحمدية ط أولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢) الإمام أبو حامد الغزالى / إلجام العوام عن علم الكلام / ص٣٢٦ ضمن مجموعة القصور العوالى / ط مكتبة الجندى.

٣) الأستاذ / فؤاد عبد الكريم خليل / العقيدة الإسلامية / ص١٤٣.

٣] المعجزات الخيالية[١] :

حيث تفسر تلك المعجزة بأن يصير اللسان الحالى مشاهداً محسوساً على سبيل التمثيل، وهذه خاصية الأنبياء والرسل – عليهم السلام – كما أن لسان الحال يتمثل في المنام لغير الأنبياء والتمثيل الخيالى أشهر هذه الأقسام والايمان بها كلها، وأجمعها هو واجب[٢].

وهذا القسم الأخير غير متوفر في المفردات الكلامية الأخرى ومن ثم يمكن اعتباره أحد الأفكار الرئيسية بالنسبة للإمام الغزالى، بل هو أيضاً صاحب التوجيه السديد والحكم الرشيد في المسألة.

لكن ما وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول؟ هل اللسان؟ أم البيان؟ وهل العادة أم الدلالة العقلية؟ أم الوضعية؟

والجواب : ان كل هذه الوجوه مراده لكنها في الأولوية تأتى العادية أولاً، ثم يأتى خلفها ما بعدها، لكن لابد من بيان أنها قبل أو بعد، إنما تمثل صورة من صور تأييد الله لمن جرت على يديه.

فما هو وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول إذن؟

وهذا ما سوف ألتفت إليه بالحديث فيما يلي ان شاء الله تعالى :

---

١) هذه التسمية من اطلاقات الإمام أبو حامد الغزالى.

٢) الإمام أبو حامد الغزالى / إلجام العوام عن علم الكلام / ص٣٢٧.

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول

يرى الدارسون للمسائل المتعلقة بخوارق العادات، ومنها المعجزة : أن وجه دلالتها على صدق الرسول إنما يجيء من أحد أوجه أربعة، بعضها يقبل، وبعضها يرد وهاك مجملاً للآراء مع بيان المقبول منها والمردود وأسباب ذلك القبول أو الرد.

الأول : أهل السنة والجماعة : أنها دلالة عادية :

ومعناه أنه يمكن أن تقع بعدها عادة يطمئن الناظر في المعجزة أن مدعيها صادق ويقرر الإمام الإيجى الأشعرى هذا الوجه فيقول : معناه : إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه باعتبار أنه متى ظهر الخارق فقد تحقق صدق من جرى على يديه في أنه مبلغ عن الله تعالى، فإن إظهار المعجزة على يد الكاذب وان كان ممكناً عقلاً إلا أن انتفاءه معلوم عادة كسائر العاديات لأن من قال أنا نبى ثم نتق الجبل وأوقفه على رؤوسهم كالحال مع بنى إسرائيل، ثم قال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى انصرف عنكم(1).

فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم، وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم، من ثم علم بالضرورة أنه صادق في دعواه، والعادة قاضية بامتناع ذلك على الكاذب(2).

وإذا حكمت العادة بامتناع تصديق الكاذب فإنها حكمت أيضاً بتأييد الصادق في دعواه وأنه مبلغ تعاليم الله لمن بعثه فيهم من عباده ومن ثم يكون وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول هو الدلالة العادية.

---

١) هذا الشرط ليس مراداً بذاته وان كان مراداً على أساس المعنى وهو الكامن في تحقق المشروط بمعنى أن وقع تصديقكم رفع الجبل عنكم وان وقع تكذيبكم سقط الجبل على رؤوسكم، فالعلاقة بين الشرط والمشروط علاقة تلازم عادية.

٢) العلامة الايجى / المواقف / ص٣٤١.

ويرى الإمام السعد أن هذا الوجه هو المقبول، ومن ثم يجب التأكيد عليه فيقول "وأما وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول فإنها عند التحقق بمنزلة صريح التصديق لما جرت به العادة"(١) من أن الله يخلق عقيبها العلم الضروري بصدقه(٢)، ومتى تحقق العلم الضروري في نفوس الناظرين إلى المعجزة بصدق مدعى النبوة، فقد ثبت الغرض منها.

أما إذا جاءت مخالفة لدعواه فإنها تدل على أنه مدعى كاذب وليس نبى صادق(٣).

وضرب أهل العلم لذلك أمثلة عديدة منها : ما ذكره العلامة التفتازانى حين قال : كما إذا قام رجل في مجلس ملك بحضور جماعة وادعى أنه رسول هذا الملك إليهم فطالبوه بالحجة فقال هي أن يخلف هذا الملك عادته ويقوم عن سريره ثلاث مرات ويقعد، ففعل فإنه يكون تصديقاً له ومفيداً للعلم الضروري بصدقه من غير ارتياب(٤).

بمعنى أن في إعلانه أمر صريح بأنه رسول الملك وهى وإن كانت دعوى إلا أنه إذا قام الملك وفعل ما نسبه إليه رسوله مخالفاً عادته الثابتة فإن هذا الأمر يكون على خلاف العادة ويكون تصديقاً لرسول الملك أيضاً.

---

١) العادة المرادة هنا هو ما يجرى في سنن الله الكونية وليس ما يجرى في أعراف الناس من مفهوم للعادة.

٢) العلامة / سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / جـ٢ / ص١٣١.

٣) الشيخ / محمد عبد العظيم رضوان / دراسات في العقيدة الإسلامية ص١٧ طـ المطبعة الأميرية ١٤١٣هـ.

٤) العلامة / سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / جـ٢ ص١٣١.

وربما يقال : إن كون الدلالة هنا عادية مرجعه عند الأشاعرة إلى ربط الأسباب بالمسببات على الناحية العادية وليس على الناحية العقلية باعتبار أن الله تعالى هو الخالق للأسباب والمسببات جميعاً، وقادر على إيجاد السبب دون المسبب، كما هو قادر على إيجاد المسبب دون سبب، بل ان فعل الإنسان نفسه لا تؤثر قدرته وحدها استقلالاً من غير استناد إلى شيء غيرها وإنما لابد أن يعول على تأثير قدرة الله عز وجل والرجوع إلى مشيئته.

يقول إمام الحرمين الجوينى[1] : ان المؤثر في فعل العبد هو قدرته التابعة لمشيئته ان وافقتها المشيئة القديمة، وإلا فلا تأثير لأن العبد لا يؤثر في العقل الصادر عنه استقلالاً[٢].

بناء على ما سبق فإن العلاقة بين الأسباب والمسببات هي نفس العلاقة بين المعجزة ووجه دلالتها ولذا يرى أهل السنة والجماعة أن المعجزة لا تدل على صدق النبى حسب دلالة الأدلة العقلية على مدلولاتها، فإن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ولا يقدر في العقل وقوعه غير دال عليه، وليس كذلك سبيل المعجزات[٣]، انها تأتى على

---

١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى أبو المعالى ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى، ولد في جوين من نواحى نيسابور، ورحل إلى بغداد فمكة، حيث جاور أربع سنين من مؤلفاته "العقيدة النظامية، الشامل، الإرشاد ..." إلخ / راجع الإعلام جـ٤ ص٣٠٦، وهدية العارفين جـ١ ص٦٢٦.

٢) الشيخ / إبراهيم بن محمد بن مصطفى الحلبى المزارى / اللمعة / ص٥٤ / تحقيق الشيخ / محمد زاهر الكوثرى / مطبعة الأنوار ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

٣) إمام الحرمين الجوينى / الإرشاد إلى قواطع الأدلة ص٢٢٤ تحقيق محمد يوسف موسى.

طريق العادة فتخرقها وحينئذ يأتى الفعل المعجز خارقاً للعادة، وهذا الرأى هو الأقرب للقبول من غيره.

بل ان خوارق العادات من كثرة تكرارها صارت عادة عند أغلب الناس الذين يتوقعونها، فكم من نبى انخرقت له العادة، وجاء الخبر متواتر بصدقها ووقوعها امكاناً وفعلاً وعادة وعقلاً.

ومما يجعلنى أتمسك بهذا الوجه وأنسبه لأهل السنة والجماعة ـ أشاعرة وماتريديه هو أن الأشاعرة قالوا به والماتريدية أيضاً تبنوا هذا الوجه[1]، ومما يؤكد هذا الطريق ما ذكره الإمام الباقلانى من أن اقتران ظهور المعجزة بالصدق إحدى العاديات فإذا جوزنا انحرافها عن مجراها جاز اخلاء المعجزة عن اعتقاد الصدق، وحينئذ يجوز اظهارها على يد الكاذب وهو محال على الله تعالى ومن ثم فهى دلالة عادية[2].

لكن ما الفرق بين دلالة المعجزة ووجه دلالة المعجزة؟!!

والجواب : أن الدلالة عند الجمهور على صدق الرسول إنما هي دلالة يقينية قطعية، أما وجه الدلالة ومعناه الجانب الذي يستدل به على صدق المعجزة ودعوى النبى في نبوته، وطالما أن الوجوه عديدة في وجه الدلالة، فإن الأقرب هو العادة.

ومن ثم يتضح محل الخلاف عند القائلين بالدلالة ووجه الدلالة على النحو الذي سبق توضيحه.

---

١) الشيخ / محمود بن محمد الحاكم / الفعل الإلهى والفعل الإنسانى / ص١٤٥ طـ مطبعة الهدى ١٣١٥هـ الديار العثمانية.

٢) راجع الإمام البغدادى / الفرق بين الفرق ص٢١٣ / تحقيق إبراهيم عثمان وأيضاً / الإمام سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / جـ٢ / ص١٨٨، وشرح المواقف للإمام الايجى / ص٣٤ حيث يقول : ان العلم بصدق الكاذب محال على الله أبداً.

وأنوه أيضاً إلى أن المعجزة في حد ذاتها إنما هي أمر ممكن الوقوع، ومن ثم فالقائلون بوقوعها على سبيل الامكان في نفسها أنما ينظارون إليها من حيث هي أمر ممكن، أما القائلون بالاستحالة، فإنهم ينظرون إليها لا من حيث هي وإنما من حيث عدم تعلق قدرة الله تعالى بالمستحيل، وهذا وهم، لأن قدرة الله تعالى تتعلق بكافة الموجودات والمعدومات على وجه سواء.

فإن تعلقت بالموجودات كانت إيجاداً، وإن تعلقت بالمعدومات كانت اعداماً، يقول الشيخ حسين الجسر : "من ثم ظهر أن الله تعالى هو الذي أحدث هذه الكائنات وأنه تعالى قادر على احداثها بدون شرط أو سبب أو زمن موضوع لتكونها فيجوز أن يوجد الله مثلاً نباتاً من النباتات في لحظة أو أقل من لحظة بدون الأسباب وكذلك قادر على اعدامها[١].

الثاني : رأى المعتزلة : وهو القول بالدلالة العقلية :

أصحاب القول بالدلالة العقلية يذهبون إلى أن الله خلق الأمر الخارق للعادة حالة مقارنته لدعوى الرسالة وتحديه للقوم المرسل فيهم مع عجزهم عن معارضته وتخصيص الرسل وحدهم بذلك يدل عليه من جهة العقل، على أن الله تعالى أراد تصديق من ظهر على يديه المعجز، ويستحيل عقلاً صدور المعجزة على يد الكاذب[٢].

كما يستحيل تصديق الله للكاذب أصلاً : يقول الشيخ عبد الغنى بركات : ان المعتزلة يذهبون إلى أن علاقة الأسباب بالمسببات ضرورة

---

١) الشيخ / حسين بن محمد الجسر / الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية ص٤٤ ط الحلبى ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

٢) أ. د توفيق محمد عبد البديع / دراسات في العقيدة الإسلامية ص١٧١ ط دار الفاروق ١٩٩٤.

عقليـة لا تتخلـف، ومتـى وجـد السـبب فلابـد مـن وجـود المسـبب عنـه ضرورة[1].

وفى نفس الوقت فإن الارتباط بين السبب والمسبب عقلي انه ما مـن سـبب إلا ويـأتى معـه مسـبب، ويتبنـى هـذا الـرأى الكثيـرون، حيـث يذهبون إلى أن كون الدلالة عادية معناه : أنها ليست يقينيـة، بـل فيها شك من جهة العقل.

ولست أدرى كيف تثبت واجبات الشرائع بدليل مشكوك فيه؟

وكيف يضرب الله تعالى من كفر بالأنبياء ويدخلهم النار خالدين فيها أبداً ما دام لم يقم عليهم حجة قاطعة من باب التصديق بالنبى[2].

من هنا يتبين أن القول بالدلالة العقلية قائم في أن وجه الدلالة هو العقل أيضاً، وبناءً عليه تكون دلالة المعجزة على صدق الرسول لابد أن تكون دلالـة عقليـة يقينيـة، لأن المعجـزة هـي الـدليل الوحيـد علـى صـدق الرسـول[3]، فيستحيل عقـلاً أن يظهرهـا الله تعـالى علـى يـد الكـاذب لأنـه حينئذ يختلط بالصداق وهذا إضلال لا هداية[4].

وقول المعتزلة بأن خلق المعجز على يد الكاذب ممتنع، لأن فيها إيهام صدقه إنما هو قول فيـه إضـلال قبيح مـن الله[5]، وهذا لا يليق بـالله

---

١) الشيخ عبد الغنى مصطفى أحمد بركات / الاتجاه العقلى عند المعتزلة ص٥٧ طـ أولى الدار العصرية بيروت ١٩٧١.
٢) د/ محيـى الـدين أحمـد الصـافى / محاضـرات فـي السـمعيات ص٣١ طــ أولـى ١٣٩٤/١٩٧٤.
٣) لا شك أن القول باعتبار المعجزة هي الدليل الوحيد على صدق الرسول غير مسلم. وإنما لابد من أربعة أوجه كل منها يؤدى دوره فيها.
٤) المصدر السابق ص٣١.
٥) شرح المواقف / ص٣٤٢.

عز وجل، والاستحالة العقلية مرفوضة لأنها تحد من سلطان القدرة الإلهية ولذا رفضها الإمام السعد التفتازانى الأشعرى فيقول : إن ظهور المعجزة على يد الكاذب لأى غرض فرض وإن جاز عقلاً بناءً على شمول قدرة الله تعالى فهو ممتنع عادة، معلوم الانتفاء قطعاً كما هو سائر العاديات(١).

وهذا يدل على أن أهل السنة والجماعة كان لديهم الكثير من فكرة التسامح العقلى وخروج أصحابه عن الألفاظ والمفاهيم التي تحد من قدرة الله عز وجل، أو تقلل من هيمنتها على الفعل الإلهى.

وفى تقديري : أن الدلالة العقلية لا تنهض أدلة القائلين بها، كما أنها تجعل العلاقة بين الأسباب والمسببات راجعة إلى الضرورة العقلية وليست راجعة إلى قدرة الله تعالى بالإضافة إلى أنها تحد من عمل القدرة الإلهية وتجعلها قادرة على العمل في وقت دون آخر، وبخاصة فيما يستحيل عقلاً، بينما لا يستحيل على الله شيئ أبداً.

الثالث : أصحاب اللغة القائلون بدلالة الوضع :

وهم يذهبون إلى أن وجه الدلالة في المعجزة على صدق الرسول مثل دلالة الألفاظ على معانيها اللغوية باعتبار أن اللغة تواضعية في أصولها، كما أن دلالة اللفظ على المعنى إنما تكون بحسب وضع الواضع، والدلالة المنطقية الوضعية هي كون النفظ بحالة بحيث يلزم من العلم بها العلم بالمعنى(٢).

---

١) العلامة سعد الدين التفتازانى شرح المقاصد / جـ٢ / ص١٣٢، وغاية المرام / الأمدى / ص٣٣٧ تحقيق حسن عبد اللطيف.

٢) د/ عوض الله جاد حجازى / المرشد السليم في المنطق / ص٤٠ طـ٣ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

فكأن الدلالة الوضعية بمنزلة قول الله عز وجل : صدق عبدى فيما يبلغ عنى[1] فمتى وجد الموضوع وهو المعجزة لزم عنه وصف وجود الموضوع له وهو النبوة لا على سبيل الدعوى وإنما على سبيل الثبوت، ومن ثم فمتى ظهرت المعجزة، ثبتت النبوة إذ لا يمكن صرف اللفظ عن ذات المعنى.

غير أن هذا الرأى القائم على أن وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول هو الوضع ينتهي إلى نفس القول الذي ذهب إليه القائلون من أن وجه الدلالة هو العقل لأن معناه متى وجد اللفظ الدال على المعجزة وجد المعنى، ومتى وجد لفظ المعجزة، وجدت النبوة، لا من طريق الوضع، وإنما يقوم بهذه العملية العقل أيضاً، لأنه الذي يلاحظ العلاقة بين الموضوع والموضوع له، ومن ثم يعود الوجه الثالث إلى الثاني ويكون الأمر في دلالة الوضع كالأمر في دلالة العقل، أما لماذا؟!!

فلأننا إذا قلنا أن لفظ المعجزة موضوع لصدق النبى في دعواه فإنه يلزم من ذلك ألا يتخلف اللفظ الموضوع عما وضع له، لأن اللفظ الموضوع يدل عقلاً على ما وضع له بعد ملاحظة الوضع، وبذلك يرد على القول بالوضع ما ورد على أصحاب القول بأن وجه الدلالة العقلية هو الذي يستدل به على إثبات النبوة[2] من مناقشات.

وفى تقديري : أن الله سبحانه وتعالى قد أجرى عادته بظهور المعجزات على يد الرسول الصادق، ولم يجعلها تجرى على يد المدعى الكذاب، لأنها لو جرت طبقاً لما طلب الكذاب لكان تصديقاً له، والله لا يصدق

---

1) الشيخ محمد عبد العظيم طه / دراسات في النبوة والأنبياء / ص٤٥ المطبعة المصرية القديمة ١٣١٧هـ.

2) د/ توفيق محمد عبد البديع / دراسات في العقيدة الإسلامية ص٩١.

الكاذبين أبداً ولكنها تجرى على طريقة التكذيب له، ومن ثمة تكون فضيحة، كما حدث لمسيلمة الكذاب حين تفل في عين الأعور لتبرأ، ففسدت السليمة[1].

ثم ان الله تعالى أجرى عادته بافتضاح أمر الكذابين، ولهذا صح القول بأن العادة الإلهية لم تتخلف من مبدأ الإرسال الإلهى منذ آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد ﷺ وهو القول الراجح، ولا عبرة بالمخالف ما دام رأيه مرجوحاً.

وبهذا أكون قد عرجت سريعاً على المعجزة باعتبارها أول الخوارق للعادات وأكثرها شهرة، وبها أيضاً يتم تثبيت أمر النبوة على الناحية الأساسية، وبناء عليه أقول : ان الحديث عن الكرامة سيكون هو محور هذا الكتاب، وبالتالى سأقفز للحديث عن الفراسة بحيث أقدم إلماحة عنها حتى أخلص لما بعدها.

1) وهذا من خوارق العادات التي تجرى إهانة لمدعى النبوة وتكذيباً له.

ثانياً : الفراسة

وردت مادة الكلمة فى اللسان العربى على معان كثيرة، بعضها يرجع إلى صفة من الصفات، وبعضها يرجع إلى مهارة من المهارات، فمن الصفات :

ما ورد في الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – مرفوعاً : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله(١).

ولما كانت الفراسة في هذا الوجود اللغوى، فلا شك أنها أيضاً لها وجود اصطلاحى مما يوكد أنها : صفة من الصفات(٢)، أو مهنة من المهن، أو علم من العلوم.

يقول جفرى بارندر : ان علم الفراسة هو دراسة ملامح الوجه كالندبة على الوجه أو الطريقة المعبرة في علم الكلام والمشى والفحص التفصيلى للمرضى(٣).

وقد تكون الفراسة عادية تعرف بقرائن الأحوال، وقد تكون وهبية إلهامية يخلقها الله عز وجل في القلب(٤).

بناء على ما سلف فلابد من تقديم نبذة عن الفراسة في أصل اللغة والاصطلاح على أساس أنها من الأمور الخارقة للعادة.

---

١) العلامة شمس الدين أبو الخير السخاوى / المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص١٩ / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت / تحقيق عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف.

٢) ولمزيد من لتفاصيل / راجع كتاب الفراسة للإمام الفخر الرازى / طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣) جفرى بارندر / المعتقدات الدينية لدى الشعوب ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام / سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٣١.

٤) شيخ الإسلام / زكريا الأنصارى / هامش الرسالة القشيرية ص١٨٠ طـ صبيح.

أولاً : في اللغة :

وردت مادة الكلمة (ف – ر – س) في اللغة على انحاء شتى منها :

١- ما يأتى بمعنى الحذق في الشيء مع الدقة.

تقول العرب : الفراسة اسم من التفرس متى جاءت بالكسر، أما إذا جاءت بالفتح، فإنها تكون بمعنى الحذق في ركوب الخيل، ومنه : تثبت وتحذر، فعلم الناس أنه فارس[1].

٢- معرفة صدق الأمور :

قال أهل اللغة : فرس الرجل، ما كان أمامه بمعنى : علم منه صدقه من كذبه[2] ومعنى هذا :

أن كل من نظر إلى الغير وأمكنه اختراق مشكلة العنصرى والوصول إلى ما تخبئه مظاهر الهيكلية فإنه يكون متفرساً ساحقاً.

٣- إدراك الباطن :

وردت في المصادر العربية مفردات الفراسة دالة على إدراك المتفرس ما في باطن الآخرين وكلما كان المرء مدركاً ما في بطون الآخرين فإنه يكون قد حقق أعلى قدر من الفراسة[3].

بيد أن الفراسة بهذا المعنى تعتبر علماً من العلوم ومن ثم عرفت بأنها "علم تتعرف منه أخلاق الإنسان وهيئته ومزاجه وتوابعه، أما حاصله فهو الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن[4].

---

١) العلامة مجدى الدين الفيروز أبادى / القاموس المحيط / باب السين فصل : الصاد / جـ٢ ص٢٣٦، ٢٣٧.

٢) العلامة التهانوى / كشاف اصطلاح العلوم والفنون جـ١ / ص٥٧.

٣) المعلم لويس المعلوفى / قطر المحيط / باب الفاء / ص٢٣٥ ط دار الجبل / بيروت.

٤) العلامة التهانوى / كشاف اصطلاح العلوم والفنون / جـ١ / ص٥٨.

وذهب العلامة الجرجانى إلى أنها التثبت والنظر على المعنى العام[1]، لكنه تعريف عام ينطبق على الفراسة بأنواعها المختلفة، وبالتالى فهو يقدم تعريفات اجمالية ولا يقدم تعريفاً خاصاً أو لغوياً.

ثانياً : تعريف الفراسة في الاصطلاح :

ذهب أهل العلم إلى تعريف الفراسة بعدة تعريفات، كل منها يجيء طبقاً لطبيعة النوع الذي يعالج، فذهب الإمام الفخر الرازى الأشعرى إلى أن الفراسة هى : الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن، وقد نبه الله تعالى على صدق هذا الطريق في قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿تعرفهم بسيماهم﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾[4]، ومن ثم فالفراسة اختلاس المعارف[5] بطريقة أو أخرى.

بيد أن هذا التعريف قد استخدم تعبير الاستدلال بالظاهر على الباطن ولم يبين ماذا كان يقصد بالفراسة كونها صفة لصاحبها أم هى معبر عن المواجه له.

لكن ذهب أهل الكلام إلى أن الفراسة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها وخال من التحدى، وغير مألوف للناس، وإنما يجريه الله على بعض عباده المؤمنين إلهاماً وتأكيداً[6].

---

١) العلامة / السيد الشريف الجرجانى / التعريفات / ١٤٥ / باب الفاء.

٢) سورة الحجر / الآية ٧٥.

٣) سورة البقرة / الآية ٢٧٣.

٤) سورة محمد / الآية ٣٠.

٥) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / م١ / ص٦٤٣ / طبعة دار الغد العربى بالقاهرة ط أولى ١٩٩١م، ١٤١٢هـ.

٦) الشيخ / محمد نصر الدين بن فتح الله الأنصارى : الفراسة في الإسلام / ص٣٧ ط المطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٥هـ.

ولا شك أن هذا التعريف رغم طوله إلا أنه يقدم فائدة جديدة، وربما أمكن حمل هذه الفائدة على ما ورد في الحديث الشريف من رواية أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتى أحد فإنه عمر"[١].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : "لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتى منهم أحد فعمر[٢].

ومن ثم فإن الفراسة لها وجود في اصطلاح علماء أهل الكلام من المسلمين، لكن هل الفراسة أمر واحد أم أمور متعددة؟

والجواب : أن الحديث عن الفراسة يستلزم جوانب كثيرة منها :

أنواعها[٣] من حيث الإيمان أو الكسب الوصفى أو الإلهام الجزئى، كما يقع لها تنوع آخر باعتبار الناتج، يقول الإمام الفخر الرازى :

الأول : ضرب يحصل للإنسان عن خاطره ولا يعرف له سبب، وذلك ضرب من الإلهام، بل ضرب من الوحى، ويساويه النفث في الروع وقد يسمى به[٤].

---

١) الإمام / ابن حجر العسقلانى / فتح البارى / فضائل الصحابة / فضل عمر / جـ٧ / ص٦٣.

٢) الإمام السيوطى / الجامع الصحيح جـ٥ / حديث ٣١٢٧ ص٢٩٨، والحديث من رواية الإمام الترمذى أيضاً.

٣) أنواع الفراسة ثلاثة : فراسة إيمانية، فراسة بدنية، فراسة علمية أو رياضية / مفاتيح الغيب جـ٣/٦٤٣.

٤) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٣ / ص٦٤٣.

أما الثاني : فهو ما يقع على القلب والخاطر معاً وتمثله الفراسة الإيمانية التي لا كسب فيها ولا مجهود، وكالحال مع فراسة كل من أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب – رضى الله عنهما – حيث أثر أن الصديق كان قد نحل عائشة أم المؤمنين جزءً من ثمار نخل فلما دنا أجله ألهمه الله تعالى أن زوجه حامل في ابنه – ولما لم يكن قد مرّ على زواجه سوى وقت قليل – فنادى على عائشة، ثم أخبرها، وروى ذلك الإمام مالك في موطأه، باب ما لا يجوز من النحل :

قال حدثنى مالك عن عروة عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : ان أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال : والله يا بنيه ما من الناس أحد أحب إلى غنى بعدى منكى، ولا أعز على فقراً بعدى منكى، وانى كنت نحلتك جاد عشرين وسقا، فلو كنتى جددتيه واحتذيتيه كان لكى، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواكى وأختاكى فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشة : فقلت يا أبتى : والله لو كان كذا أو كذا لتركته إنما هى أسماء فمن الأخرى؟ قال أبو بكر ذو بطن بنت خارجة أراها جارية[1].

---

١) الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه / الموطأ / ص٤٦٨، ٤٦٩ / باب ما لا يجوز من النحل تحقيق الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى / طـ الشعب. ويقول الإمام السبكى في طبقاته تعقيباً على تلك الرواية أنها تتضمن كرامتين لأبى بكر الصديق – رضى الله عنه – الأولى : أنه عرف أنه سيموت ولذلك قال لعائشة – رضى الله عنها – أنه مال وارث، والثانية : أنه قد عرف أنه سيرزق بمولودة له ما تزال في بطن أمها. راجع / الطبقات الكبرى / للامام السبكى.

وكالحال أيضاً مع فراسة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – مع أبى مسلم الخولانى[1]، وكان الرجل قد جاء من اليمن إلى المدينة المنورة، فأناخ راحلته بباب المسجد النبوى وقام يصلى، فبصر به عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فقام إليه ثم قال له : ممن الرجل؟ فقال من أهل اليمن، فقال عمر : فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال ذلك عبد الله بن ثوب، قال عمر : أنشدك الله أنت هو؟ قال الرجل : اللهم نعم، فاعتنقه عمر، ثم بكى، ثم أخذه عمر وأجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، ثم قال : الحمد لله الذي لم يمتنى حتى أرانى في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن[2].

---

١) مجمل قصة أبى مسلم الخولانى هو : أن الرجل يمنى مسلم تابعى – بلغته دعوة النبى محمد ﷺ وهو باليمن فأسلم، فلما ادعى الكذاب الأسود العنسى النبوة باليمن أنكرها عليه أبو مسلم، لكن الكذاب حاول انتزاع اقرار من الخولانى بالرجوع وسأله : أتشهد أنى رسول الله؟ قال الخولانى : لا أسمع، قال له الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال الخولانى : نعم، وكلما أعاد الكذاب السؤال أعاد الخولانى الجواب، فاغتاظ الكذاب الأسود وأمر بنار فألقى فيها الخولانى، فانتهت النار حتى خمدت ولم تحرق الخولانى، وخرج منها سالماً بإذن الله تعالى يضحك كرامة له، ولذلك حينما رآه سيدنا عمر – رضى الله عنه – فرح به وسُرّ واعتنقه وبكى وراح يجلسه بينه وبين الصديق ويحمد الله أن جعل من أمة محمد ﷺ من ينجيه الله من النيران كما نجى خليل الرحمن. راجع الشيخ مصطفى محمد الحديدى / اقباس من نور الحق جـ١ / ص٢٨٩/ طبع مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، وبحثنا في الفراسة بين الدين والعقل / ص٢٣، ٢٤ / ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢) المصدر السابق جـ١ ص٢٩٤. وذكر العلماء الكثير من فراسة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – ومنها : ما قاله عنه رسول الله ص : "لقد كان فيمن قبلكم ناس محدثون فإن يك في أمتى أحد فهو عمر" وقصته مع سارية قائد جيشه في نهاوند، وكتابه الذي أرسله إلى نيل مصر فجرى الماء فيه بقدرة الله، وعندما زلزلت الأرض في فترة حكمه فضربها بالدرة قائلاً : قرى – أى اهدئى ألم أعدل عليك، فاستقرت في نفس اللحظة. راجع / أ. نفيسة عابد / أصحاب الكرامات ص٦٦، ٦٧ طبعة المطبعة الفنية الأولى / بدون تاريخ.

وكالحال أيضاً مع فراسة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فقد ذكر "التاج السبكى" في كتابه الطبقات : أنه دخل عليه رجل كان لقى امرأة في الطريق فتأملها .. فقال له عثمان – رضى الله عنه – يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنى، فقال الرجل : أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ قال : لا ولكنها فراسة المؤمن(١).

بيد أن الحديث عن الفراسة وكونها من خوارق العادات يستلزم الحديث عن نقطتين أخريين هما حكم وقوعها، والحكم الشرعى لها وهذا ما سنتناوله ان شاء الله تعالى.

ثالثاً : حكم وقوعها :

ذهب أهل الإسلام إلى أن الفراسة أمر ممكن، وكل أمر ممكن يجوز وقوعه، لأنه لا تتعلق به استحالة أصلاً، وما دامت قد وقعت في الماضى فلا مانع من أن تقع في الحاضر أيضاً، ومن ثم ذهبوا إلى أنها حقيقة واقعة، وأنها تأتى من منح الله – عز وجل - .

بينما ذهب آخرون إلى إنكار الفراسة على أساس أنهم ينكرون الغيبيات، كما أن الفراسة لا تتحدث عن أمور يمكن تعلمها وفضلاً عن ذلك فإنها نسبية وليس من السهل التصديق بها.

والرأى الراجح أنها ما دامت أمراً ممكناً فإن وقوعه لا يكون مستحيلاً، وكما وقع في الماضى فلا مانع من أن يقع في الحال والاستقبال أيضاً، وهؤلاء الذين يزكوا رأيهم قد أقاموه على قواعد قائمة في الكتاب أو السنة باعتبار الظواهر العامة.

---

١) راجع / التاج السبكى / الطبقات الكبرى.

رابعاً : الحكم الشرعي :

ما دامت الفراسة من الأمور الممكنة، ووقوعها لا تنشيء عنه حرمة، فإن الحكم الشرعي فيها الاباحة أما لماذا؟!!

فلأن الأدلة المتعلقة بالتحريم لم ترد عليها باعتبار أنها تجري في أمور ممكنة، وما يتعلق بالممكن لا يكون مستحيلاً أبداً، أما لو كانت متعلقة بالمستحيل فإن وقوعها يكون في دائرة التحريم[1]، باعتبار أن الدليل الشرعي ان كانت ملامحه دالة على التحريم، فإن الحكم يكون بالحرمة، وما لم يرد نص بالتحريم فإن الأمر يكون واقعاً في دائرة الاباحة أو الندب أو ما شابه ذلك.

على كل حال أرى أن الفراسة أمر ممكن وأنها وقعت · يمكن أن تقع على جهات عديدة يستوي في ذلك موقف المتكلمين ودعاة الصوفية، بل ودعاة السلفية أيضاً، حيث يقرر ابن القيم أن الفراسة اس[illegible]اس حكم غيب من غير استدلال بشاهد[2]، كما يقرر ابن تيمية قريباً من هذا المعنى على أساس أنهما يمثلان طريقاً واحداً فيقول : "ان الفراسة اخبار شاهد بحكم غائب"[3].

من ثم يمكن القول بأن مفكري المسلمين قد تضافرت آرائهم حول الفراسة، وأكدوا على أنها أمر غيبي، وأنها أيضاً من خوارق العادات، لكنها تأتي من خلال "نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب"[4].

---

١) باعتبار أن الأحكام العقلية ثلاثة هي : الواجب، والممكن، والمستحيل، أما الأحكام الشرعية فخمسة : الحلال، الحرام، المكروه، المندوب، المباح، وما دام الأمر متعلقاً بحكم شرعي فلا يخرج عن واحد من الخمسة الشرعية.

٢) ابن القيم الجوزية / مدارج السالكين / جـ٢ ص٥١٢.

٣) ابن القيم / المعجزات / ص٣٨ تحقيق / علي السيد توفيق / ط القاهرة ١٩٧٤م.

٤) الإمام ابن القيم / مدارج السالكين / جـ٢ / ص٥٠٢ ونفس الفكرة مال إليها العلامة ابن أبي العز الحنفي / العقيدة الطحاوية / ص٤٤٦ وان كان تعبير ابن القيم أطول.

في نفس الوقت فإن الفراسة من هذا الجانب إنما تكون بحسب قوة الإيمان، وكلما كان المرء قوى الإيمان كان أيضاً حاد الفراسة(١).

وفى تقديري : أن الفراسة إنما هى أمر يجريه الله على يد الصالحين من عباده ما دامت متعلقة بقضايا إيمانية، وتهدى صاحبها إلى ما فيه الخير، لكن ذلك لا يمنع من القول بأن المحدثين كانت لهم جهود كبيرة حول هذا الجانب منها :

ما روى عن الحسن العسكرى عن أبى الدرداء من قوله : اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله، وأنه شيء يقذفه الله في قلوبهم(٢).

وذكر الإمام السخاوى أن بعض هذه الروايات فيه التماسك الظاهر، ومن ثم يمكن الأخذ به، وروى الطبرانى من حديث وهب عن ثوبان : احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله(٣).

والذى تطمئن إليه النفس أن الفراسة من الأمور الغيبية متى تعلقت بالجانب الإلهامى لأنها حينئذ تكون منحاً من الله عز وجل، أما إذا تعلقت بالجانب الرياضى، أو الجانب التعليمى فإنها تكون من باب الكسب الذي يمكن للبعض أن يتعلمه ولا يدخل في نطاق الغيبيات وهذا مما دعا العلامة المناوى إلى القول بأن ابن عطاء الله ذهب إلى أن اطلاع بعض الأولياء على بعض الغيوب جائز وواقع لشهادته له بأنه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه(٤).

---

١) الإمام القشيرى / الرسالة القشيرية / ص١٨٠ وقد نقل هذه الفكرة ابن القيم المتأخر عن صاحب الرسالة القشيرية كما نقلها أيضاً ابن أبى العز الحنفى مع تصرف يسير في العبارة.

٢) الإمام السخاوى / المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة / ص١٩ حديث ٢٣.

٣) الإمام السخاوى / المقاصد الحسنة / ص١٩ وراجع الإمام الترمذى / الجامع الصحيح / حديث ٣١٢١ / ص٢٩١.

٤) العلامة / المناوى / فيض القدير / شرح أحاديث البشير النذير / جـ١ / ص١٤٣.

وذكر المناوى أن الإمام الغزالى حكى عن بعض المتفرسين من المشايخ وأخبارهم وما يتعلق باعتقادات الناس وضمائرهم مما يزيد عن الحصر، كما ذكر أن حكايتها لا تنفع الجاحد، لأن من أنكر الأصل لا ينفعه التفصيل.

ولا أرى وجهاً لمنكرى الفراسات ممن يعتقدون أن في ظهورها خرقاً للعقل لما هو معروف من أن خوارق العادات لا تكون خوارق لعقول أبداً، كما أن الفراسة على الناحية الشرعية انما يعبر عنها بأنها سواطع أنوار لمعت في القلوب وتمكين معرفة جملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق تعالى إياها فيتكلم على ضمير الخلق كلام مشافهة لفظاً بلفظ وصوتاً بصوت(1).

ولا يبتعد أن عربى عن تعريف سابقيه كثيراً أو بخاصة الصوفية الأعلام حيث يقرر أنها : نور إلهى في عين بصيرة المؤمن يكشف له ما وقع في المتفرس فيه أو ما يقع منه ثم هى لا تخطيء(2).

لكن ذلك لا يمنع من القول بأن شيخ الاسلام زكريا الأنصارى وهو من شيوخ الصوفية والمتكلمين معاً مال إلى القول بأن الفراسة : معاينة المغيبات بالأنوار الربانية مفرس وآثار الصدور وأصله : خبر : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله(3).

وما دام أمر الفراسة إلى هذا الحد فإنى أقرر مطمئناً بأنها متى تعلقت بالإلهامية تعتبر أحد المصادر الرئيسية التي يقع عليها نوع من أنواع الأخبار بالغيب وتمثل في ذات الوقت أحد خوارق العادات بوجه عام.

---

١) العلامة / الشعرانى / الطبقات الكبرى / جـ١ / ص١١٠ طـ الحلبى.
٢) الإمام أبو بكر ابن العربى / الفتوحات المكية / جـ٢ / ص٢٦٢-٢٧٢.
٣) شيخ الاسلام / زكريا الأنصارى / الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية / ص١٧ / تحقيق بدوى / طـ مطبعة القاهرة ١٩٧٦.

ثالثاً : الإرهاص

سبق الحديث عن كل من المعجزة والفراسة على أساس أنها من خوارق العادات التي أخبر بها القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو جاءت فيهما معاً، غير أن أهل العلم قد ذكروا الإرهاص ضمن خوارق العادات واعتبروه أحد العلامات التي تمهد لمن تظهر على يديه حتى يكون نبياً، ومن ثم رأيت ضرورة تقديم إلماحة سريعة عن الإرهاص في كل من اللغة والاصطلاح بجانب موقف المسلمين منه، وسيكون ذلك على النحو التالي :

أولا : في اللغة :

وردت مادة الكلمة (ر – هـ - ص) على عدة معان :

١- بمعنى الإيذان بالشيء. تقول العرب : جاءت إرهاصات المطر، بمعنى العلامات المؤذنة به الدالة عليه[١].

٢- ما يدل على مقدم شيء ما : تقول المصادر العربية : عندى إرهاص بحدوث كذا، ومعناه : شعور بوقوعه، وهذا المعنى يرد كثيراً على مفاهيم العوام والخواص كل من الناحية التي يركز عليها[٢].

---

١) العلامة / الفيروزأبادى / القاموس المحيط / جـ٢ / باب الصاد / والراء وما يثالثهما / ص١٧٩، وراجع أساس البلاغة للعلامة الزمخشرى / باب الراء / والهاء وما يثالثهما / جـ١ ص٢١٢.

٢) العلامة ابن منظور / لسان العرب / جـ٢ باب الراء والهاء ص١٨٣، ١٩٧١، وراجع المعلم بطرس البستانى / قطر المحيط / باب الراء / فصل الهاء / ص٢٠٧ المطبعة العصرية.

بيد أن هذين المعنيين يأتى معهما معان كثيرة لكنها ترتد إليهما في الجملة، وفى تقديري أن الإرهاص يمكن تعريفه بأنه : الاعلان الواضح عن مقدم شيء غائب أو ينتظر مثله، فما هو الارهاص في اصطلاح العلماء؟!!

ثانياً : في الإصطلاح :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإرهاص ما د إلا أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من سيكون نبياً حتى يمهد له في النبوة بحيث يكون ذلك الذي ظهر على يديه الإرهاص قد قر بين الن س أنه نبيً[١].

بيد أن هذا التعريف ليس وحده في الميدان وإنما هناك تعاريف كثيرة كلها تتقارب فيما بينها لتحقق ذات النتيجة.

يعرفه صاحب مطالع الأنظار : الإرهاص : احداث ما هو خارق للعادة يدل على بعثة نبى قبل بعثته وكأنه تأسيس لقاعدة نبوة[٢].

ويعرفه الإمام السنوسى : "بأنه العلامة الدالة على بعثة نبى قبل بعثه كالنور الذي كان في جبين عبد المطلب، مأخوذ من الرهص بكسر الراء، وهو أساس الحائط، فأطلق على هذه العلامات : الإرهاص، لأنها تأسيس لقاعدة النبوة[٣].

---

١) العلامة الشيخ / محمد بن محمد بن على البنايوسى / من أنوار النبوة ص٣٥ طـ الدار المحمدية ١٩٥٥م.

٢) العلامة شمس الدين بن محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى / مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للبيضاوى وبهامشه حاشية السيد الشريف الجرجانى / ص٤١٢ / النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية.

٣) الإمام أبى عبد الله السنوسى / شرح السنوسية الكبرى المسمى بعمدة أهل التوفيق والتسديد تحقيق د/ عبد الفتاح عبد الله بركة / ص٣٥٩ دار القلم / الكويت / طـ الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م وأيضا / شرح المقاصد للعلامة التفتازانى / قسم السمعيات تحقيق / لسيمان سليمان خميس ص١٢، ١٣.

ويرى الشيخ محمد بن سلام أن الإرهاص : أمر خارق للعادة، كالحال مع المعجزة ولكنه لا يكون واقعاً بالتحدى(1).

ومن ثم فإن الإرهاص يمثل خارقاً أو جملة من الخوارق التي تشيع أخبارها بالنسبة لمن جرت على يديه بحيث تكون بمثابة الدلائل والظروف الممهدة لظهور نبى جديد.

وفى تقديري أن هذا النوع من خوارق العادات جرى كثيراً بين يدى رسول الله ﷺ كاخبار الكهان الصادقين به، وحديث بحيرى الراهب مع غلام خديجة ميسرة، وكذلك حديث كل من ورقة بن نوفل مع خديجة، وأحاديث أمية بن الصلت وقس بن ساعدة الإيادى، فإنها جميعاً قد تحدثت عن هذا الجانب باستفاضة.

جـ) حكم الإرهاص :

لا شك أن الإرهاص أمر ممكن وليس مستحيلاً بدليل وقوعه على الكثيرين من الأنبياء السابقين ووقوعه بكثرة مع سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم عدت الإرهاصات من جملة خوارق العادات، وجاءت فيها تفاصيل كثيرة، وبناءً عليه فهو أمر ممكن.

وقد حكى العلامة "السعد" أن المحققين من أهل الإسلام يجمعون على أن خوارق العادات المتعلقة ببعثة النبىّ إذا كانت متقدمة، فإن ظهرت عنه وشاعت وكان هو مظنة البعثة كما في حق نبينا محمد ﷺ حيث أخبر بذلك بعض أهل الكتاب والكهنة فإرهاص أو معناه تأسيس لقاعدة البعثة(2).

---

1) د/ على محمد عبد العظيم / دراسات في العقيدة / النبوات / ص217 ط2 / 1983.

2) الإمام سعد الدين التفتازانى / مقاصد الطالبين / جـ2 / ص128، 129.

أما ان شاعت هذه الأخبار المتقدمة ولم يكن هذا الذى أشيعت عنه مظنة البعثة فإنها تكون كرامة لا إرهاص، وبالتالى فقد وجدوا نوعين من أنواع الإرهاص :

الأول : الإرهاص المحض : وهو ظهور علامات تتعلق بخوارق العادات على شخص هو مظنة أن يكون نبى كظهور النور في جبين عبد الله والد سيدنا محمد ﷺ.

الثاني : إرهاص مشترك وهو ظهور الخارق على يد عبد لم تشع الأخبار عنه كما لم يشتهر أنه سيكون نبياً، وبالتالى فهذا النوع من الإرهاص يكون قاسماً مشتركاً بين النبى والولى، فان تأيد بأخبار فهو النبى وإن لم يتأيد فهو الولى، بناءً على اعتبار الإرهاصات من جملة خوارق العادات.

وخالف في ذلك الإمام بن تيمية حيث اعتبر أن ظهور الخوارق للعادات على من سيكون نبياً إنما هى معجزات، ولا فرق عنده بين أن يكون ذلك قبل إعلانه النبوة أو بعدها إذ العبرة عنده أن من جرت على يديه في الماضى هو ذات النبى الحاضر، ولما كان الحاضر هو الصورة التي يبرز فيها الماضى، فإن ظهور الخارق للعادة على يد النبى المخبر عن الله تعالى إنما يكون من باب المعجزات، بغض النظر عن كونها ممهدة أو مؤكدة.

وفى تقديري أن مثبتى النبوات يقرون بخوارق العادات ومنها الإرهاص الذي يكون قبل النبوة حتى يمهد لها، وهو الرأى الذي عليه العمل ويفوز بالأدلة القوية.

أما المنكرون للنبوات، أو المنكرون لخوارق العادات فإنما يخلطون بين ما هو خارق للعادة، وبين ما هو خارق للعقل ويجعلون

الجميع من باب خرق العقل حتى يصرفوا أهل الإيمان بالغيب عن التصديق بما شرعه الله عز وجل، ويكفي في الرد عليهم أن نقول :

أن المثبت يقدم على النافى، لأن الإثبات فرع الواقع، أما النافى فيحتاج إلى دليل، بل صار مما يجرى على ألسنة الناس أن المثبت يقدم على النافي وليس من راء كمن سمع.

وأما الذين أرهقوا أنفسهم بعدم الاعتراف بالإرهاص على أساس أن ذلك يكون قبل النبوة، ولا نبوة إلا بإنزال الدلائل المعجزات، فقد خانهم التوفيق، لأن أهل السنة عدوا من المعجزات ما هو متقدم غير مقرون بالتحدى ولا مقصود به إظهار الصدق، إذ العبرة بالمعجزة، أما ما قبلها فهو متمم لها ولا يمكن اسقاطه من جملة خوارق العادات، كما لا يمكن اعتباره بعيداً عن ميدان إثبات النبوة.

بناء على ما سلف يمكن القول بأن الإرهاص تأسيس لدعوى النبوة، وإظهار لمن سيكون نبياً، وإبراز لدوره المنتظر منه حينما يأمره الله بإعلان ذلك على الملأ.

رابعاً : المعونة

تحدثت عن الإرهاص كأحد الخوارق للعادات، وبان أنه يكون تأسيساً لدعوى النبوة على الرأى الراجح، وأنه أمر ممكن فعلاً وعقلاً، وأن من ينكره لا دليل عنده، غير أن المعونة هى الأخرى تأتى خارقاً للعادة، ومن ثم سألجأ إلى تعريفها في كل من اللغة والاصطلاح على النحو الذي سرت عليه في شكل منهجى :

أولاً : في اللغة :

وردت مادة الكلمة (ع و ن) في لغة العرب على العديد من المعانى من أبرزها ما يلي :

١- النهوض :

تقول العرب : أعان فلان الآخر من كبوته بمعنى : أنهض منها وصار قادراً على تخطيها وهذا المعنى يرد كثيراً في الماديات والمعنويات على السواء[١].

٢- المؤازرة :

قالت العرب : تعاون القوم على النصرة، ومعناه : أن كلاً منهم آزر أخاه بحيث لا يتحمل وحده عبيء المساعدة أو المدافعة[٢].

٣- تقديم منحة مالية أو دعم أدبى :

ومنه قولهم : عانت الأمم الغنية الأمم النقيرة مالياً : بمعنى قدمت لها قروضاً لإنشاء صناعات أو زراعات داخلية[٣].

---

١) العلامة / الزمخشرى / أساس البلاغة / باب العين والواو / جـ٤ / ص١٧.

٢) العلامة بن فارس / معجم مقاييس اللغة / باب العين والواو وما يثالثهما / ص٥١٧ / طـ دار الجيل بيروت.

٣) المعجم الوجيز / ص٤٤٢.

٤- التوسط :

يقال : فلان عوان بين هذا وذاك بمعنى : أنه متوسط بينهم، قال تعالى : ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون﴾[١]. ومعناه المتوسطة في العمر بين الصغر والكبر[٢].

٥- الدعم العينى :

ومنه قول العرب : فلان أعطى الفقراء معونة أغنتهم عن السؤال يوم العيد ومعناه : كفتهم فلم يحتاجوا لمد أيديهم طلباً للقوت.

٦- التخليص من الضيق :

يقال : فلان استعان بفلان حتى نفذ مما يعانى، ومعناه : ساعده على تفريج ما وقع فيه من ضيق.

من جملة ما سبق اتضح أن المعونة إنما هى مدد من خارج عن الشخص ذاته سواء أكانت مادية أم معنوية، وسواء قصد بها تكريمه على الناحية المادية أم اظهار قدرة على الناحية المعنوية، فما هى في الاصطلاح؟!!

ثانياً : في الاصطلاح :

عرفت المعونة في الاصطلاح بأنها : أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد ظاهر الصلاح تخليصاً له مما هو واقع فيه[٣]، ومن ثم فإنها تكون مغايرة للمغوثة كما هى مغايرة لكل من الكرامة والفراسة.

---

١) سورة البقرة / آية ٦٨.

٢) العلامة الزمخشرى / أساس البلاغة / والمعجم الوجيز / ص٤٤٢.

٣) العلامة الشيخ / محمد بن محمد بن الأمير / حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد / ص١٢١، وأيضاً / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / جـ٤ / ص٢٧١.

وذهب كثير من العلماء إلى أن المعونة قد تكون بطلب من المعان، وقد تكون بغير طلب منه، فإن طلبها جاءت على قدر طلبه، وإن لم يطلبها فإنها توفى على حاجاته وزيادة.

ومن ثم ذهب البعض إلى أن المعونة قد تكون بكسب، بينما ذهب آخرون إلى أنها تكون بالوهب، فمن مال إلى أنها تأتى بناء على طلب من المعانى فقد غلب جانب الكسب عنده، ومن مال إلى أنها لا تتعلق بطلب المعانى فقد جانب الوهب.

ثالثاً : حكمها :

يرى أهل الإسلام أن المعونة من خوارق العادات، وأنها تقع للعبد الصالح على سبيل المنح من الله عز وجل، والنصرة له، وقد تختلط بالكرامة، لكن يميز بينهما : بأن المعونة تكون من باب المساعدة في الخروج من أزمة ما، بينما الكرامة تكون اظهاراً لدور هذا الولى بين خلق الله ذكراً منه عند الله.

وفى تقديري : أن المعونة كغيرها من خوارق العادات، وأنها تأتى تكرماً من الله تعالى، وان جاءت أقل أثراً من المعجزة أو الكرامة أو الفراسة أو الإرهاص فما ذلك إلا من الأدلة على أنها وان ضاقت عن سابقيها بروزاً إلا أنها تماثل الجميع من حيث كونها خارقاً للعادة.

خامساً المغوثة

أمد الله تعالى من فيضه وكرمه أهل الإيمان به بمدد من عنده، وجعل هذا المدد يأتى على صور متعددة، كلها منح من الله – جل علاه – فإذا ما كان العبد مهيأ لاستقبال تلك المنح، فإنها تترى عليه من عند ربه – سبحانه وتعالى – بحيث يكون هو الموضوع الذي يقع عليه المزيد من النعم، يستوى في ذلك : الكرامة والفراسة الإيمانية والمعونة أيضاً[1].

لكن تبقى جزئية تابعة لتلك المفاهيم، وتجرى نحوها، ألا وهى المغوثة، ولذا كان لعلماء الإسلام فيها مجهودات متعددة الأنواع، سواء باعتبار التعريف، أم باعتبار من تجرى عليه، أم باعتبارات أخرى، وسوف ألمح إلى ذلك فيما يلي بمشيئة الله تعالى :

<u>أولاً : في اللغة :</u>

وردت مادة الكلمة (غ و ث) في مصادر العربية على العديد من المعانى من أبرزها ما يلي :

١- هطول المطر :

تقول العرب : نزل الغيث فأروى الجدباء : ومعناه : جاء المطر من أنعم الله تعالى فتحولت الأرض الميتة إلى أرض خضراء، وتحولت الجرداء إلى مكان للإنبات والزراعات[2]، وهذا المعنى يعطى مفهوماً

---

١) وقد استبعدت من هذا الجانب المعجزة والارهاص لأن لهما خصوصية تتعلق بكون من يأتيا على يديه نبياً، أما ما بعدها من مظهرات القدرة والمنزلة أو تفريج الكرب، فإنها تكون مع من سيكون بفضل الله تعالى ولياً، وهذا الفرق مهم جداً من وجهة نظرى على الأقل.

٢) العلامة / الفيروزأبادى / القاموس المحيط / جـ١ / باب الثاء / فصل الغين / وما يثالثهما ص١١٨.

جميلاً : هو أن من رحمات الله – جل في علاه – تنزل على الناس في أشكال مختلفة لكنها تكون كافية للجميع.

٢- إجابة الدعاء :

ورد في المصادر العربية القول بأن الله تعالى أغاث فلاناً : بمعنى أجاب دعاؤه وبالتالى : فالمغوث هو الذي وقع لدعائه شيء من الإجابة[1]، ومن ثم فكل من أجيب دعاؤه إنما يكون قد تحققت له المغوثة من الله – عز وجل –.

٣- الانقاذ مما يحيط :

تقول العرب أغاث فلان قومه بمعنى : أنقذهم مما يتربص بهم، وفى الحديث الشريف قول الرسول الكريم ﷺ : "ان الراعى لا يكذب أهله"[2] ومعنى ذلك أنه يغيثهم من الشرور التي تحيط بهم، ويباعد بينهم وبينها، وكل رجل يقود أمته إلى استنقاذها مما يتربص بها فإنه يكون مغيثاً لها وتكون أمته مغاثة[3].

---

١) المعلم بطرس البستانى / قطر المحيط / باب الثاء / فصل الواو / ص٢١٦ طـ دار الجيل / بيروت ١٩٧٨م.

٢) الحديث رواه البخارى جـ١ / ص٣٠٤

٣) ولذا ورد في أسماء العرب اسم المغيث، لأنه تقوم عليه اغاثة الحى الذي يعيش فيه يستوى في ذلك أن تكون الإغاثة مادية أم معنوية، أم تتمثل في ابعاد شبح ما يتخوفونه فيه / راجع / الشيخ / محمد نصر الدين المنياوى / أيام العرب وحضارتهم / جـ١ / ص٢١٣ طـ الدار الميمنية العامرية ١٣٢٨هـ / عناية الشيخ / فراج رزق الكردى.

٤- السحاب :

ورد في قواميس اللغة العربية : أن الغيث هو السحاب باعتبار أنه يحمل المطر، وصار ذلك من أوجه المجاز المرسل(١)، فتقول العرب : رعى جوادى الغيث ويسمونه المجاز المرسل وعلاقته المسببية(٢).

٥- الكلأ :

ومعناه ما يغيث الحيوان والإنسان في قوته، فلولا الكلأ لهلك الضرع ومات الكائن الحى، ومن ثم فقد بين الحديث الشريف أن الناس شركاء في ثلاثة فقال ﷺ "الناس شركاء في ثلاثة : الماء، والهواء، والشمس" وفى رواية أخرى : الماء والكلأ، والملح"(٣).

ومن ثم يظهر أن الكلأ يأتى كقاسم مشترك في روايتين مما يؤكد أن الكلأ يغيث الله به ما يعيش عليها : دليل ذلك قوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا . وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم﴾(٤).

---

١) المجاز خمسة أنواع : ١- المجاز اللغوى. ٢- المجاز العقلى ٣- المجاز العرفى. ٤- المجاز الشرعى. ٥- المجاز المرسل، وهناك من يذهب إلى وجود المجاز الاصطلاحى / راجع في هذا الشأن / حاشية العلامة / إبراهيم الباجورى على شرح السمرقندية ص٨ مطبعة الحلبى ١٢٠٨هـ

٢) الشيخ : منصور عبد العظيم الدهشان / شوارد المعانى والمجاز ص٤٨ طـ الدار المصرية بجوار محطة مصر ١٣١٨هـ.

٣) وفى رواية أخرى : الماء والكلأ والهواء. والحديث ذكره الإمام ابن تيمية في الفتاوى / جـ٣ / ص ٣٣٦.

٤) سورة عبس / ٢٤-٣٢.

يقول الشيخ "الصابونى" : "فلينظر هذا الإنسان الجاحد نظر تفكر واعتبار إلى أمر حياته كيف خلقه بقدرته، ويسره ورحمته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، وخلق له الطعام الذي به قوام حياته؟ وبقدرته تعالى أنزل الماء من السحاب على الأرض انزالاً عجيباً وشق الأرض بخروج النبات منها شقاً بديعاً، فأخرج بذلك الماء أنواع الحبوب والنباتات : حباً يقتات الناس به ويدخرونه، وعنباً شهياً لذيذاً، وسائر البقول مما يؤكل رطباً وزيتوناً ونخيلاً يخرج منها الزيت والرطب والتمر، وبساتين كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان، وأنواع الفواكه والثمار متاعاً للإنسان والحيوان الذي يتمتع به الإنسان"[(١)].

ويقول العلامة ابن كثير : "في الآية الكريمة : امتنان على العباد من رب العباد واستدلال باحياء النبات من الأرض الهامدة على احياء الأجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وأوصالاً متفرقة[(٢)].

مما سبق يتضح لنا أن المغوثة تأتى في اللغة على معان متعددة، وأنها تأتى كلها فيضاً من عند الله تعالى لا من عند غيره، فهو الذي يغيث البلاد والعباد، إذا شاء قال تعالى : ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[(٣)]. وذلك من آياته الدالة على كمال قدرته أن يرسل الرياح تسوق السحاب مبشرة بنزول المطر والانبات والرزق، ولينزل عليكم من رحمته الغيث الذي يحيى به البلاد والعباد، ولتسير السفن في

---

١) الشيخ / محمد على الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٣ / ص٥٢١، ٥٢٢، وأيضاً تفسير القرطبى / جـ١٩ / ص٢٢٠، ومختصر تفسير بن كثير جـ٣ ص٦٠١، والامام الألوسى / جـ٣ ص٤٣.

٢) تفسير القرآن العظيم / الإمام بن كثير / جـ٤ / ص٤٧١، ٤٧٢.

٣) سورة الروم / الآية ٤٦.

البحر عند هبوب الرياح بإذنه وإرادته طالبين رزقه ولتشكروا نعمه الجليلة عليكم[١].

ثانياً : تعريف المغوثة في الاصطلاح :

ذهب أهل الإسلام إلى تعريف المغوثة على الناحية الشرعية الاصطلاحية بتعريفات عديدة كل منها يجيء من الناحية التي يؤكد أصحابها عليها، ومن أبرز هذه التعريفات الاصطلاحية ما يلي :

التعريف الأول :

أنها أمر خارق للعادة يجريه الله على عبد مستور الحال انقاذاً له مما هو فيه وتفريجاً مما يحيط به، سواء كان طلبه بإلحاح أم على استحياء[٢]، ومعنى هذا : أنه متى وقع العبد في ضيق لا يستطيع وحده أن يجد له منه مخرجاً، ولجأ إلى ربه سواء أكان اللجوء على سبيل تكرار السؤال والإلحاح فيه، أم كان على سبيل الحياء من كثرة النداء، إذ وردت الأحاديث الشريفة بكل من الطريقتين، داعية إليهما آمرة بهما والمسلم دائماً يختار الأنسب له من خلال شرع الله الذى جاء به، ومن أبرز الملامح على ذلك قوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾[٣] فقد ندب المولى عز وجل عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة فضلاً منه وكرماً فإذا دعا العبد ربه أجابه وإذا سأله أعطاه، وأما الذين يتكبرون عن دعائه فإنهم سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين[٤].

---

١) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ص٤٢/١٤، والبيضاوى / ٢ / ١٠٦، والعلامة الصابونى / جـ٢ / ص٤٨١.

٢) الشيخ / نصر الدين محمد عبد العظيم المنياوى / أولياء الله وخوارق العادات / ص٩٨ طـ دار صقر ١٩٦٨م.

٣) سورة غافر / الآية ٦٠.

٤) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢٧ / ص٨٠ ، ومختصر بن كثير / ٢٤٩، والشيخ الصابونى : صفوة التفاسير / جـ٣ ص١٠٧.

والمعنى أن يتكرر الدعاء، فإذا لم تتحقق الإجابة فلا يغلق العبد المسلم باب الرجاء، وإنما يظل على تلك العلاقة آملاً في إجابة مولاه يوماً ما لما إليه دعاه.

كما جاء الطريق الثاني بعد الإلحاح وكثرة السؤال، ففى الحديث الشريف ما ورد أن الرسول ﷺ قال : "اربعوا على أنفسكم في الدعاء، فإنكم لا تدعون أصم ولا أبكم، وإنما تدعون سميعاً بصيراً"[1].

والمعنى أن المرء عليه الدعاء مع الأخذ بالأسباب، ولا يرفع صوته به، وإنما يكون في حياء واستحياء لقوله تعالى : ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً أن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾[3].

والمعنى : اذكر ربك سراً مستحضراً لعظمته وجلاله، ومتضرعاً إليه خائفاً منه وسطاً بين الجهر والسر، في الصباح والعشى، ولا تغفل عن ذكره فالملائكة الأطهار لا يتكبرون عن عبادته وينزهونه تعالى عما لا يليق به ولا يسجدون إلا له سبحانه وتعالى[4].

كما أن الداعى قد يستعجل الإجابة بينما هى ليست في صالحه، وتأجيلها عند الله لهذا الداعى أولى من تعجيل الإجابة[5].

---

١) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه بشرح النووى جـ١٧ / ص٢٦.
٢) سورة الأعراف / ٥٥.
٣) سورة الأعراف / ٢٠٥.
٤) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ٧ ص٣٤٧.
٥) والشواهد الشرعية على ذلك كثيرة : منها : ما روى أن رسول الله ﷺ قال : لا يعجلن أحدكم إجابة دعائه فإن الأمور تجرى بالمقادير، ولو عجل ما كانت الإجابة لصالحه فإنما هى أقدار تسير بأمر الله. والحديث رواه البخارى في صحيحه / جـ١ / ص٢٢٢ باب الدعاء.

التعريف الثاني :

أنها أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد خافي صلاحه عن الناس استنقاذاً له بطلب منه، فإذا لم يطلب المساعدة والإغاثة فإنه يكون آخذاً بالعزيمة أما إذا طلبها فإنه يكون آخذاً بالرخصة[1]، ومعنى هذا أن العبد المستور صلاحه عن الناس يمكنه أن يدعوا الله تنفيذاً لأمر الله في قوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾[2] ويمكنه أن يكون آخذاً بالعزيمة وهى الصبر على الابتلاء بحيث يكون صبره علامة على رغبته فيما هو أعلى مما لو تحققت اجابته، دليل ذلك في الصحابة الكرام – رضى الله عنهم اجمعين – .

ما ورد في الأثر عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل فتبعوهم بقريب من مائة رامى، فاقتصوا آثارهم حتى لحقوهم[3]، فلجأ عاصم وأصحابه إلى موضع مرتفع، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً[4].

---

١) الشيخ عبد الوهاب عبد العظيم المنيلاوى / أهل الله / ص٦٨، ٦٩. المطبعة العامرية درب الأتراك ١٣١٨م.

٢) سورة غافر / من الآية ٦٠.

٣) كانت عادة بعض الأعراب قطع الطريق على المارة لسلبهم أو اخافتهم أو قتلهم، فلما جاء الإسلام حرم ذلك كله. قال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ المائدة / ٣٣.

٤) وكانت عادة بعض العرب الوفاء بالعهد الذي قطع، بينما كانت عادة غيرهم أن يقولوا ذلك حتى يخدعوا من يتعاملون معهم، ومن ثم فلم يكن عاصم بن ثابت على ثقة من نية هؤلاء.

فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال : اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر، وبقى خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها(1).

فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر وأبى أن يصحبهم فجروه، وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه(2). ثم انطلقوا بخبيب وزيد، ثم باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا اجتمعوا على قتله استعار شفرة من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته(3)، قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه ووضعه على فخذه(4)، فلما رأيته فزعت فزعاً شديداً عرف ذلك منى وفى يده الشفرة فقال : أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله، وكانت تقول : ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب(5)، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة(6)، وانه لموثق في الحديدة وما كان إلا رزقاً رزقه

---

1) ومن ثم بان الغدر وظهرت الخيانة، إذ لو كانوا على الوفاء بالوعد ما فعلوا ذلك، وما أخلفوا موعداً ولا نقضوا عهداً.

2) وهكذا كانت نياتهم السلبية معبرة عن سلوكياتهم الشاذة وليس من طبيعة العرب الخلص أن يخلفوا وعداً، أو ينكثوا في عهد وبالتالى فقد كان هؤلاء من الأعراب الذين فقدوا الأصل والهوية.

3) لقد كان فرحاً بالموت، سعيداً بلقاء الله، فكان يعد نفسه للقاء الله كما يعد أحدنا نفسه ليلة عرسه.

4) وهذا مما يؤكد أن أهل الإسلام لا يعرفون الإرهاب أبداً، كما لا يعرفون شيئاً عن تصفية الحسابات مع الآخرين، همهم الأول رضوان الله، وغايتهم أن يسعدوا به جل علاه.

5) والفضل ما شهدت به الأعداء، فدل الأمر على أن هذه المرأة قد شهدت لسيدنا خبيب بأنه خير.

6) وهذا من أنواع الكرامات، لأن الكرامة قد تكون في ظهور فاكهة من غير أوانها أو قطع مسافة طويلة في وقت قصير أو استجابة لدعاء داع.

الله تعالى[1]، فلما خرجوا به إلى الحرم قال: دعوني أركع ركعتين[2] فركع ثم قال: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبقى منهم أحداً، واستجاب الله لعاصم يوم أصيب، فأخبر رسول الله ﷺ بخبره يوم أصيبوا خبرهم، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر[3] فحملته وسلم، فلم يقدروا أن يقتطعوا منه شيئاً.

وذكر ابن شهاب عن طريق عروة: أن خبيباً قال: اللهم إني لا أجد رسولاً إلى رسولك يبلغه عني السلام فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره ذلك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم: وعليه السلام، خبيب قتلته قريش[4].

ومن ثم فإن هذا الأسير فاضت روحه إلى رب العالمين، لكن الله حفظ جسمه فلم تنله يد من أيدى العصاة الكافرين، وإنما جعل جنداً من

---

١) ليست هذه العبارة من كلام المرأة، وإنما هي تصوير لنوع من أنواع الرزق التي ساقها الله عز وجل.

٢) لم يكن هذا من باب الهرب أو التماس الفرص، أو البحث عن حيل وإنما كانت صورة تلقينية لتعليم الدعاة كيف يكون عمل الداع إلى الله تعالى إذ أن الرجل يخبرهم رغبته في أداء ركعتين وهو يعلم أن أمره ينتظره بعدهما ولذا ذكرت بعض الروايات أن خبيباً قال: لولا أن تقولوا إني أخاف الموت لأطلت في الصلاة، لأن بها تقع مناجاتي لله / راجع / الشيخ عبد القادر أحمد عبد العظيم المنيلاوى: أولياء الله / ص٦٥ ط أولى دار الجيل / بيروت / ١٩٧٣م.

٣) وهي المعروفة باسم الزنابير، وهو حشرة ذات أجنحة شديدة اللدغ مؤلمة ضارة، ربما أدت لدغاتها إلى التسمم والموت أيضاً، فكانت هذه الظلة بمثابة الحماية لجسد سيدنا خبيب.

٤) وهذا مما أخرجه البيهقي في سننه، وأبو النعيم في حليته من طريق موسى ابن عقبة عن ابن شهاب، ومن طريق عروة بنفس الزيادة الأخيرة.

عنده يقومون على حمايته قال تعالى : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر﴾[1].

فهو لم يسأل الله الانقاذ، إذ كانت الدنيا بالنسبة له رخيصة، أما الآخرة فكانت أعلى من الجميع قدرا، وأحسن مآلا، ومن ثم حرصه على لقاء الله أكثر من حرصه على تفريج ما هو فيه.

وكم أنبأت السنة النبوية المطهرة عن الكثيرين ممن حدث لهم ذلك ولم يقع منهم شكوى، كما لم يجأروا بالدعاء والإلحاح، وإنما كان أمرهم التسليم التام لما قضى به الله وقدره، وهى نظرة لها تقدير كثير أيضاً، متى لوحظ أن صاحبها لا يستنكف عن عبادة الله أو دعائه، وإنما لوحظ فيها حرص ذلك على سرعة لقاء مولاه.

وآية ذلك : ما ورد عن الخليل إبراهيم – عليه السلام – حينما ألقى في النار وجاءه الأمين جبريل – عليه السلام – يسأله : ماذا تريد من معونة أو اغاثة، فكان جوابه كافياً في قوله : "علمه بحالى يغنى عن سؤالى" ويعبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى : ﴿... قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾[2].

فالقوم لما أرادوا إحراق إبراهيم – عليه السلام – جمعوا له حطباً مدة شهر حتى كانت المرأة تمرض فتنذر ان عوفيت أن تحمل حطباً لحرق إبراهيم، ثم جعلوه فى حفرة من الأرض وأضرموها ناراً، فكان

---

١) سورة المدثر / آية ٣١، وراجع / جامع كرامات الأولياء / للامام النبهانى جـ١ ص١١ مطبعة الحلبى بالقاهرة ١٣٨٠هـ١٩٦٢م.

٢) سورة الأنبياء / ٦٨-٧١.

لها لهب عظيم، حتى ان الطائر ليمر من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرها، ثم أوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، فجاء إليه جبريل فقال : ألك حاجة؟ قال : أما إليك فلا، فقال جبريل : فاسأل ربك، فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى : ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ولم تحرق النار سوى وثاقه[1].

وقد كان الكثيرون من الأنبياء والمرسلين – عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام يتمثلون من هذا الجانب أصدق تمثيل، دليل ذلك : أن رسول الله ﷺ حينما أذاه أهل الطائف وفعلوا به الكثير من صنوف العذاب، وجاءه ملك الجبال قائلاً له : يا محمد : ان الله جعلني أن أكون عند طلبك، فإن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فقال رسول الله ﷺ : اني أسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى[2].

التعريف الثالث :

انها أمر خارق للعادة يجعله الله على يد عبد ظاهر الصلاح استنقاذاً له من تعريف المعونة، ولكنه يفترق عنه باحتوائه على طلب السؤال ممن يشعر بأنه في ضيق كما أنه قد جاء فيه قيد : عبد ظاهر الصلاح، ومعنى ذلك أنه لم يعد مستوراً، فالقواسم المشتركة بينه وبين تعريف المعونة كثيرة، مما يجعلني أقرر تقاربهما في المعنى إلى حد كبير، واختلافهما في بعض الألفاظ إنما هو اختلاف في المعبر وطريقة تعبيره.

---

١) الإمام القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / ٣٠٣/١١ / ومفاتيح الغيب / جـ٢٢ ص٢١١، وراجع / مختصر تفسير ابن كثير / ٢ / ٥١٥، والعلامة الصابوني / صفوة التفاسير / جـ٢ ص٢٦٨.

٢) راجع : تفاصيل ذلك عند الإمام الذهبي في كتابه / تاريخ الإسلام ومشاهيره ص١٣٨ وما بعدها تقديم د/ عبد الحليم محمود / تحقيق حسام المقبسي، وكذلك للامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام جـ٢ / أثناء حديثه عن معجزات رسول الله ﷺ.

غيـر أن هـذه المغوثـة قـد تعـددت صـورها كمـا تعـددت أنواعهـا وأشكالها بحيث صـارت حقيقـة واقعـة دفعت أهل الإسـلام إلـى الحديث عنها من الجوانب المختلفة.

ثالثاً : حكمها :

لما كانت المغوثة من خوارق العادات، وقد وقعت فعلاً، كما جـاء ذكرها فـي الروايـات الحديثـة والتعريفات الاصطلاحية، وإمكـان تكرار الوقـوع، فإنهـا تكـون أمراً ممكنـاً، وكـل أمـر ممكـن لا محالـة أنـه يكـون واقعاً، وعليه جاء رأى المثبتين.

أما النافون لهـا فهم الذين يذهبون إلـى أن خوارق العادات أمـور غير ممكنة بناء على أن حقائق الأشياء ثابتة ولا يمكن التعديل فيهـا، بنـاءً على أن العلاقات التـي تربط بين الأسباب والمسببات إنمـا هـى علاقـات الحتميـة والسـببية العقليـة التـي تقـوم علـى أن السـبب والمسـبب يرتبطـان ارتباطـاً ضـرورياً لا ينفـك أحـدهما عـن الآخـر فـي العقـل مهمـا كانـت الأسباب(1).

1) د. زكى نجيب محمود / المنطق الوضعى / جـ1 ص7 ط5 / ومثله قال به من قبل كل من / كوندرسيه، وشيلك، وباتى يو، وعليه تقوم الوضعية المنطقية في صورها المتعددة، لمزيد من التفاصيل راجع / د. زكى نجيب محمود / الوضعية المنطقية / رسالة ماجستير / كلية البنات الإسلامية. القاهرة، الباحثة / نادية عبد الجواد حسن 1986م / وكذلك للدكتور / محمود عبد الحكيم عثمان / الفكر المادى الحديث أثناء حديثه عن الوضعية / رسالة دكتوراه / كلية أصول الدين ابالقاهرة / 1976م.

لكنـي أرى جهـة أهل الإثبـات أقوى، وأدلـتهم أرجـح، لأنهـا تقـوم علـى جانـب دينـى، وهـو ارتبـاط الأسـباب والمسـببات بنـاء علـى القـدرة الإلـهية، وما جرت به السنن الكونية، واستقر في أفهـام أهل الإسـلام من أن الارتباط بين السبب والمسبب، وإن كانت صورته تجرى فيها الحتميـة إلا أنهـا فـي الحقيقـة حتميـة عاديـة وليسـت عقليـة، والمسـبب وان كانـت صـورته تجرى فيهـا الحتميـة إلا أنهـا فـي الحقيقـة حتميـة عاديـة، وليسـت عقلية.

بمعنى أن الحتمية العادية تسمح للفعل بـأن يتخلـف عـن المفعـول، والسبب يتخلف مـن الارتبـاط بالمسبب، والأدلـة علـى ذلـك كثيـرة[١] ذكـر الإمام الغزالى منها البعض مستدلاً بالشواهد القرآنية : كعدم احراق النـار لسيدنا إبرايم – عليه السلام – في قولـه تعـالى : ﴿قلنـا يـا نـار كـونى بـرداً وسلاماً على إبراهيم﴾[٢].

كمـا أن ارتبـاط السـبب بالمسـبب لـو كـان عقليـاً حتميـاً لمـات أهـل الكهف في تلك المدة الطويلة التي لم تدخل أجوافهم مادة الحياة مـن طعـام أو شراب أو غذاء أو الحركة بدل الرقود رغم مضيهم تلك المـدة الطويلـة المتباعدة، قال تعالى : ﴿ولبثوا في كـهـفـهم ثلاث مـائــة سـنين وازدادوا

١) تمت دراسة هذه الجزئية في الفكر الإسلامى تحت عنوان / السببية / راجع د. عبد العزيز سيف النصر : نظرية السببية في الفكر الإسلامى، حيث خدم هذه القضية خدمة كبيرة.

٢) سورة الأنبياء / آية ٦٨-٧١.

تسعا﴾[1].

---

١) خلاصة قصة أصحاب الكهف كما ذكرها المفسرون : أن ملكا جبارا يسمى دقيانوس ظهر علىبلدة من بلاد الروم تدعى "طرطوس" بعد زمن عيسى – عليه السلام – وكان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان فلما رأى الفتية ذلك حزنوا حزناً شديداً وبلغ خبرهم الملك الجبار، فبعث في طلبهم، فلما مثلوا عند الملك توعدهم بالقتل، ان لم يعبدوا الأوثان ويذبحوا للطواغيت، فوقفوا في وجهه واظهروا إيمانهم وقالوا ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا﴾ فقال لهم : إنكم فتيان حديثه أسنانكم وقد أخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم، فهربوا ليلاً، ومروا براع معه كلب، فتبعهم، فلما كان الصباح أووا إلى الكهف وتبعهم الملك وجنده، فلما وصلوا إلى الكهف هاب الرجال وفزعوا من الدخول عليهم، فقال الملك : سدوا عليهم باب الغار-حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً، وألقى الله على أهل الكهف النوم فبقوا نائمين وهم لا يدرون : ثلاثمائة وتسع سنين، ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم أقاموا يوماً أو بعض يوم، وشعروا بالجوع، فبعثوا أحدهم ليشترى لهم طعاماً، وطلبوا منه التخفى والحذر، فسار حتى وصل البلدة فوجد معالمها قد تغيرت ولم يعرف أحداً من أهلها، فقال في نفسه : لعلى أخطأت الطريق إلى البلدة، ثم اشترى طعاماً، ولما دفع النقود للبائع جعل يقلبها في يده ويقول : من أين حصلت على هذه النقود؟ واجتمع الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويعجبون، ثم قالوا من أنت يا فتى؟ لعلك وجدت كنزاً؟ فقال لا والله ما وجدت كنزاً انها دراهم قومى، قالوا له انها من عهد بعيد، ومن زمن الملك دقيانوس، قال : وما فعل دقيانوس؟ قالوا : مات من قرون عديدة، قال والله ما يصدقنى أحد بما أقوله : لقد كنا فتية، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان فهربنا منه عشية أمس، فأوينا إلى الكهف، فأرسلنى أصحابى اليوم لأشترى لهم طعاماً، فانطلقوا معى إلى الكهف أريكم أصحابى.

فتعجبوا من كلامه ورفعوا أمره إلى الملك، وكان مؤمناً صالحاً، فلما سمع خبره، خرج الملك والجند وأهل البلدة، وحين وصلوا إلى الغار سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، فدخل الملك عليهم فرآهم يصلون، فلما انتهوا من صلاتهم عانقهم الملك وأخبرهم أنه رجل مؤمن، وأن دقيانوس قد هلك من زمن بعيد، وسمع كلامهم وقصتهم، وعرف أن الله بعثهم ليكون أمرهم آية للناس ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم، فقال الناس : لنتخذن عليهم مسجداً. يقول الشيخ سيد قطب : "وإلى هنا يبدو موقف الفتية واضحاً صريحا حاسما لا تردد فيه ولا تلعثم، إنهم فتية أشداء في أجسامهم. أشداء في إيمانهم، أشداء في استنكار ما عليه قومهم، ولقد تبين الطريقان، فلا سبيل إلى الالتقاء، ولابد من الفرار بالعقيدة انهم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوسط؟ ان هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها "وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ويعبدون الآلهة على سبيل التقية ويخفوا عبادتهم لله وقد كشفوا في أمرهم، فلا سبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم على الله وأن يختاروا الكهف على زينة الحياة، وقد أجمعوا أمرهم فهم يتناجون بينهم ثم يأوون إلى الكهف الضيق المظلم يستروحون فيه رحمة الله، فإذا الكهف فسيح تنتشر فيه الرحمة وتمتد ظلالها فتشملهم بالرفق والرخاء واللين" / راجع الشيخ سيد قطب / في ظلال القرآن الكريم ١٣/١٥ / تفسير الطبرى / ٢١١/١٥ / والامام القرطبى / ٣٥٤/١٠ والعلامة البيضاوى / ٢/٢.

ثم قد يحدث للمرء الجوع الشديد أيام طويلة ولا يموت، فلو كان الشبع مرتبط بالغذاء لمات هذا، وحوادث الدهر من الزلازل والعيوب الفنية والمبانى والمنشآت التي تنهار على رؤوس المقيمين فيها، وقد يعيش الواحد منهم أياماً كثيرة تحت الأنقاض دون أن يموت مع أنه لم يأكل ولم يشرب، ولو كان هذا الشخص نفسه بين الناس، وامتنع عن الطعام والشراب والغذاء تلك المدة لهلك، فتبين أن ارتباط الأسباب بالمسببات إنما هو ارتباط عادى وليس ارتباطاً عقلياً حتمياً.

كما أن الحوادث اليومية قد أنبأت بوقوع الغرق في ماء قليلة لسباح كان يقطع المحيطات، فلو كان ارتباط الأسباب بالمسببات ارتباطاً عقلياً، لما مات السباح الماهر في الماء القليل، وهو الذي يعبر المحيط الكبير.

وفى تقديري أن أصحاب الحتمية والسببية العقلية قد جانبهم الصواب، لأنهم لم يستندوا في مفاهيمهم إلى قدرة الله تعالى التي تقول للشيء كن فيكون، كما لم ينظروا إلى حقيقة هامة وهى : أن الأمور إنما تجرى بقضاء الله وقدره، وكل شيء عنده جل وعلا بمقدار، قال تعالى : ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[1] ﴿وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾[2] وقوله تعالى : ﴿والله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما نزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[3].

---

١) سورة القمر / ٤٩.

٢) سورة الحجر / ٢١.

٣) سورة الرعد / ٩/٨ وراجع من سورة المؤمنون آية / ١٨، وسورة الشورى / آية ٢٧ / وسورة الزخرف / آية ١٦.

فهو تبارك وتعالى كل شيء عنده بقدر محدود لا يتجاوزه حسب المصلحة والمنفعة، ما غاب عن الحس وما كان مشاهداً منظوراً، فعلمه تعالى شامل للخفى والمرئى لا يخفى عليه شيء[1].

رابعاً : صورها :

تتعدد صور المغوثة بتعدد الموضوعات التي تجنى فيها طبقاً لما ذكره أهل الإسلام، ومن أبرز تلك الصور ما يلي :

الأولى : الاستنقاذ من عوامل بيئية :

وهى التي تقع للعبد المستور حينما يحدث الجفاف، ويتوقف المطر، أو ترتفع درجات الحرارة عن الحد المعتاد أو تنخفض بحيث يؤدى ذلك إلى كوارث، فإذا دعا الرجل المستور ربه يسر له، وقد ورد ذلك في الحديث الشريف أن سيدنا العباس كان يستسقى به وبدعائه إذا رفع المطر، واشتد بالناس القحط، وقد دلت على ذلك دلائل السنة.

من ذلك أن النبي ﷺ خرج بالناس يستسقي لهم فقام فدعا الله قائماً ثم توجه قبل القبلة وحول رداءه فسقوا باب المرتهن بالقراءة في الاستسقاء[2].

بل كان رسول الله ﷺ وهو صغير يستسقى به القوم، وقد عبر عن ذلك عمه أبو طالب فقال :

أعز يستسقى به الغمام إذا وقعت بالناس القواصى الأجادب[3]

---

1) العلامة الصابونى / صفوة التفاسير / ٢٤٠ / ص٧٦، ٧٧.

٢) رواه البخارى في صحيحه جـ١ / ص٣٤٧. وفى هذا الباب وردت أحاديث كثيرة في هذا المقام فليرجع إليها من أراد المزيد وكذلك الإمام مسلم في صحيحه / جـ٢ / ص٦١٢.

٣) وبنفس المعنى مدحه سيدنا حسان بن ثابت / راجع ديوان حسان بن ثابت الأنصارى / دار صادر بيروت.

الثانية : الاستنقاذ من الأعداء :

حملت المؤلفات الصوفية صوراً عديدة لوقوع المغوثات على العبد المستور الحال من أيدى أعدائه(١) :

منها : ما حكى أن أحدهم قد وقع بين يدى أعدائه المتربصين به وقد أغلوه في قيودهم، حتى إذا طلع الصباح صنعوا به صنيعهم، وبينما هم نيام ألقى الله عليهم شدة النوم فكانوا كالسكارى حتى قام أحدهم إليه ففك قيوده وتركه حراً طليقاً بل حمله أيضا على دابة تبلغ به مأمنه(٢)، وهكذا أنقذ الله تعالى الرجل من أيدى أعدائه وليس هذا فحسب بل أنهم زودوه من غير أن يشعروا بأنه المطلوب بينهم(٣).

وفى تقديري : أن ذلك أمر ممكن، وجرت بأمثاله حوادث عديدة، حملتها أنباء المؤلفات التي نالت الثقة العلمية في طبيعة ما تحمله.

والله عز وجل يعطى العبد من عنده، وعطاء الله لا ينفذ، والصور التي يجيئ عليها هذا العطاء لا حصر لها، لأنها ما دامت نعماً، والمنعم هو الله، ونعمه لا تنقطع، فان تلك المظاهر لا تنقطع أيضاً، لقوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾(٤) أى وإن تعدوا

---

١) وقد أكثر من ذكرها وتنوعاتها الشيخ / عبد الوهاب الشعرانى / الطبقات الكبرى / وكذلك فعل العلامة القشيرى في الرسالة القشيرية حين كان يتحدث عن كبار الصوفية ورجال القوم.

٢) الشيخ / محمد ولى الدين عبد العظيم / أحباب الله وأوليائه / ص٨٧ طـ دار الفؤاد ١٩٤٥م.

٣) ومثل هذا يجرى في المؤلفات الصوفية على جوانب كثيرة / راجع للعلامة بن عجيبة / الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية / حيث ذكر العديد من تلك الأوجه، وراجع كذلك للشيخ / عبد الوهاب الشعرانى / الطبقات الكبرى وبخاصة الجزء الثاني حيث أكثر من ذكرها وذكر صورها على الجوانب المختلفة.

٤) سورة النحل / آية ١٨.

نعم الله الفائضة عليكم لا تضبطوا عددها فضلا عن أن تطيقوا شكرها ومع ذلك فهو سبحانه رحيم بالعباد ينعم عليهم مع تقصيرهم وعصيانهم(١).

وقد ذكر الشيخ " زروق" – رضى الله عنه – كثيرا من أدب الظاهر والباطن، وتحصيل الظاهر والباطن، وانتصار العبد على شهواته، واعتبار أن ذلك في حد ذاته نوع من الاستنقاذ الإلهى من الأعداء الطبيعيين، وكذلك الحال مع الشيخ " ابى مدين" الذي كان يقول من لم يمت لم ير الحق تعالى(٢).

ويبدو أن الشيخ أبا مدين – رحمه الله تعالى – قد خذ هذه الحكمة من قول الرسول - ﷺ - أنكم لن تروا ربكم عز وجل حتى تموتوا(٣). والمراد هنا موت الشهوات لأن النفس إذا ماتت عن الشهوات أمكنها أن تتعلق بما أعد الله لأهل الولاء من الكرامات، كما أن المرء المؤمن إذا مات في الدنيا، فإن الله عز وجل يكرمه برئيته في دار الآخرة

فموت النفس عن شهواتها يعقبه التجلى الإلهى الذي يظهر لها فى أجمل الصور وأجلاها، بل وفى أكملها وأحلاها، كما أن موت المؤمن يعقبه رؤية الله تعالى في الجنة إن شاء الله تعالى لقوله تعالى﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب

---

١) العلامة الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٢ ص١٢٢، وأيضا / الشيخ سيد قطب / في ظلال القرآن / ١٤ / ٦١، ومفاتيح الغيب / الإمام الرازى / ٢١٨/١٩.

٢) العلامة / أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى / الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية / ص٢٥٠ تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود / طـ عالم الكتب / ميدان الحسين / القاهرة ١٩٨٣م.

٣) رواه الإمام الطبرانى عن أبى امامة، ورواه أيضا الإمام البيهقى في سننه، والامام البغوى، ورواه غيره، مكما ذكره العلامة المقدسى.

الجنة هم فيها خالدون﴾[1] أحسنوا بالايمان والعمل الصالح فلهم الجنة والنظر إلى وجهه الله الكريم[2].

قال العلماء إن الحسنى هى الجنة، أما الزيادة فهى رؤية الله أهل الإيمان ربهم في دار الآخرة عيانا لقوله - ﷺ - انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليلة التمام، ثم قرأ قوله تعالى﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[3] فوجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة مضيئة من أثر النعيم، وبشاشة السرور عليها لأنها تنظر إلى جلال ربها وتهيم في جماله وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية المولى جلا علاه، والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب، قال الإمام الحسن البصرى : تنظر إلى الخالق وحُقَّ لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق وبذلك وردت النصوص الصحيحة[4].

الثالثة : استنقاذ من آلام وأمراض

المرض نعمة من أنعم الله، تجعل المرء على ذكرى دائمة بمولاه، والصحة نعمة من أنعم الله تجعل المرء دائما في خشوع لله الذي خلقه وسواه، وفى الحديث القدسى يقول ربنا جل علاه : إن من عبادى من لو أصححت له جسمه لكفر[5]، ولا يصلح له إلا المرض، وإن من عبادى

---

١) سورة يونس / ٢٦.

٢) الإمام الألوسى / روح المعانى / ١١ / ١٠٢، والامام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ٣٣٣/٨.

٣) سورة القيامة / آية ٢٢، ٢٣.

٤) الإمام الفخر الرازى / جـ٣ / ص٢٢٢، والحديث أخرجه الشيخان وأحمد – رضى الله عنهم – والامام مسلم في صحيحه، راجع تفسير الخازن / ١٨٦/٤، ومختصر ابن كثير / ٥٧٨/٣.

٥) وفى رواية أخرى لفسد / راجع النفحات السلفية. الأحاديث القدسية / ص٢٨.

من لو أمرضته لكفر ولا يصلح إلا الصحة، وأنا أرأف بعبادى من الوالدة بولدها[1].

كما أن الله تعالى بين أن الصحة نعمة تستوجب الشكر عليها، وأن المرض نعمة أيضا تستوجب الصبر عليها، فمن شكر زاده الله، ومن صبر أعانه الله، لقوله تعالى: ﴿وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾[2].

وقوله ﷺ - " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له[3].

وأهل الله إذا ابتلاهم مولاهم صبروا واحتسبوا، لكن قد ينظر الناس إلى هذا المبتلى على أنه معاقب، وتلك نظرة ضيقة، وحينئذ يلهم الله تعالى ذلك المستور فيلهج لسانه بالدعاء حتى يخفف الله عنه مرضه، أو يرفع عنه آلامه، وبالتالى يستجيب الله له في الوقت الذي كان يظن الآخرون أنه هالك لا محالة، فإذا هو صحيح معافى

دليل ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن نبى الله أيوب – عليه السلام – حين قال : ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾[4]، وقوله تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب

---

١) الشيخ / محمد النووى / الاتحافات الثنية بالأحاديث القدسية / باب الهمزة / ص٤٣ / تحقيق الشيخ محمد المدنى طـ١٩٥٣م.

٢) سورة إبراهيم / الآية ٧.

٣) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه جـ٤ / ص٢٢٩٥، والامام ابن حبان في صحيحه جـ ٧ / ص١٥٥.

٤) سورة الأنبياء / ٨٣، ٨٤.

إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب﴾[1].

قال المفسرون : كان أيوب – عليه السلام – نبياً من الروم، وكان له أولاد ومال كثير فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط الله البلاء والمرض على جسمه فصبر فمر عليه ملأ من قومه، فقالوا : ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك تضرع إلى الله فكشف عنه ضره، ولم يصرح بالدعاء ولكنه وصف نفسه بالعجز والضعف، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان فيه من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب فأجبنا دعاءه وتضرعه وأزلنا ما أصابه من ضرر وبلاء.

قال ابن مسعود : مات أولاده وهم سبعة من الذكور، وسبعة من الاناث فلما عوفى أحيوا له وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات[2].

ولا شك أن تلك الصور قد تتكاثر مظاهرها بحيث تشمل الفرادى أو الجماعات كما تشمل غيرهم، لكنها في كل حال، وعلى الجملة تؤكد

---

١) سورة / ص / آية ٤١-٤٣.

٢) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن الكريم / ٣٢٧/١١، ومفاتيح الغيب للامام الرازى / ٢١٥/٢٢، وقال الإمام القرطبى أيضا تحت قوله : ﴿وذكرى للعابدين﴾ أى وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر وفى هذا تذكير للعباد لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب ومحنته وصبره وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا مثل ما فعل أيوب وهو أفضل أهل زمانه، ويروى أن أيوب – عليه السلام – مكث في البلاد ثمان عشرة سنة، فقالت له امرأته يوماً : لو دعوت الله – عز وجل – فقال لها : كم لبثنا في الرخاء؟ فقالت : ثمانين سنة، فقال : إنى أستحيى من الله أن أدعوه وما مكثت في بلائى المدة التي مكثتها في رخائى. راجع الإمام النسفى / البحر المحيط / جـ٦ / ٣٣٥، والامام الرازى / جـ٢١٤/٢٢، والعلامة الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٢ / ٢٧٢.

أن هذا العبد مغاث من الله عز وجل وهذه الإغاثة إنا هى قائمة على التسليم لله من العبد المصر على طاعة الله القائم على إرضاء مولاه.

حكى الإمام الغزالى ما ورد أن رب العزة جل علاه يقول(١) : يا ابن آدم من أصبح حزيناً على الدنيا، لم يزدد من الله إلا بعداً في الدنيا إلا كداً، وفى الآخرة إلاّ جهداً وألزم الله تعالى قلبه هماً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يفرغ عنه أبداً، وفقراً لا ينال غنى أبداً، وآمال تشغله أبداً(٢).

يا ابن آدم تنقص كل يوم من عمرك وأنت لا تدرى وآتيك كل يوم برزقك وأنت لا تحمد فلا بالقليل تقنع، ولا بالكثير تشبع، يا ابن آدم ما من يوم إلا ويأتيك رزقك من عندى(٣) وما من ليلة إلا ويأتينى الملائكة من عندك بعمل قبيح(٤)، تأكل رزقى وتعصينى وأنت تدعونى فأستجيب لك وخيرى نازل إليك وشرك إلى واصل فنعم المولى أنا لك، وبئس العبد أنت لى(٥).

تسألنى ما أعطيك، واستر عليك سوأة بعد سوأة، وأنا أستحيى منك وأنت لا تستحيى منى، تنسانى وتذكر غيرى وتخاف الناس وتأمن منى وتخاف مقتهم وتأمن غضبى(٦).

---

١) ذكر ذلك الإمام الغزالى في كتابه / المواعظ في الأحاديث القدسية وهى الموعظة الرابعة.

٢) وهذا مما يؤكد أن الحرص على الدنيا مهلك لصاحبه مطيع للدنيا أيضاً.

٣) قال تعالى : ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾. سورة الذاريات / ٥٨.

٤) وفى الحديث الشريف : "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وهم الملائكة الذين يسجلون الأعمال".

٥) وقد ذكر العلامة الفشنى رواية تقول : انى والانس والجن في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويعبد سواء، خيرى إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد أتقرب إليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم، ويتباعدون إلى بالمعاصى وهم أحوج شيء إلى من أقبل على منهم ناديته من قريب، ومن أعرض عنى ناديته من بعيد.

٦) الإمام أبو حامد الغزالى / مجموعة رسائل الإمام الغزالى / الرسالة الخامسة والعشرون / المواعظ في الأحاديث القدسية ص٥٦٦ / دار الفكر / تنقيح مكتب البحوث والدراسات.

ومن ثم يتبين أن المغوثة من خوارق العادات، وأن الله سبحانه وتعالى يجريها على العبد الصالح المستور الحال، فإذا تبدل حاله وابتعد عن الطاعة فإن المسألة تتبدل معه أيضاً، لأن الله تعالى قد جرت سنته أن يستنقذ أهل الطاعة مما هم فيه من محن أو شدائد، لا أن يستنقذ أهل الضلال.

كما تبين أنها كخارق للعادة أمر ممكن وقع في الماضي، ويقع في الحاضر، ويمكن أن يقع في المستقبل، لأن علم الله سبحانه وتعالى تعلق بها تعلق إحاطة وإنكشاف، كما أن قدرته تعالى تعلقت بها تعلق إيجاد، والمعلوم أن هذا من الممكنات التي تعلقت بها قدرة الله تعالى وإرادته، ومن ثم فلا وجه للمنازعة فيها.

كما أن المنكرين لها لا يجدون سنداً يعتمدون عليه سوى الاستبعاد العقلي لوقوع خرق للعادات، ولكن هذا الاستبعاد مردود، لأنها خوارق عادات وليست خوارق عقليات، والمنازع إنما ينازع في خوارق العقليات، ونحن لم نتعرض لها، وإنا تعرضنا لخوارق العادات وهو يخلط بين المفاهيم ومثله لا يلتفت إليه.

وإلى هنا أكون قد تعرضت لخوارق العادات التي تأتي من الله تعالى على سبيل التأييد لمن جرت له، وبالتالي فسوف أنتقل إلى الخوارق الأخرى التي لا تجيء للتأييد وإنما تجيء للإهانة والتحقير وبيان كذب مدعيها واستنزاله بين قومه، وهو ما يعرف بالإهانة والاستدراج، ثم أعرج على ما يقع فيه التعلم والتعليم وهو السحر، ولا يقع به التأييد، لأن الله تعالى نهى عن السحر وبيّن أن أعمال السحرة حرام حيث قال جل شأنه : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾[1].

---

١) سورة / طه / الآية ٦٨.



الفصل الثانى

خوارق التكذيب والتحقير

عرضت فيما سلف لجملة من الخوارق للعادات التي تتعلق بتأييد الله – عز وجل – لمن بعث من قبله – جل شأنه –[1]، أو كانت تمهيداً وتأسيساً لقواعد النبوة[2]، أو كانت اظهاراً لمنزلة هذا العبد بالنسبة لمن يتعامل معه[3]، أو كانت الخوارق إعانة له على ما هو فيه بحيث لا تقع منه الشكوى لأحد، أو كانت استنقاذاً له من عدو يتربص به، أو كانت تلبية لاحتياجات دون أن يطلبها، أو جاءت في قطع مسافات طَوِيلَةً في فترة زمنية قصيرة، كالكرامات التي تتعدد صورها، وسوف أخصها بالحديث فيما بعد.

بيد أنى هنا سأتناول خوارق العادات التي لا تكون للتأييد، وإنما تكون للتكذيب والتحقير، ومن ثم فلا يغتر أحد بمن وقعت على يديه، كما لا يمكن اعتباره واحداً من الصالحين، لأن ما جرى على يديه ليس تأييداً

---

١) وهى المعجزات بأنواعها المختلفة من حسية وعقلية ومعنوية ووصفية أو فعلية عند من قال بها.

٢) وهو الإرهاص الذي تتعدد صوره كما جاءت أشكاله مع سيدنا محمد ﷺ وقد ذكرت ذلك كتب العقيدة ومنها : سقوط إيوان كسرى، وجفاف بحيرة ساوا، وانطفاء نيران فارس، وخرور الأصنام والأوثان، راجع في ذلك / شرح المقاصد / للعلامة سعد الدين التفتازانى / جـ٢ / ص١٣٨.

٣) وهو الفراسات الايمانية، لأنها خاطر يهجم على قلب العبد الصالح، ويثب عليه وثوب الأسد على الفريسة فيكشف الله له ما في نفوس الآخرين، وفى الحديث الشريف "اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله" / راجع العلامة / القشيرى / الرسالة القشيرية / ص٧ ط مطبعة صبيح، والحديث رواه الإمام الترمذى في كتاب التفسير، والعكسرى في الأمثال، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث رواه الإمام الترمذى في كتاب التفسير، والعسكرى في الأمثال، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص١٩ ط أولى الإمام السخاوى دار الكتب العلمية بيروت.

حتى يحسب له، وإنما هو تحقير وبالتالى يحسب عليه، وقد جاء هذا القسم في نوعين :

- أحدهما : الاهانة.
- ثانيهما : الاستدراج.

أما السحر فإنه يدخل ضمنهما باعتبار أنه غير مألوف لمن لم يتعلمه، لكنه في ذات الوقت منهى عنه ما دام قد تعلق به ضرر بالنسبة لأهل الإسلام، ولم تكن الحاجة داعية إليه من باب الدفاع عن الإسلام والمسلمين[1]. وسوف يكون ذلك على النحو التالى :

---

١) وسوف أتعرض للسحر من ناحية الحكم الشرعى أثناء تناولى له ان شاء الله تعالى.

١) الإهانة

وردت مادة الكلمة (هـ - و – ن) غير مادة الكلمة (هـ - ى – ن) كما وردت في القرآن الكريم أيضاً حوالى إحدى عشرة مرة[١] ومن ثم سأتناول الكلمة في اللغة والاصطلاح طبقاً للمنهج الذي سرت عليه :

أولاً : في اللغة :

وردت مادة الكلمة في اللغة على نواح عدة من أبرزها :

١- التحقير :

تقول العرب ... ان فلان الآخر : بمعنى حقره بين الناس، فلم يعد قادراً على رفع رأسه[٢] وبالتالى فكل من وقع عليه التحقير يكون قد أهين، سواء أكان ذلك قصداً أم عن غير قصد، وسواء أحب ذلك من وقع عليه التحقير أم كرهه.

٢- الاذلال :

ذكرت مصادر العربية قولها : أهان الشخص الآخر، بمعنى أذله وأسقطه بين أقرانه، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن﴾[٣] وذلك شأن من يعبدون الله تعالى على حرف، فإن أصابته نعمة رضى بها، وان وقع عليه ابتلاءاً اعتبر نفسه ذليلاً محقراً، وتخلى عن عبادة مولاه، قال تعالى : ﴿ومن الناس من

---

١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ص٧٣٩ باب الهاء.

٢) العلامة الزمخشرى / أساس البلاغة / باب الهاء / فصل الواو وما يثالثهما / ص٤١٦ طـ الشعب.

٣) العلامة بن فارس / معجم مقاييس اللغة / باب الهاء / ص٤٤١، وأيضاً العلامة ابن منظور / لسان العرب / باب الهاء / فضل الواو وما يثالثهما / جـ٣ / ص٣١١ طـ دار الجبل بيروت. والآية من سورة الفجر / ١٦.

يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾[1].

وهذا يتمثل للمذبذبين الذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين، بل عن قلق واضطراب كالذى يكون على طرف من الجيش فإن أحس بظفر أو غنيمة استقر وإلا فرّ، فإن ناله خير في حياته من صحة ورخاء أقام على دينه، وإن ناله شيء يفتتن به من مكروه وبلاء ارتد فرجع إلى ما كان عليه من الكفر، أضاع دنياه وآخرته فشقى الشقاوة الأبدية وخسر الخسران الواضح الذي لا خسران مثله[2].

٣- الخفة والهوان :

تقول العرب : فلان هان فلاناً : بمعنى استخف به ولم يعد له وزن يحسب له سواء كانت الخفة راجعة إلى ضعف العقل، أم إلى حالة ملازمة لصاحبها، كالمريض بين الأشداء، والفقير بين الأغنياء، ومعنى ذلك : أن خفيف العقل يهان حتى لو وقع له ما لم يقع لغيره.

٤- الشدة :

ومنه قول العرب : فلان أمسك نفسه على ما أهين به، ومعناه : اشتد على نفسه حتى لا تضعف فتقع بينه وبين غيره المنازلة، وهو غير مستعد لها[3].

---

١) سورة الحج / ١١.

٢) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١٢ / ص١٧، والبحر المحيط / جـ٦ / ٣٥٦، والعلامة الزمخشرى / تفسير الكشاف / جـ٣ / ١٤٤.

٣) راجع العلامة / الفيومى / المصباح المنير / باب الهاء / ص٣١٨، والعلامة صاحب مختار الصحاح باب الهاء / ص٤٩٣ المطبعة الأميرية.

٥- الخزى :

وكانت العرب في بعض أفرادها إذا وقع لأحدهم اخبار بأن زوجه ولدت أنثى شعر بالمهانة والخزى، فإما أن يمسكها على هذا الخزى، وإما أن يدفنها في التراب[١]، قال تعالى : ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوار من القوم من سوء ما بشر أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[٢].

فإذا أخبر أحدهم بولادة بنت صار وجهه متغيراً من الغم والحزن، والعرب تقول لكل من لقى مكروهاً قد اسود وجهه وامتلأ غيظاً وغماً، يختفى من قومه خوفاً من العار الذي يلحقه بسبب البنت، كأنها بلية وليست هبة إلهية، ثم يفكر فيما يصنع : أيمسك هذه الأنثى على ذل وهوان؟ أم يدفنها في التراب حية؟ ساء صنيعهم، وساء حكمهم حيث نسبوا لخالقهم البنات –وهى عندهم بتلك الدرجة من الذل والحقارة– وأضافوا البنين إليهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[٣].

من جملة ما سبق اتضح أن الاهانة لا تخرج عن معان التحقير والاذلال والخزى والخفة، وهى كلها من ملازمات من يدعى النبوة وهو

---

١) المعجم الوجيز / باب الهاء / ص٦٥٥

٢) سورة النحل / الآية ٥٨، ٥٩.

٣) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن الكريم / جـ١٠ / ص١١٥، ١١٦، والامام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢٠ / ص٧٢ ومختصر تفسير ابن كثير / ٢ / ٣٣٦، والشيخ الصابونى /: صفوة التفسير / جـ٢ / ٣١ والآية من سورة النحل / ٥٨، ٥٩.

كـــاذب بـــدليل أن مســـيلمة الكـــذاب حينمـــا ادعــــى النبـــوة[1] وزعـــم أن الـــوحى[2] يأتيـــه اســـتحقره قومـــه، فلمـــا طلبـــوا منـــه

---

١) فـي اليمامـة وفـى عصـر رسـول الله ﷺ تنبأ مسـيلمة الكـذاب حيث ولد بهـا وفـى قريـة البجليـة قرب العينيـة بـوادى حلفـا فـى نجد، واسمه : مسيلمة بـن ثمامـة بـن كثير بـن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة.

ويذكر الواصفون المؤرخون في وصفه أنه كان ضئيل الجسم ولم يعرف المؤرخون شيئاً عن طفولته ولا عن شبابه ولا عن رجولته المتأخرة، حتى حدثنا رسول الله ﷺ عن نبأ فريته في رؤيا رآها عليه الصلاة والسلام. ورؤيا الأنبياء حق. فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أتيت خزائن الأرض، فوضع في يدى أسوارين من ذهب، فكبرا علـى وأهمانى، فأوحى إلى أن أنفخهما فنفختهما، فذهبا، فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما : صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة. رواه مسلم في صحيحه / كتاب الرؤيا / باب رؤيا النبى ص ٢٢٧٣، ٢٢٧٤، ورواه أيضاً الإمام البخارى / كتاب المغازى / باب وقد نبى حنيفة جـ٨ ص٨٩ حديث رقم ٤٣٧٣، ٤٣٧٤، ٤٣٧٥، وراجع / السيرة النبوية لابن هشام / جـ٤ / ص٤٢٥، ٤٢٦، وأيضاً الروض الأنف / جـ٤ / ص٢٢٥.

ويقول أحد المفكرين : "أنها لما رجع مع وفد بنى حنيفة إلى مسقط رأسه اليمامة تنبأ وادعى أنه قد أشركه الله في الأرض مع محمد ﷺ وأن علامات الجشع وحب المنفعة قد ظهرت عليه وهو ما يزال على مشارف مدينة رسول الله ﷺ فقال أنه لا يرضى بغير أن يشركه النبى معه". د. طه الدسوقى حبيش / النبوة والتنبؤ / ص٣٩٦.

٢) حيث زعم أن ملك الوحى الذي يأتيه اسمه رحمان مرة، ثم زعم أن اسمه جبريل مرة أخرى، وهو في كل ما زعم كاذب / راجع / الكامل لابن الأثير جـ٣ / ص٢١٦، وأيضاً : البداية والنهاية للعلامة ابن كثير / جـ٨ / ص١١٩، وأيضاً / تاريخ الرسل والملوك للعلامة الطبرى / ص٢٧١، وقد أكثرت كتب التاريخ والسيرة من الحديث عنه ونبوءته الكاذبة.

معجـــزات جـــاءت تكـــذيباً لـــه[1]، واســـتهانة بـــه، وبيانـــاً لخفـــة عقله[2].

ثانياً : تعريف الإهانة في الاصطلاح :

أهل الإسلام يذهبون في تعريف الإهانة مذاهب شتى، كلها ترجع إلى وقوع الفعل الخارق على يد مدعى النبوة الكذاب إهانة له، وتحقيراً، من أبرز هذه التعريفات ما يلي :

١- أنها أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعى النبوة على غير مراده تكذيباً له في دعواه، وصرفاً للناس عنه[3]، ومعنى هذا أنها غير مألوفة للناس يستوى في ذلك ما بينها فعلاً أو تركاً بدليل أنها لم تحدد في شيء ما وإنما حددت بالصفة، فكل ما يدعيه النبى الكاذب يظهره الله على يديه لكن لا على وفق مراده، وإلا كان تأييداً، وإنما على غير مراده احتقاراً وخزياً.

٢- فعل من أفعال الله يقع مع النبى الكذاب استهانة له وتحقيراً لشأنه[4]. ومعنى هذا، أن الإهانة في ظاهرها فعل ولا يقع فيها

---

١) كالحال مع البئر الذي تفل فيه وكانت بها ماء قليل فغاضت بدل أن تفيض، وتفل في عين مريضة لتبرأ فعميت السليمة أيضاً، ومسح على رأس طفل صغير ليشفى فامتلأت رأسه وجلده بالأمراض الجلدية، ودعى لرجل بالبركة في ولديه، فلما عاد الرجل إلى داره وجد أحدهما قد غرق في بئر والثانى افترسه سبع.

٢) حيث جاءت النصوص التي ادعى نزول الوحى عليه بها مخيبة لآماله كقوله : يا ضفضدع بنت ضفضدعين. نقى أو لا تنقين، قدمك في الماء ورأسك في الطين، ومن أمثال قوله : "أنا أعطيناك الوحواح فصلى لربك وارتاح إن شانئك والخروف النطاح" وكثير من أمثال ذلك مما ادعاه ودل على خفة عقله وعدم سلامة فهمه.

٣) العلامة الشيخ محمد عبد الكريم النبهانى / خوارق العادات / ص٧٨ / المطبعة المليجية بالقاهرة ١٣١٨هـ.

٤) العلامة / عبد العظيم محمد بن خليل الشورى / الأنبياء والمتنبئون ص٢٧١ طبعة مطبعة فرج الكردى الأستانة ١٣٠٨هـ.

الترك، وأن هذا الفعل لا يكون معتاداً، إنما يكون من غير المعتاد، لأنه لو كان معتاداً ما كان خارقاً للعادة، ومن ثم فمجيئه من باب غير المعتاد مع المتنبيء الكذاب قد يوهم الناظر إلى أن هذا المتنبيء يشبه النبى، ولكن الله تعالى جرت سنته بأن النبى الصادق يقع له التأييد من الله لقوله تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[1].

فينصر الله تعالى الرسل والمؤمنين بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة المجرمين في هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة يوم يحضر الأشهاد والذين يشهدون بأعمال العباد، والآية وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن ينصره على أعدائه في الحياة الدنيا وفى الآخرة[2].

فنصر الله تعالى لأهل الإيمان وعده السابق لهم، أما الإهانة لأهل الخسران فأمر جاء في وعيد الله – عز وجل – لأمثالهم. قال تعالى : ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾[3] فاستولى على قلوبهم الشيطان وغلب عليهم وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم، فأتباع الشيطان وجنوده هم الكاملون في الخسران والضلالة لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم[4].

---

١) سورة غافر / الآية ٥١.

٢) الإمام الفخر الرازى / التفسير الكبير / جـ٢٧ / ص٧٥، والعلامة أبو السعود جـ٥ / ص١٢.

٣) سورة المجادلة / ١٩.

٤) العلامة الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢٩ / ص٢٧٤، وأيضاً العلامة القرطبى / جـ١٧ / ٣٠٣.

٣- أنها أمر مقرون بطلب صاحبها قائم على التحدى، لكنه يأتى على غير مراده إذ لو كانت على مراده لكان تصديقاً كالحال مع المتنبئين من أمثال طلحة بن خويلد[١]، ومسيلمة الكذاب، وسجاح[٢]، والأسود العنسى[٣].

١) طلحة بن خويلد الأسدى : ظهر في بنى أسد، وكان من أشجع العرب، يُعدُّ بألف فارس، قدم على النبى ﷺ في وفد أسد بن خزيمة سنة تسع، فأسلموا ثم لما رجعوا تنبأ صليحة وعظم أمره بعد أن توفى رسول الله ﷺ وكان يزعم أن "ذا النون" يأتيه بالوحى، وقيل بل يزعمه جبريل، لكنه لم يدع لنفسه قرآناً أما لماذا؟ فلأن قومه من الفصحاء، ولم يتابعوه إلا عصبة كالحال مع مسيلمة، وطلباً لأمر يحسبونه كائناً في العرب من غلبة بعضهم على جامعتهم، وإنما كانت كلمات يزعم أنها نزلت عليه مثل (ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، وقبح أدباركم شيئا، فاذكروا الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح) وأيضاً (الحمام واليمام والسرد الصوام، قد صحن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام).

راجع الإمام الطبرى / تاريخ الطبرى / جـ٣ / ص٢٨٤، ويلاحظ من كلام طلحة السابق والذى يعتبره "وحى" (فاذكروا الله قياماً) أنه يريد بذلك هيئة الصلاة من الركوع والسجود، فكانت في شرعه قياماً، وما من متنبيء في العرب أن يجيء بشيء مبتدئاً إلا أن يتشبه بالنبى ﷺ ويزيد وينقص فيما جاء، وتلك دلائل التزوير وعلاماته فترى لو كان هذا الأمر انسانياً وذكاء وصنعة أفلم يكن في جزيرة العرب كلها من أقصاها إلى أقصاها رجل واحد يبلغ شيئاً من ذلك الذكاء وتلك الصنعة فيأتى بشيء، أو يضع شيء، أو يكون هو على الأقل في هذا الأمر شيئاً مذكوراً.

٢) سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية من بنى تغلب وهم أخوالها، كانت راسخة في النصرانية، علمت من علمهم وتنبأت فيهم بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبى بكر الصديق، فاستجاب لها بعضهم وترك التنصير ومالأها جماعة من رؤساء القبائل، وكانت تحاكى الرسول ﷺ وتقلده في أقواله وأفعاله ما استطاعت حتى يصدقها ضعفاء الارادة وعبيد اللذة، راجع الإمام الطبرى / تاريخ الطبرى / جـ٣ / ص٢٣٠، وما بعدها.

٣) الشيخ / عبد القوى محمد سليمان الطنطاوى / النبوة والأنبياء / ص٨٣ طـ المطبعة القومية بجوار سكك حديد مصر ١٣١٣هـ، والطبعة الثانية والتى قام بتصحيحها الشيخ / فرج الكردى طـ المطبعة العامرية ١٣٢٣هـ. ==

ومعنى هذا أن الاهانة من خوارق العادات، وقد يطلبها مدعى النبوة، وبهذا يتمايز التعريف الثالث عن سابقيه؛ لأنه موضوع فيه قيد "طلب مدعى النبوة لهذا الفعل الخارق، لكنه لما جاء على غير مراد فقد بان ما فيه من فساد".

ومن المؤكد أن الإهانة تأتى على صور عديدة من ناحية الفعل، لكنها في مجملها دالة على التحقير والخزى والاستنزال، ومن ثم فلا ينخدع أحد بما يجيء من خوارق عادات على يد الكذابين متى تعلقت بغير مرادهم وجاءت على الناحية التي لا يريدونها، لأنها في هذه الحالة تكون بمثابة إعلان من الله بأن هذا الذي جرت على يديه مطرود من رحمة الله – عز وجل – .

ثالثا : حكم الإهانة :

من المؤكد أن الإهانة قد جرت وقائعها على أيدى الكذابين تحقيراً لهم واستهزاءً بشأنهم من ثم تكون ممكنه، لا من حيث هى وإنما باعتبار أنها مما تجرى به قدرة الله تعالى ويستقر في سنته العادية، قد دلت الوقائع الكثيرة على وقوعها مع مدعى النبوة قديماً وحديثاً.

== والأسود العنسى من اليمن : اسمه : عبهلة بن كعب العنسى ويلقب بعسيهلة، وذو الخمار، لأنه كان يقول : يأتينى ذو خمار، وكان رجلاً فصيحاً معروفاً بكالهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب، وقد تنبأ على عهد النبى ﷺ وخرج باليمن ولا يذكرون له قرآناً غير أنه كان يزعم أن الوحى ينزل عليه، وأن سحيقاً وشريفاً وهما ملكان يكلمانه ويأتيانه بالوحى، وكان إذا ذهب مذهب التنبؤ أكب ثم رفع رأسه وقال : يقول لى كيت وكيت – يعنى شيطانه –، وكان الأسود رجلاً جباراً عظمت شوكته وحارب المسلمين، وقتل قبل وفاة النبى ﷺ على يد الخارجين عليه. راجع الإمام السهيلى / الروض الأنف / جـ٤ / ص٢٦٦، وأيضاً اعجاز القرآن للرافعى و د. سعيد عبد الفتاح عاشور / أضواء على حركة الردة في صدر الإسلام.

ففـي القـديم ادعاهـا مسـيلمة الكـذاب، فجـاءت الإهانـة لتخزيـه وتكشـف عورتـه وفـي الهـلاك ترديـه، فـي نفـس الوقـت أعلنهـا الأسـود العنسي[1].

وحـديثاً : ادعـى النبـوة البابيـة علـى يـد : علـى محمـد رضـا الشـيرازى[2]، وادعـى أيضـاً مجـيء الخـوارق علـى يديـه، فكانـت نتيجتـه القتـل بالرصـاص فـي مـلأ مـن المشـاهدين وتركـت جثتـه دون أن تـدفن فنهشـتها الكـلاب الضـالة، جـزاء مـا اقتـرف، وكـان يـزعم أنـه عنـد موتـه ستنقله الملائكة إلى باب النقطة حيث يحتل مرتبة الألوهية، أو على الأقل يقفز إلـى مرتبـة النبـوة، ولكـن خـاب مسـعاه فجـاءت النتـائج علـى غيـر مـا يرتجى[3].

---

1) كان الأسود معاصراً لمسيلمة، وكانت نبوءة كلاً منهما تضرب بنبوءة الآخر كما هو الحال مع كل الكذابين، غير أن مسيلمة قتل قبل نهاية الأسود ولذا فقد عدَّ البعض بدعة مسيلمة الكذاب سابقة على بدعة الأسود، ولمزيد من التفاصيل راجع / الكامل : لابن الأثير، والبداية والنهاية للعلامة بن كثير، والروض الأنف للعلامة السهيلى / والفتوح للكوفى وغيرها من المؤلفات.

٢) هو ميرزا على محمد الشيرازى، ولد في غرة المحرم ١٣٣٥هـ / ٢٠ أكتوبر ١٨٢٠م بإيران، من أسرة تشتغل بالتجارة، ويتم في سن مبكرة، فكفله خاله "أغاسين على" وبدأ يدعى أنه الباب أو الواسطة بين الإمام الغائب والرعية، ثم تدرج منها إلى دعوى أنه المهدى المنتظر، ثم ادعى أن الوحى أنزل عليه، وأن الله حل فيه، وأنه مظهر الله، وأنه هو المرآة التي يتجلى فيها الله.

راجع : دائرة المعارف الإسلامية / النسخة العربية / دار الشعب جـ٥ / ص٥٠١-٥٠٣، وأيضاً : دائرة معارف القرن العشرين / محمد فريد وجدى جـ٢ / ص٥ : ١٦، والامام / محمد أبو زهرة / تاريخ المذاهب الإسلامية ص٢١١-٢١٩.

٣) الدكتور / عبد العظيم السيد الطويل / البابية وتعاليمها الفاسدة ص١٨ طـ دار الفجر الجديد ١٩٨١م والدكتور / محمد حسينى موسى / البابية قراءة جديدة، حيث جعل حديثه عنها في أشخاصها ومبادئها واعتقاداتها بجانب ما يتعلق بها من النواحى الشرعية وأيضاً د/ حسن محرم الحوينى / البابية والبهائية والقديانية.

ثـم خلفـه : "بهـاء الله[1]" – "حسـين المازنـدرانى" – الـذي أعلـن كونه نبياً وزعم اجراء الخوارق على يديه، فجاءت كل مزاعمه من قبيل الترهات، لكنها دلت على كونه كاذباً فـي كل مـا زعـم بدليل أنهـا أصـابته بالسوءات العديدة قبل أن تحقق له مصلحة واحدة[2].

كمـا ظهـرت مـن بعـدهما القديانيـة[3] والتـى ادعاهـا غـلام أحمـد القديانى وسار نفس الطريق الذي سبقه فيه زعماء البابية والبهائية، وكان

---

١) ميرزا حسين على نووى، المولود في طهران عام ١٨٣٣م – ١٢٣٣هـ، وفى بلدة نور من أعمال ولاية مازندران الإيرانية، وكان من أتباع قرة العين وهو الذي عمل على تهريب قرة العين من السجن وخبأها في بيته في طهران، نفاه الشاه مع الكثيرين مـن أتابعـه إلـى بغـداد، أعلـن عـن نفسـه أنـه البـاب الجديـد في السليمانية والمنـاطق الكردية، وأنه بشر به الباب السـابق – على محمد الشيرازى – بقولـه : ثم ادعـى أنـه المهدى المنتظر، ثم ادعى النبوة الخاصة، ثم ادعى النبوة العامـة، وأنـه لجميع البشر، ثم ادعى الألوهية آخر حياته على أساس أن الله حل فيه، ألف كتاب : الأقدس، وكتـاب الايقان، وغيرهم. نفاه والى بغداد إلى الاستانة، ثم اهلكه الله في مـايو ١٨٩٠م ودفن في قبر سمّى بيت البهجة على سفح جبل الكرل في فلسطين.

راجـع / احسـان الهـى ظهيـر / البابيـة والبهائيـة، نقـد وتحليـل / ص٢٣٧، وأيضـاً د. طـه الدسوقى حبيش / البهائية وسائل وغايات / ص٥٤، ٥٥، وأيضاً / المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامى عرض ونقد / ص٣٠٦، ٣٠٧.

٢) الأزهر الشريف / بيان للناس جـ٢ / ص٣٦، ٣٧ حيث تعرض للبهائية وما يتعلق بها وكذلك الدكتور / أحمد محمد عوف / خفايا الطائفة البهائية ص٥٢-٥٨، وأيضاً د. حسـن محـرم / البابيـة والبهائيـة والقديانيـة فـي المعـايير الإسـلامية وأيضـاً الأسـتاذ / إحسان إلهى ظهير / البهائية نشرة إدارة ترجمان السنة بلاهور.

٣) القديانيـة / مؤسسـها : ميـرزا غـلام أحمـد المولـود ١٢٥٢هـ-١٨٣٩م فـي ربـوة مـن قاديـان احـدى قـرى البنجـاب الباكسـتانى، وقـد نشـأ غـلام أحمـد فـي أسـرة عمليـة للاستعمار الانجليزى وكـان أبـوه واحداً مـن الـذين خـانوا المسلمين وتـآمروا عليهم وساعدوا الاستعمار لطلب الغزو والجاه، وفى عـام ١٩٠٠م أعلـن غـلام أحمـد دعوتـه رسمياً وادعى أنه نبى مرسل، وأن منكـر رسـالته كـافر، لا تؤكل ذبيحتـه، ولا يصلـى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ثم ادعى أنـه المهدى المنتظر، وكـان في بدايات حياته صاحب علل وأمراض كان معظمها يتصل بالدماغ ومراكز التفكير والذاكرة=

كغيره ممن يطلبون خوارق عادات، فتأتى عليهم داحضة أقوالهم، مبينة فساد ما يدعون إليه(١).

بل في نهايات العقد السابع من القرن العشرين، ظهر الاخوان الجمهوريون في السودان الشقيق بقيادة زعيمهم : "محمود محمد طه" والذى أسرف في الفكر وخرج على كل أصول ثابتة وادعى أن الإله له تنزلات ثلاثة، وأن العلم يأتى من خلال تنزلات ثلاثة أيضاً هى :

علم اليقين

عين اليقين

حق اليقين

ثم تجاوز كل الحدود وأعلن عن كونه نبياً يوحى إليه، وأنه ممنوع من أن تناله أيدى أعدائه، أو من يريدون له السوء، فكانت النتيجة أن حكم علماء المسلمين في السودان بقتله حداً، لكونه مرتداً، ونفذ فيه الحكم عام ١٩٦٩م، وكان يزعم لأصحابه أنه ان قتل ستنقله الملائكة

= وذلك بشهادة طبيبه الخاص "حكيم نور الدين" ولم يستطع أن يكمل دراسته، ولم يتمكن من الحصول على وظيفة مرموقة، ويذكر التاريخ الثبت أنه كان سليل أسرة غريبة على بلاد الهند، نزيلة بأرضها وهى من غير أهلها، واختير غلام أحمد وهو ليس بالعالم النحرير، ولا بالخطيب اللبق وإنما هو إنسان مغمور لا يكاد يفهم، ولا يكاد يبين وأسند إليه ما أسند من ضرب صفوف المسلمين، والتشكيك في سنة سيد المرسلين وتأويلها تأويلاً فاسداً لتتمشى مع أهوائه وتواكب خطيئته، ومن أهم دعاويه : أنه يطالب المسلمين بالتقليل من احترامهم الزائد للنبي ﷺ، فليس هو بالقدوة كما يظنون، وليس هو بالمربى كما يعتقدون، وعلى ذلك فإن احترامهم الزائد للنبي محمد ﷺ شرك يجب عليهم أن يتبرأوا منه.

راجع د. طه الدسوقى حبيش / السنة في مواجهة أعدائها ضمن سلسلة : الإسلام واستمرار المؤامرة / طبعة أولى ١٤١٦هـ١٩٩٥م / ص١٢٦١ مطبعة رشوان.

١) الأستاذ / عبد العظيم محمد رضوان / القديانية النشأة والعقائد ص١٥، ١٦ طبعة دار المنشأة بالإسكندرية ١٩٨٣م.

بأجنحتها إلى السماء، غير أنه لما قتل حداً ترك جسده على أمل أن تتحقق نبوءته الكاذبة، فإذا بالكلاب الضالة تقبل عليه لتنهشه، ولولا أن الله جعل حراس جثته ينهضون لمقاومة الكلاب ما بقى منه شيء، فكان ذلك بمثابة الإهانة له بعد موته(1).

وبناءً عليه نقول : إن الإهانة أمر ممكن من حيث هو، وأن المنكرين للإهانات على أنها خوارق عادات لم يقدموا شيئاً من الأدلة يوضع في حسبانهم، بل على العكس من ذلك ان كل حجاجهم قائم على استبعاد وقوعها من الناحية العقلية، ولكنا نقول بإمكان وقوعها من الناحية العادية.

والفرق بين اثباتنا لها ورفضهم كبير جداً باعتبار الاتجاهين والقيام على الغايتين، ولا يقطع احتجاجهم وقوعها، بل العكس، فإن وقوعها هو الحقيقة المؤكدة على أساس القاعدة القاضية، بأن المثبت يقدم على النافي، ومن عنده دليل يسبق من لا دليل عنده وليس من راءٍ كمن سمع.

---

1) لمزيد من التفاصيل راجع د/ محمد حسان كسبه / الفكر الباطني والاخوان الجمهوريون جـ1، 2، وأيضاً من أشهر كتب هؤلاء – الاخوان الجمهوريون – ما يأتي :
1- تعلموا كيف تصلون.
2- الثورة الثقافية.
3- الأضحية غير واجبة
4- السفور لا الحجاب
5- تنزلات علم اليقين
6- الصلاة والزكاة أحكام منتهية
7- السفور أو القبور

وكل هذه الكتب من تأليف زعيمهم : محمود محمد طه، وإليه تنسب وقد نشرت في السودان، كما انتقل بعضها إلى بلدنا المسلم، وما تزال صداها يتردد بين بعض الشباب السذج الذين لا يدركون ما في هذه الأفكار من أضرار راجع : د/ محمد حسيني موسى / الاخوان الجمهوريون في السودان / وأيضاً : أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة.

رابعاً : صور الإهانة :

تتعدد صور الإهانة بتعدد الموضوعات التي تجيء فيها، بدليل أن مسيلمة الكذاب لما ادعى النبوة، وجيء له بالدقيق حتى يباركه، فإذا بالهواء يطيره ويعسف به، ومن ثم فإني سأذكر بعض تلك الصور :

الأولى : ظهور نهيق حمار :

ذكر ابن أبي الدنيا : أن رجلاً يدعى أبو قزعة وهو من أهل البصرة قال : مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة، فسمعنا نهيق حمار، فقلنا : ما هذا النهيق؟ قالوا : هذا رجل كان عندما تكلمه أمه بشيء يقول لها : انهقى نهيقكى، فقالت أمه : جعلك الله حماراً، فلما مات ظل يُسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة[1].

وهكذا يكون صوت الحمار، أو نهيق الحمار الذي يخرج من القبر غير معتاد، وإنما يكون خارقاً للعادة، لكنه يفضح صاحبه، ولا يكون لصالحه أبداً، ومثله يجب أن يوضع في الاعتبار على أنه من قبيل الاهانات التي تكررت على أهل الفسق والعصيان كثيراً.

الثانية : غيضان الماء بدل الفوران :

ذكرت المؤلفات التي كتبها أصحابها عن المتنبئة : أن مسيلمة الكذاب سأل عن معجزات سيدنا محمد ﷺ الحسية، فقالوا له : منها : أنه ﷺ تفل أو تمضمض في ماء بئر قليلة جداً ففاضت. فقال مسيلمة : وأنا سأفعل ذلك، فطلب سجلاً[2] من ماء، ثم تمضمض فيه، فإذا بالماء

---

١) العلامة الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا / من عاش بعد الموت / ص٣٠ / حققه وعلق عليه أبو معاذ ايمن بن عارف الدمشقى / مكتبة السنة طـ أولى / ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢) هو الوعاء الذي توضع فيه الماء ومن ثم فإن طبيعته تسمح بوجود كمية من الماء فيه يقول صاحب المعجم الوجيز / السجل هو الدلو العظيمة / مادة السين / ص٣٠٣.

يغيض، ثم دعى إلى ذلك مرة أخرى، فطلب دلواً من ماء، ثم بصق فيه، وأخذوا هذا الدلو وألقوه في آبارهم، فما من بئر ألقى فيه شيء من ذلك الماء إلا أملح وصارت ماؤه غوراً، وما من شجر للنخيل وضع بجواره شيء من هذا الماء إلا فسد حِمْله اهانة له، وانتكاسة لوعده[1].

وأن هذه الصورة قد تكررت مع مسيلمة بشكل لافت للنظر، ومع هذا لم يرتدع، وإنما كان يلجأ للمكابرة، ويزعم أن الوحى الذي يأتيه قد تخلف ملكه وأن ملائكة الوحى يتنازعون عليه، وقد كثرت أراجيفه كما كثرت طرهاته، وبخاصة بعد أن ذاق عسيلة سجاح، وذاقت عسيلته، وصار أمر النبوة بينهما محل مساومة[2].

---

١) العلامة الشيخ / محمود عبد العظيم البنهاوى / المتنبئة الكذابون – من مسيلمة إلى القديانية ص١١٢ طـ دار المعتصم ١٣٦٥هـ.

ومن هذا القبيل أيضاً ما يحكيه الإمام الطبرى "من أن امرأة من بنى حنيفة تكن بأم الهيثم أتت إلى مسيلمة فقالت : ان نخلنا لسحق – وهى الطويلة من النخل – وان آبارنا لجرز – أى مجدبة – فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان فقال : بالنهار : ما تقول هذه؟ فقال : ان أهل هزمان أتو محمد ﷺ نشكوا بعد مائهم، وكانت آبارهم جرز، ونخلهم سحق، فدعا لهم فجاشت آبارهم وانحنت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها، فحكمت به الأرض حتى انشبت عروقاً، ثم قطعت من دون ذلك فعادت فسيلاً مكمماً ينمى صاعداً، قال وكيف صنع بالآبار؟ قال : دعا بسجل فدعا لهم فيه، ثم تمضمض بفمه منه، ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار، ثم سقوه نخلهم، ففعل النبى ما حدثتك وبقى الآخر إلى انتهائه، فدعا مسيلمة بدلو من ماء، فدعا لهم فيه ثم تمضمض منه، ثم مج فنقلوه فأفرغوه في آبارهم، فغارت مياه تلك الآبار وخوى نخلهم، وانما استبان ذلك بعد مهلكه :

راجع الإمام الطبرى / تاريخ الطبرى / جـ٣ / ص٢٨٤.

٢) حيث يذكر المؤرخون أن سجاح بعد زواجها من مسيلمة تنازلت عن دعواها النبوة، كما تنازلت عن المنازعة في اقتسام ثمار الأرض مقابل أن تحصل هى على زواج دائم من مسيلمة، بجانب مهر يرضى عنه أهلها، رغم أنها كانت متزوجة في ذات الوقت بابن عم لها نصرانى أيضاً، فجمعت بين رجلين في وقت واحد رغم تحريم ذلك في المسيحية وتحريمه في النصوص الشرعية الإسلامية.

الثالثة : إمراض العين السليمة بدل إشفاء المريضة :

ذكرت المصادر : أن مسيلمة الكذاب ادعى جريان المعجزات على يديه وأن معالم ذلك قدرته على ابراء العين المريضة، وأنه يعارض بذلك الفعل ما قام به سيدنا محمد ﷺ حين رد عين قتادة إلى وضعها فكانت أحدَّ العينين بصراً، وأكثرهما جمالاً[1].

فقام مسيلمة بطلب رجل مرضت عينه فنفخ فيها، فإذا بالعين السليمة هي الأخرى تمرض، وصار الرجل أعمى العينين بدل أن كان مريضة واحدة منهما[2].

وكذلك كان حال مسيلمة في كل عين تعرض لها، أو كل مرض حاول إبراءه، بحيث يكون ذلك الخارق إهانة له واستنزالاً لشأنه، وتحقيراً لشخصه وما يقوم به أمام الناس الذين يدعوهم إلى نفسه.

الرابعة : ظهور أشكال عذاب القبر عليه :

ذكر ابن أبي الدنيا : عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : خرجت مرة لسفر فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج ناراً في عنقه سلسلة من نار، ومع اداوة من ماء[3]، فلما رآنا قال :

---

١) العلامة / القرطبي / الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / جـ٢ / ص١١٨، ١١٩ تحقيق د. أحمد حجازى السقا / دار التراث بالقاهرة.

٢) الشيخ على عبد الغفار الدينوري / المتنبئة الكذابون وخطرهم على المجتمع المسلم ص١١٢ المطبعة الميمنية / مراجعة الشيخ / أحمد نصر أبو الوفا / ١٣٢١هـ.

ومن هذا القبيل يقول الطبرى : ان نهاراً قال لمسيلمة : برك كل مولودى نبى حنيفة، فقال له، وما التبريك؟ قال : كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً ﷺ فحنكه ومسح رأسه. فلم يؤت مسيلمة بصبى فحنكه ومسح رأسه الاقرع لثغ واستبان ذلك بمهلكه. راجع الإمام الطبرى / تاريخ الطبرى / جـ٣ / ص٢٨٤ وما بعدها، ففيه الكثير من هذا القبيل.

٣) هي إناء صغير يحمل فيه الماء عند السفر ويكون غالباً من جلد المواشي، والعرب تعرفه لأنه يحفظ الماء من التغير.

يا عبد الله اسقنى، فقلت يبدو أنه عرفنى فدعانى باسمى، فلما وقفت إليه إذ خرج على إثره رجل من القبر يقول لى : يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ السلسلة واجتذبه فأدخله القبر، ثم أضافنى الليل إلى بيت عجوز بجانب هذا القبر، فسمعت من الليل صوتاً من داخل القبر يقول : بول وما بول : شن وما شن، فقلت للعجوز ما هذا؟

قالت : كان هذا زوجاً لى، فإذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له ويحك ان الجمل إذا بال تفاج[1]، فكان يأبى، فهو ينادى منذ يوم مات قائلاً : بول وما بول، قلت لها فما الشن[2]؟

قالت جاءه رجل عطشان كاد يهلك فقال اسقنى! قال له زوجى دونك الشن؟ فإذا ليس به شيء من ماء، فخر الرجل ميتاً دون أن يروى عطشه والماء كثير عندنا، فهو ينادى منذ يوم مات : شن وما شن[3]، فلما قدمت رسول الله أخبرته، فنهى ﷺ أن يسافر الرجل وحده[4].

ومن هذا يتبين أن صور الإهانة قد لا تقف عند حد، وإنما تتعدد بتعدد الموضوعات وتعدد المناسبات، مما يؤكد أن الإهانة لم تنقطع، بل انها تجيء على مدعى الولاية الآن وهو كاذب في مدعاه فتكون بمثابة الشاهد على كذبه وكم من صاحب طريق سلكه لا يقصد إلا علو كعب

---

١) أى وسع ما بين رجليه حتى لا يصاب جسمه بشيء من بوله، وذلك كناية عن رغبته في الاستبراء والمبالغة في المحافظة على النظافة.

٢) هو إناء شبه الابريق، كانت تستخدمه العرب في نقل الماء ويوضع على أبواب البيوت ومداخل الخيام حتى يشرب منه الواردون العطشى.

٣) العلامة أبو بكر بن أبى الدنيا / من عاش بعد الموت / ص٣٥ والحكايات عن هذا كثيرة قد امتلأت بها كتب المواعظ.

٤) راجع في ذلك / آكام المرجان في أحكام الجان / وأيضاً لابن الجوزى / تلبيس ابليس، وكذلك / لابن القيم / اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

بين الناس زلت به قدماه فانهار في نار جهنم، والله لا يهدى القوم الظالمين.

خامساً : المنكرون لها :

أنكر أقوام الإهانة زاعمين عدم وقوعها من قبل الله – تعالى – وأنها ان وقعت فما ذلك إلا من تلبيسات الشيطان، مستدلين على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، فمن استدلالاتهم القرآنية قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[2].

والمعنى واذكر يا محمد يوم يجمع الله الثقلين : الإنس والجن جميعاً للحساب قائلاً على سبيل التوبيخ والتقريع : يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس من اضلالهم واغوائهم وقال الذين أطاعوهم من الإنس ربنا انتفع بعضنا ببعض، انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها، وانتفع الجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصّلوا مرادهم فلما وصلوا إلى الموت والقبر ووافوا الحساب تحسروا على حالهم فقال الله تعالى رداً عليهم : النار موضع مقامكم وهى منزلكم خالدين فيها إلا الزمان الذي شاء الله أن لا يخلدوا فيها[3].

١) سورة الأنعام / آية ١٢٨.

٢) سورة الأنعام / آية ١٢١.

٣) الإمام الرازى / التفسير الكبير / جـ١٣ / ص١٦٧ / والعلامة البيضاوى / ص١٨١.

وفـى الآيـة الثانيـة : يقـول المفسـرون : وإن الشياطين ليوسوسـون إلى المشركين أوليائهم في الضلال لمجادلة المؤمنين بالباطل في قولهم : أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟ يعنى الميتة، وان أطعتم هؤلاء المشـركين فـي اسـتحلال الحـرام وسـاعدتموهم علـى أباطيلهم انكـم إذاً مثلهم[1].

وفـى الحديث الشريف : "ان الشيطان ليفتح للعبد مائـة بـاب مـن أبواب الخير لا يريد بها سوى باب واحد من أبواب الشر"[2] وبالتالى فـإن هذه الأفعـال ان ظهرت علـى أحد فمـا ذلك إلا مـن استخدام القرين على طريقة غير مأمونة[3].

لكن هذا الرأى غير مقبول لأنـه خلط بين فعل الله الذي يجـيء تكـذيباً لمـدعى النبـوة وبـين فعـل الشـيطان الـذي يجـيء مـن بـاب الغمـز للإنسـان، واسـتخدام الشـيطان علـى أسـاس أن الشـيطان متـى قـورن مـع صـاحبه صـار يقدم لـه بعض التعاونات حتى يضله عن أمره قـال تعـالى : ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنـى برىء منك إنـى أخاف الله رب العالمين﴾[4].

فمثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال، كمثل الشيطان الذي أغرى الإنسان بالكفر ثم تخلى عنـه وخذلـه، فلما كفر الإنسـان تبرأ منـه الشـيطان وقـال إنــى أخـاف عـذاب الله وانتقامــه ان كفـرت بــه، وقـول

---

١) العلامة ابن كثير / مختصر تفسير ابن كثير / ٦١٢/١ / الكشاف / للزمخشرى ٤٩/٢.

٢) رواه البخارى في صحيحه / جـ٥ / ص٢٤٥.

٣) راجع / آكام المرجان في أحكام الجان / ولابن الجوزى / تلبيس ابليس، وكذلك / اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم.

٤) سورة الحشر / آية ١٦.

الشيطان ﴿إني أخاف الله﴾ كذب منه ورياء لأنه لو خاف الله لامتثل أمره وما عصاه[1].

والذى تطمئن إليه النفس : أن خرق العادة من الله تعالى على يد مدعى النبوة الكذاب أمر ثابت في النصوص الشرعية، ومن ثم كان إنكاره لا مسوغ له، بل ما دامت المنازعة فيه لم تقع من أصله، وإنما وقعت في طبيعة الحاكم عليه وهو العقل فإن القاعدة الأساسية هى أن هذا العمل أمر ممكن سبق وقوعه، ولا مانع من تكرار ذلك الوقوع أيضاً من باب الإهانة لمدعى النبوة، والتكذيب المستمر لدعواه الكاذبة.

---

١) راجع العلامة القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١٨ / ص٣٥، وأيضاً التفسير الكبير / ٢٨٩/٢٩، وأيضاً تفسير البيضاوى / ٤٧٨/٣.

٢) الاستدراج

أولاً : في اللغة :

ظهرت مادة الكلمة في القرآن الكريم باعتبارها نصاً شرعياً، من ذلك قوله تعالى : ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم ان كيدى متين﴾[١].

والمعنى : أن الذين كذبوا بالقرآن من أهل مكة وغيرهم سنأخذهم قليلا وندنيهم من الهلاك من حيث لا يشعرون، وذلك بأن تتواتر عليهم النعم، فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم، فيزدادوا بطراً وانهماكاً فى الغيَّ حتى تحق عليهم كلمة العذاب[٢].

ومن ثم فقد وردت مادة الكلمة (د – ر – ج) في القرآن الكريم حوالى عشرون مرة[٣]. كما وردت الكلمة في المصادر العربية على معان عديدة من أبرز هذه المعانى ما يلي :-

١- الحركة القليلة :

يقال درج الصبى في المشى بمعنى تحرك حركة قليلة، لأنه لو ترك وحده ربما سقط في الطريق[٤]، ومعنى هذا أن حركته القليلة ربما دفعت به إلى القفز أو الانطلاق بعيد عن مواطن اسرته فيقع له الهلاك.

٢- الانقراض :

يقال هذه آثار لقوم درجوا بمعنى : انقرضوا في أفرادهم فلم يعد لهم وجود كقوم الأحقاف وعاد الأولى، قال تعالى ﴿ واذكر أخا عاد إذ

---

١) سورة الأعراف / الآية ١٨٢/١٨٣.
٢) العلامة بن كثير / مختصر تفسير بن كثير / ج ٢ / صـ ٧٠.
٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة / درج / صـ ٢٥٥ ، ٢٥٦.
٤) المعلم بطرس البستانى / قطر المحيط / باب الدال / فصل الراء وما يثالثهما ص ١١٨.

أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى. وثموداً فما أبقى. وقوم نوح من قبل انهم كانوا أظلم وأطغى﴾[2].

ففى الآية الأولى يخاطب المولى تبارك وتعالى نبيه محمد ﷺ قائلاً له : اذكر يا محمد لهؤلاء المشركين قصة نبى الله هود – عليه السلام – مع قومه عاد ليعتبروا بها إذ أنذر قومه وحذرهم من عذاب الله ان لم يؤمنوا وهم مقيمون بالأحقاف وهى تلال عظيمة من الرمل في بلاد اليمن، قال قتاده : كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر، وقد مضت الرسل بالانذار من هود ومن بعده وحذرهم هود عليه السلام أن لا يعبدوا إلا الله انى أخاف عليكم ان عبدتم غير الله عذاب يوم هائل وهو يوم القيامة[3].

٣- <u>الخلط المتواصل :</u>

ومنه قولهم أدرج الشيء في الآخر بمعنى اختلط كل منهما بالثانى اختلاط أبنية كما نقول : اختلط السكر بالعسل، واختلط الجير بالماء فلم يعد لأحدهما استقلال[4].

---

١) سورة / الأحقاف / الآية / ٢١.

٢) سورة النجم / آية رقم / ٥٠ ، ٥٢ والمعنى أن الله تعالى أهلك قوم عاد القدماء الذين بعث لهم نبى الله هود – عليه السلام – وكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وأطغاهم، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية، قال الإمام البيضاوى سميت عاداً الأولى : أى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام / راجع تفسير البيضاوى ج٤ / صـ١٧٤ وأيضا العلامة الصابونى / صفوة التفاسير / ج٣ / صـ ٢٧٩.

٣) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢٨ / ص٢٥ وأيضا / مختصر تفسير بن كثير / جـ٣ / ٣٢٢.

٤) العلامة / الزمخشرى / أساس البلاغة / باب الدال / ص٦٨.

٤- الخداع :

قالت العرب : استدرج فلان صديقه بمعنى خدعه حتى حمله على أن يدرج إلى أمر من الأمور التي ليس مستعداً إليها، يستوى في ذلك أن يكون أمر الاستدراج من جهة المال أو من جهة القدرات العقلية[1]، ومن ثم فكل من استدرج إلى أمر من الأمور التي ليس مستعداً لها فإنما يكون قد وقع في الخداع وكانت أطماعه هي الدافعة به إلى هذا الموقف الغريب.

٥- السخرية والاستهزاء :

ومنه قولهم : درج فلان إلى الآخرين حتى استبانت علته فسخروا منه وهزئوا به حتى صار أمثولة بين عارفيه، ومعنى هذا : أن كل من استدرج إلى فعل ليس مستعداً له، أو من تحمل الانطلاق إلى عمل ليس من طبيعة امكانياته فقد خدعته تلك الامكانيات وأسقطته في الحفر، بل أردته الكبوات.

من ثم فإن الاستدراج في اللغة يأتي على معنى الخداع والخزى والانطواء، كما يجيء على معنى الضغط والانكماش وهى كلها تحصل لمدى الألوهية، لأنه يعاند فطرة الله التى فطر الناس عليها، ويسعى للافساد في الأرض، وذلك من شأن الكاذبين، والله عز وجل بيّن أن عاقبتهم النار، وذلك جزاء الظالمين.

هذا عن الاستدراج في اللغة، فماذا عنه في الاصطلاح؟ ذلك ما سوف أعرض له فيما يلي :

---

١) مجمع اللغة العربية / المعجم الوجير / باب الدال / ص٢٢٤، وأيضاً المعجم الوسيط / باب الدال ص٣١١.

ثانياً : في الاصطلاح

ذهب العلماء إلى أن الاستدراج إنما يكون خرقاً للعادة، لكن على يد من يكون؟ وما هى الصورة التي يجيء عليها؟ ذلك أمر قد كثرت حوله الآراء :

فنجد الإمام الرازى يعرفه بأنه : ظهور خوارق العادات على بعض من كان مردوداً عن طاعة الله تعالى مدعياً الألوهية[١].

وعرفه صاحب السنوسية الكبرى بأنه : خلق خارق على يد الأشقياء كالدجال وفرعون، والجهلة الضالين المضللين[٢].

ومن العلماء من ذهب إلى أن الاستدراج : أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعى الألوهية بياناً لكذبه، وفضحاً لدعواه ودفعاً للناس حتى ينفروا منه[٣].

وهذا التعريف يمثل نوعاً من الفصل التام بين مثبتات الصدق ومثبتات الكذب من خوارق العادات، لكن هذا التعريف، كان يحتاج لمزيد من البسط بحيث يشمل كافة أنواع الاستدراج.

ومنها ما ذكره صاحب الجوهرة : بأنه ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به[٤].

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / م١١ / ص٨٥.

٢) العلامة أبى عبد الله السنوسى / شرح السنوسية الكبرى المسماة بعمدة أهل التوفيق والتسديد / تحقيق وتعليق د. عبد الفتاح عبد الله بركة / ص٣٥٩ ط دار القلم ط أولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣) الشيخ منصور عبد السميع منصور / الألوهية في الأديان السماوية / ص٤٣ ط الدار العصرية ط٢ / ١٩٧١.

٤) شيخ الإسلام / إبراهيم البيجورى / شرح البيجورى على الجوهرة / طبع الجهاز المركزى للكتب الجامعية / المقرر على المعاهد الأزهرية - سابقاً - ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

ومنها : ما عرف الاستدراج بأنه : ظهور أمر خارق للعادة على يد مدعى الألوهية خداعاً له وتأكيداً على أنه خارج عن رحمة ربه، كالحال مع فرعون الذي نادى رئيس وزرائه هامان قائلاً له ما حكاه القرآن الكريم : ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾(١).

فقد أصدر فرعون أوامره لوزيره هامان : ابن لى قصراً عالياً، وبناءً شامخاً منيفاً، وذلك بعد أن قال مؤمن آل فرعون ما قال وخاف فرعون أن يتمكن كلامه في قلوب القوم، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد لعله يصل إلى طرق السموات وما يؤدى إليها فينظر إلى إله موسى نظر عيان، وإنه ليعتقد أن موسى كاذباً في ادعاءه أن له إلهاً غير فرعون، وكذلك زين لفرعون عمله السيء حتى رآه حسناً ومنع بضلاله عن طريق الهدى وما تدبيره ومكره إلا في خسار وهلاك، فقد خسر ملكه في الدنيا بالغرق وفى الآخرة بالخلود في النار(٢).

فلما بنى هامان الصرح لفرعون أخذ بسهمه، ثم صعد إلى قمة الصرح، وقال أمام الحاضرين لئن كان موسى إلهاً فأنا رب العالمين، قال تعالى : ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾(٣).

---

١) سورة غافر / آية ٣٦، ٣٧.

٢) العلامة القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ٣١٤/١٥، العلامة الزمخشرى / الكشاف / ٤ / ٦٦.

٣) سورة النازعات / الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، والمعنى : أن فرعون اللعين جمع السحرة والجنود والأتباع ووقف خطيباً في الناس وقال بصوت عال : أنا ربكم المعبود العظيم الذي لا رب فوقى، فأهلكه الله تعالى عقوبة له على مقالته الأخيرة ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ والأولى وهى قوله ﴿ما علمت لكم من إله غيرى﴾ راجع / الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٣١ / ص٤٣.

غير أن هذا الفرعون تناسى أنه قذف قوسه في الهواء قد يرتد عليه المقذوف في صورة من الصور وقد كان، فلما نزل مقذوف السهم ملوثاً بالدماء قال فرعون للملأ من حوله : لقد قتلت إله موسى وهذا دمه، فقال له واحد من العقلاء : إذا كان هذا الدم فأين هى الجثة؟ والدم أقل بكثير أما وقد ظهر فلابد وأن تظهر الجثة أيضاً، فبهت الذي كفر[1].

ومن التعريفات : أن الاستدراج : فعل من أفعال الله خارق للعادة غير مقصود به التحدى، يجريه الله على مدعى الألوهية تكذيباً له وتحقيراً من شأنه واستنزالاً للعنات الناس عليه[2].

وقد كثرت تعارف الاستدراج عند المتكلمين وبين الفلاسفة مما يؤكد أن معرفتهم به واضحة، وأنه أمر يجب أن يؤخذ في الحسبان.

ومنها : أنه فعل لله تعالى يجيء على غير المعتاد، لكنه يظهر كذب مدعى الألوهية الذي لا يؤمن بوجود إله سوى ذاته[3].

ربما يقال : أن هذا الحديث خاص بالنبوة والمتنبئين فما باله قد انزلق إلى الاستدراج؟

والجواب أن الاستدراج : كالنبوة الكاذبة من حيث أن كلاً منهما يمثل قفزاً على الأصول الغيبية والقواعد الإيمانية، ومن كان ذلك شأنه فلابد من الوقوف في وجهه وبيان ما يعتريه من أخطاء.

وفي تقديري أن الاستدراج يمكن تعريفه بكونه : أمراً خارقاً للعادة غير مقرون بتحدى، يجريه الله على يد مدعى الألوهية الكذاب

---

١) الشيخ منصور محمد عبد العظيم نصر الله / خوارق العادات بين القبول والرفض / ص٣٣ المطبعة المليجية بالقاهرة ١٩٢١.

٢) الشيخ محمد بدوى أحمد / النبوة والأنبياء ص٧١ ط الدار الجديدة ١٩٧٨م.

٣) الشيخ محمد عبد العاطى السيد مرسى / النبوة والمتنبئين / ص١٠٧، ١٠٨.

حتى يسقط اعتباره بين الناس كما تسقط مروءته أيضاً، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾[1].

ثالثاً : حكم الاستدراج :

سبق القول بأن هذه الأمور الخارقة للعادة قد وقعت من قبل، وأنها تقع في الحاضر وستقع أيضاً في المستقبل متى توفر من يوصفون بها، ومن ثم فهى أمور ممكنة في نفسها ليست مستحيلة على الله تعالى ولا واجبة[2].

ومن ثم فهى تأتى من القسم الثالث للحكم العقلى، وأعنى به الممكن، لأن الأحكام العقلية ثلاثة :

١ـ الواجب : وأعنى به الثابت الذي لا يقبل العدم أصلاً بوجه من الوجوه.

٢ـ المستحيل : وهو المنفى الذي لا يقبل الوجود أصلاً بسبب من الوجوه.

٣ـ الممكن : وهو ما يتساوى طرفا وجوده وعدمه، فإن وجد فلابد له من علة توجده، وإن عدم فلابد له من علة تعدمه، ومن ثم فوجوده

---

١) سورة غافر الآية ٣٦، ٣٧.

٢) لأن المستحيل تتعلق به قدرة الله تعالى وإرادته اعداماً على سبيل الاتفاق، أما الواجب فإن قدرة الله وإرادته تتعلقان به على سبيل الايجاد في الوجود ايجاداً / راجع / الشيخ محمد نووى الشافعى / نور الظلام شرح عقيدة العوام، والشيخ / أحمد المرزوى ص١٠ طـ الحلبى ١٣٣٨هـ.

وعدمه بالنسبة لغيره لا بالنسبة لذاته من حيث أن الممكن لا يقع عليه سوى أحد وجهين : الوجود أو العدم(١).

بناء على ما سبق اتضح أن الاستدراج من الأمور الممكنة وأنه وقع لكثير ممن ادعو الألوهية، يستوى في ذلك فرعون مصر الذي نادى في قومه قائلاً : "أليس لى ملك مصر" ثم تفضل عليهم أيضاً بجريان الأنهار، ثم تفضل أيضاً على موسى عليه السلام، بأنه مجهول النسب، وغير قادر على الابانة اللغوية، ففضح الله سريرة فرعون وكشف باطنه، قال تعالى : ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين﴾(٢).

فقد نادى فرعون رؤساء القبط وعظمائهم لما رأى الآيات الباهرة من موسى وخاف أن يؤمنوا، قال مفتخراً متبجحاً : أليست بلاد مصر الواسعة الشاسعة ملكاً لى؟ وهذه الخلجان والأنهار المتفرعة من نهر النيل تجرى من تحت قصورى؟ ومعظمها أربعة نهر الملك، نهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تينس، وكلها من النيل، وكانت جنانها وأنهارها تجرى من تحت قصره، أفلا تبصرون عظمتى وسعة ملكى، وقلة موسى وذلته؟ بل أنا خير من هذا الضعيف الحقير، الذي لا عز له ولا جاه ولا سلطان، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه؟ ويعنى بذلك موسى – عليه السلام – فهو لا يكاد يفصح عن كلامه، ويوضح مقصوده، فكيف يصلح للرسالة؟ وكان فرعون يقول ذلك على

١) العلامة إبراهيم البيجورى / شرح البيجورى على الجوهرة / ص٤٠، ٤١.
٢) سورة الزخرف / الآيات من ٥١-٥٤.

موسى – عليه السلام – تنقيصاً له – عليه السلام – في أعين الناس، باعتبار ما كان في لسانه من عقدة، ولكن الله أذهبها عنه بدعائه : ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾[١].

وفي تقديري أن الاستدراج أحد الأمور الممكنة ويمكن أن يقع لمدعى الألوهية على الدوام، وكل من ادعى الألوهية، أو عدم احتياجه للخالق – جل وعلا – كانت نهايته الحسران، دليل ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن محاج إبراهيم – عليه السلام – قال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾[٢].

والآية الكريمة فيها تعجب للسامع من أمر هذا الكافر المجادل في قدرة الله – تعالى – والمعنى : ألم ينته علمك إلى ذلك المارد وهو "النمروذ بن كنعان" الذي جادل إبراهيم – عليه السلام – في وجود الله؟ وقد آتاه الله الملك حيث حمله بطره بنعم الله على انكار وجود الله، فقابل الجود والاحسان بالكفر والطغيان، فحين قال له إبراهيم مستدلاً على وجود الله تعالى، ان ربى هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهو وحده رب العالمين، قال ذلك الطاغية : وأنا أيضاً أحيى وأميت، روى أنه دعا برجلين حكم عليهما بالإعدام، فأمر بقتل أحدهما فقال : هذا قتلته، وأمر بإطلاق الآخر وقال : هذا أحييته، ولما رأى خليل الرحمن حماقته ومشاغبته في الدليل عدل إلى دليل آخر أجدى وأروع وأشد افحاماً فقال له : إذا كنت تدعى الألوهية وأنك تحيى وتميت كما يفعل رب العالمين

---

١) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١٦ / ص١٠٣، وأيضاً / تفسير العلامة أبو السعود ٤٦/٥.

٢) سورة البقرة / ٢٥٨.

جل جلاله، فهذه الشمس تطلع كل يوم من المشرق بأمر الله – تعالى – ومشيئته فأطلعها من المغرب بقدرتك وسلطانك ولو مرة واحدة فأخرس ذلك الفاجر بالحجة القاطعة، وأصبح مبهوتاً دهشاً لا يستطيع الجواب وأن الله عز وجل لا يلهم الظالمين الحجة والبيان في مقام المناظرة والبرهان بخلاف أوليائه المتقين(١).

بيد أنه مما يجب أن يوضع في الحسبان هو أن الاستدراج الذي يجيء على يد مدعى الألوهية ليس قاعدة ثابتة، أو صورة محددة، وإنما هو أيضاً يتنوع بتنوع الموضوعات والصور التي يجيء عليها، ومنكر الاستدراج من حيث المنطوق اللغوى منكر لنص قرآنى فلا يكون مسلماً أبداً.

رابعاً : صور الاستدراج :

تتعدد صور الاستدراج بتعدد المستدرجين أنفسهم، والأوقات التي يظهرون فيها، وأيضاً الأماكن التي تحتويهم بدليل :

١- القتل :

أن فرعون موسى – عليه السلام – لما أعلن قتله إله موسى في قوله تعالى : ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وانى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾(٢).

قال الله له : ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾(٣).

---

١) مختصر تفسير بن كثير / جـ١ / ص٢٣٠، والشيخ الصابونى / صفوة التفاسير / جـ١ ص١٦٥.
٢) سورة غافر / آية ٣٦، ٣٧.
٣) سورة النازعات : ٢٥، ٢٦.

وفـي نفس الوقت فـإن هذا الأخذ الإلهـي لـم يكـن مـن غيـر موعـد بـدليل أن موسـى – عليـه السـلام – لمـا ضـربوا بينـه وبيـنهم الموعـد فـي الضحى، وحضر موسى وألقى السحرة سحرهم لم يرجع فرعون وإنما أصر على المعاندة، قال تعـالى : ﴿...فاجعل بيننـا وبينك موعداً لا نخلفـه نحن ولا أنت مكاناً سُوىً . قال موعدكم يوم الزينـة وأن يحشر النـاس ضـحى . فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيُسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾(1)

قال فرعون لموسى – عليه السلام – أجئتنا يا موسى بهذا السحر لتخرجنا من أرض مصر؟ فلنعارضنك بسحر مثل الذي جئت به ليظهر للناس أنك ساحر ولست برسول، فعين لنا وقت اجتماع، لا نخلف ذلك الوعد لا من جهتنا ولا من جهتك، ويكون بمكان معين ووقت معين، فقال لهم موسى موعدنا للاجتماع يوم العيد – وهو يوم من أيام أعيادهم – وأن يجتمع الناس في ضحى ذلك النهار وإنما عين فرعون ذلك اليوم للمبارزة ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك في الأقطار بظهور معجزته للناس.

وانصرف فرعون فجمع السحرة ثم أتى الموعد ومعه السحرة وأدواتهم وما جمعه من كيد ليطفيء نور الله، وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل ساحر منهم حبال وعصى فقال لهم موسى : ويلكم لا تختلقوا على الله الكذب فيهلككم ويستأصلكم بعذاب هائل، وقد خسر وهلك من كذب على الله، فلما سمع السحرة من موسى هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته ولذلك تنازعوا في أمره وقالوا بعد التناظر والتشاور : ما هذان – موسى وهارون – إلا ساحران يريدان الاستيلاء على أرض مصر وإخراجكم منها بهذا السحر، وغرضهما

---

1) سورة طه / الآيات ٥٨-٦١.

افساد دينكم الذي أنتم عليه والذى هو أفضل المذاهب والأديان ... وما قدموه كان من باب السحر والشعوذة، ولا يسعد الساحر حيث كان ... ولما ألقى موسى العصا صارت ثعباناً عظيماً هائلاً، ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصى حتى لم تبق شيئاً إلا ابتلعته، والناس ينظرون إلى ذلك عياناً نهاراً، فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه علموا علم اليقين أن هذا ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه، فعند ذلك وقعوا سجداً لله رب العالمين، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر[1].

كما أن فرعون لما استمر في عدوانه على الله تعالى وتكذيبه بآياته ومحاربته لنبيه اندفع خلفهم فوق موجات الماء، فكانت النتيجة أن غرق كافراً قال تعالى : ﴿وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾[2].

---

١) راجع العلامة القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١١ / ص٢١٥.

٢) سورة / يونس / ٩٠-٩٢، والمعنى جاوز بنو إسرائيل بقدرة الله بحر السويس، فلحقهم فرعون مع جنوده ظلماً وعدواناً وطلباً للاستعلاء بغير حق، حتى إذا أدركه الغرق وأيقن بالهلاك قال عندئذ أقررت وصدقت بأنه لا إله إلا الله رب العلمين الذي آمنت وأقرت به بنو إسرائيل وأنا ممن أسلم نفسه لله وأخلص في إيمانه قال ابن عباس : جعل جبريل عليه السلام في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة، الآن تؤمن حين يئست من الحياة وقد عصيت الله قبل نزول نقمته بك وكنت من الغالين في الضلال والاضلال والصد عن دين الله؟ فاليوم نخرجك من البحر بجسدك الذي لا روح فيه لتكون لمن بعدك عبرة للناس ومن الجبابرة والفراعنة، حتى لا يطغوا مثل طغيانك، راجع الإمام الطبرى / جـ١١ / ص١٦٧، والقرطبى / جـ٨ / ص٣٨٣.

٢- البهتان :

ذكر القرآن الكريم أن نمروذ إبراهيم لما لم يؤمن بالله تعالى وأصر على العناد والمكابرة قال له إبراهيم – عليه السلام - ﴿ ربى الذي يحيى ويميت قال أنا احيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾(١). فكان هذا البهتان صورة من صور الاستدراج، حتى إذا أخذه الله لم يفلته قال تعالى﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾(٢) فالله تعالى يقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فلا تستعجل في هلاكهم والانتقام منهم، وأمهلهم قليلا فسوف ترى ما أصنع بهم وهذا منتهى الوعيد والتهديد(٣).

٣- الاستخفاف

ذكر القرآن الكريم أن صاحب الجنتين استخف بصاحبه ذى المال القليل، والعيال الأقل، ثم وجد أمواله رابية، وجناته ممتلأة، فادعى أنه صاحبها، فوقع الاستدراج له، والاستخفاف به، فإذا هو ذاهب إليها ليجمع ما فيها لم يجدها سوى خاوية على عروشها صعيداً جرزاً.

قال تعالى مصوراً ذلك المشهد تصويراً بليغاً : ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً. قال له

١) سورة البقرة / الآية ٢٥٨.

٢) سورة الطارق / ١٧.

٣) العلامة الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٣ / ٥٤٦.

صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ان ترن أنا أقل منك مالاً وولداً . فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً﴾(١).

قال المفسرون : ضرب الله هذا المثل للكفار الذين طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد الفقراء، وكانا أخوان من بنى إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله حديقتين، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله حتى نفد ماله فعيره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر، وضرب هذا المثل للمؤمن الذي يعمل بطاعة الله والكافر الذي أبطرته النعمة(٢).

---

١) سورة الكهف / الآيات من ٣٢-٤٤.

٢) فكان للكافر بستانين من شجر العنب مثمرين بأنواع العنب اللذيذ وأحطناهم بسياج من شجر النخيل، وجعلنا وسط هذين البستانين زرعاً ويتفجر بينهما نهر، وانه لمنظر بهيج منظر الحديقتين المثمرتين بأنواع الكرم، وكل واحدة منهما أخرجت ثمرها يانعاً في غاية الجودة والطيب ولم تنقص منه شيئاً، وجعل الله نهراً وسط الحديقتين يسير فيهما وكان للكافر من جنتيه أنواع من الفواكه والثمار، فقال لصاحبه المؤمن وهو يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويتعالى أنا أغنى منك وأشرف وأكثر أنصاراً وخدماً وأخذ بيد أخيه المؤمن ودخل الحديقة يطوف به فيها ويريه ما فيها من أشجار وثمار وأنهار وهو ظالم لنفسه بالعجب والكفر وقال له ما أعتقد أن تفنى هذه الحديقة أبداً، وما أعتقد القيامة كائنة وحاصلة، فأنكر فناء جنته وأنكر البعث والنشور، ولئن كان هناك بعث على سبيل الفرض والتقدير - كما تزعم - فسيعطينى الله خيراً من هذا وأفضل مرجعاً وعاقبة، فكما أعطانى في الدنيا هذا المال فسيعطينى في الآخرة لكرامتى عليه. قال له المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادله أجحدت الله الذي==

٤- ظهور ملامح غير عادية :

ذكر القرآن الكريم أن فرعون موسى كان يقف على عرش بلاده، وينادى في الناس : "أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ..." فكانت النتيجة أن اتبعه قومه واستخف بعقولهم، ومن ثم أوردهم النار وبئس الورد المورود، واتبعوا في هذه لعنة، ويوم القيامة بئس الرفد المرفود.

قال المفسرون : استخف بعقول قومه واستجهلهم لخفة أحلامهم، فأطاعوه فيما دعاهم إليه من الضلالة وهم إنما أجابوه لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله، فلما أغضبونا انتقمنا منهم بأشد أنواع العقاب، فأغرقنا فرعون وقومه في البحر أجمعين، فلم نبق منهم أحداً، وكان فرعون مغتراً بالعظمة والسلطان والأنهار التي تجرى من تحته فأهلكه الله

==خلقك من تراب ثم من نطفة منى، ثم سواك انساناً سويا؟ والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ، لكن أنا أعترف بوجود الله فهو ربى وخالقى ولا أشرك مع الله غيره فهو المعبود وحده لا شريك له، فهلا حين دخلت جنتك وأعجبت بها قلت هذا من فضل الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا قدرة لنا على طاعته إلا بتوفيقه ومعونته، وإن كنت ترى أنى أفقر منك وتعتز على بكثرة مالك وأولادك، فإنى أتوقع من صنع الله واحسانه أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى، فيرزقنى جنة خير من جنتك لإيمانى به، ويسلب عنك نعمته لكفرك ويخرب بستانك أى يرسل عليها آفة تجتاحها، أو صواعق من السماء تدمرها فتصبح الحديقة أرضاً ملساء لا تثبت عليها قدم جرداء لا نبات فيها ولا شجر، أو يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر وحينئذ لا تستطيع طلبه فضلاً عن اعادته ورده وينتهى الحوار وتكون المفاجأة المدهشة، فيتحقق رجاء المؤمن بزوال النعيم عن الكافر وفجأة ينقلب السياق من مشهد البهجة والازدهار إلى مشهد البوار والدمار. وأصبح يقلب الكافر كفيه على ما أنفق ماله الضائع وجهده الذاهب ندماً فقد أصبحت الجنة خراباً ودماراً ولم تكن له جماعة تنصره وتدفع عنه الهلاك وما كان بنفسه ممتنعاً عن انتقام الله له، فلم تنفعه العشيرة والولد حين اغتر وافتخر بهم وما استطاع بنفسه أن يدفع العذاب / راجع الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١٠ / ٤١٧.

بجنس ما تكبر به هو وقومه وذلك بالغرق بماء البحر، وفيه إشارة إلى أن من تعزز بشيء أهلكه الله به، فجعل الله قوم فرعون قدوة لمن بعدهم من الكفار في استحقاق العذاب والدمار، ومثلاً يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك[١].

يرى الصوفية في جملتهم وكثير غيرهم أن الاستدراج هو الاتيان بما يخالف الكرامة فكان الاستدراج عكس الكرامة، بينما هذا التصور يخالف ما عليه المتكلمون باعتبار أن الاستدراج عند المتكلمين إنما هو مما يقع على يد مدعى الألوهية وليس غيره بينما المظاهر التي جاءت في المؤلفات الصوفية إنما تخص الإهانة ولا تخص الاستدراج من حيث التعريف[٢].

ثم إن ما يأتي على يد مدعى الألوهية يكون استدراجاً، أما ما يأتي على يد مدعى النبوة الكذاب فإنه لا محالة يكون إهانة له وهو الأمر الذي يقف عنده المتكلمون في الفوارق بينهما ويؤكدون عليه والذى أميل إليه أن موقف متكلمى الأشاعرة هنا أرجح أما لماذا؟ فللتعريف الوارد في كل من الاستدراج والإهانة، كما أن الشائع وهو عليه المعول في الأعراف العلمية أن الاستدراج يكون على يد مدعى الألوهية بينما تكون الإهانة من نصيب مدعى النبوة الكذاب والفرق بينهما كبير لمن تأمله.

وفى تقديري أن الاستدراج من حيث هو : أمر خارق للعادة من حيث المجيء إنما يكون على يد مدعى الألوهية، وكل من ادعى الألوهية، وأجرى الله على يديه شيئاً من خوارق العادات فإنما يكون ذلك استدراجاً له وخداعاً حتى يستمر فيما هو فيه، وفى النهاية يلقى العاقبة السيئة وبئس القرار.

---

١) الإمام القرطبى ١٦/١٠٢، والبحر المحيط / ٨ / ٢٢.

٢) راجع / جامع كرامات الأولياء / الإمام النبهاوى / جـ١ ص٢٣-٣٢.

ما سلف ذكره كان أبرز ملامح خوارق العادات التي تجيء للتحقير والخداع مع مدعى النبوة ومدعى الألوهية قديماً وحديثاً[1].

كما سلف القول بخوارق العادات التي تجيء على ناحية التثبيت والتأكيد لأهل الإيمان، ومن ثم أكون قد عرضت الموقفين ووازنت بين

---

١) حيث ادعى الألوهية حديثاً، الباب والبهاء وغلام أحمد القدياني، وسبق التعريف بهم وإلقاء الضوء عليهم، وأيضاً : محمد رشاد خليفة والمولود ببلدة كفر الزيات، في الثامن عشر من نوفمبر ١٩٣٥، وكان منذ نعومة أظفاره شخصية مغمورة، حصل على بكالوريوس الزراعة من كلية الزراعة جامعة عين شمس عام ١٩٥٧م، ومنذ أن كان طالباً بالجامعة فتحت عليه الأعين الخفية، فنقلته إلى صفوف خونة الاسلام بما فيه من سوء الطباع وذميم الخصال، فمدت له الأيدى الخفية وزودته بالمال والشهرة التي كان يحلم بها، ثم عين بوظيفة في هيئة الأمم المتحدة براتب بهيظ وهذه عادة الماسونية في اغرائها لعملائها فكان خبير بالأمم المتحدة وقد تولى المشرفون على هذه الوظيفة طبع ونشر محاضراته حول الاعجاز العددى للقرآن الكريم والتى ألقاها في مسجد توسان بأمريكا والذى كان إماماً له حيث ادعى أنه يرعى مصالح المسلمين وقد جاء ليجدد للأمة دينها بيد أن مهمته التي أسندت إليه هى : أن يسقط سقف السماء على جميع المؤسسات الدينية التقليدية، لأنها تحمى السنة وهى التي تروج بين الناس احترام النبى محمد ﷺ، وعلى رأس هذه المؤسسات – الأزهر الشريف ورجاله – والذى بسببه قد غضب الله على مصر وبسبب هذا الغضب فلن تمر سنة تسعين – كما قال – حتى يصيب مصر من الوبال والنكال ما يجعلها لا تقوم لها بعد قائمة.

وأيضاً من مهامه التي كلف بنشرها بين الناس أن : احترام النبىَ شرك، وأن سنة النبى عمل شيطانى، المؤسسات الدينية منحرفة ورجالها ضالون وكانت نهايته القتل، حيث وجد مقتولا في شقته في أمريكا، وقد كتب الأستاذ الدكتور/ طه الدسوقى حبيش عنه كتابا اسمه/ مسيلمة في مسجد توسان/ الظهور الجديد وراء المحيطات/ وضمنه الكثير والكثير عن هذا الدعى الكذتب بالدلائل القاطعة لمن أراد المزيد في هذا المقام/ طبعة مكتبة رشوان/ عين شمس ط/ الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م وأيضاً/ السنة في مواجهة أعدائها/ انفس المؤلف صـ ١٣ ولا يزال هؤلاء المهووسين يقومون بذلك من خداع وتضليل للمسلمين والمؤسف له أن تتركهم الأجهزة الأمنية في هذا الغىَّ وكان يجب حبسهم بعيداً عن أعين الناس، أو علاجهم من آفات العقل التي لحقت بهم.

الكفتين، كفة أهل الإيمان، وكفة أهل الخسران. وبان أن أهل الخسران لا مكان لهم، بينما أهل الإيمان في أعلى مقام، قال تعالى في حق أهل الخسران : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾(١).

وقال في حق أهل الإيمان : ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾(٢).

تبقى مسألة مهمة وهى : احدى خوارق العادات، لكن يقع فيها التعلم والتعليم، ألا وهى السحر، ومن ثم لا تعتبر خارقاً لمن عرفها، بينما هى خارق لمن لم يعرفها، وبالتالى سأقدم لها عرضاً موجزاً، أو فكرة قصيرة حتى يكون الوفا بما قطعته على نفسى قد تم والله الهادى إلى سواء السبيل، فما هو السحر؟ ذلك ما سوف أعرض له فيما يلي :

---

١) سورة الكهف ١٠٣-١٠٦.

٢) سورة القمر / ٥٤، ٥٥.

ثالثاً : السحر

أولاً : تعريفه في اللغة :

وردت كلمة السحر ومشتقاتها في القرآن الكريم كثيراً، منها قوله تعالى : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾[1] وقوله تعالى : ﴿وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم﴾[2] وقوله تعالى : ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾[3] من ثم فإن الكلمة لها وجود في القرآن الكريم مما يعني ضرورة بحثها، والتعرف عليها، بل إنها وردت في القرآن الكريم من حيث هي مادة صرفية (س – ح – ر) حوالى اثنان وستون مرة تقريباً[4].

وفى نفس الوقت فقد جاءت الكلمة في اللغة العربية على أنحاء شتى، ومعان مختلفة من أبرزها :-

الأول : سلب اللب، يقال : سحر فلان بكلامه العذب لب صديقه ومعناه : السيطرة عليه سيطرة كاملة حتى صار مسخراً له[5]. وكلما اشتد تأثيره على حركة القلب كلما أمكنه السيطرة الأكثر عليه.

الثاني : التحول، يقال : هؤلاء القوم سحروا من طريقهم إلى آخر، بمعنى تحولوا عن الأول إلى غيره سواء أكان ذلك التحول بإرادة

---

١) سورة طه / الآية ٦٩.

٢) سورة الأعراف / الآية ١١٦.

٣) سورة يونس / الآية ٧٧.

٤) الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / باب السين / ص٣٤٦، ٣٤٧.

٥) المعجم الوجيز / باب السين ص٣٠٤.

منهم أم رغماً عنهم[1]. ومعنى ذلك أنهم عاشوا في طريقهم الأول ثم انصرفوا عنه دون أن يتركوا أثراً يدل عليهم.

الثالث : الأمر الخفى، تقول العرب : فلان أجاد السحر، بمعنى يستطيع استعمال كل أمر خفى في سببه[2] وسواء أمكن له أن يعلم غيره ذلك السبب أم احتفظ به لنفسه وهو ما يعرف بإمكانية تعلم السحر أو عدم تلك الامكانية.

الرابع : تخيل الأشياء على غير حقيقتها، تقول المصادر العربية : ان فلاناً سحر غيره، فلم يعد يدرى ما يفعل، وإنما يتخيل أموراً على غير الحقيقة يجرى فيها الفعل مجرى التمويه والخداع، ومنه قوله تعالى : ﴿...فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم﴾[3].

الخامس : الشيء الدقيق في مأخذه، تقول العرب : سحر القوم بعضهم بعضاً، بمعنى تمكن كل واحد منهم مما لطف فأخذه ودق مصدره، وأمكن التعبير عنه[4].

مما سبق يتضح أن السحر يأتى في الأمر الدقيق الخفى سببه، وما يتخيل على غير حقيقته لدقته ولطفه في مأخذه، كما يحمل معنى الاستمالة وسلب اللب، ومن ثم يمكن القول بأن السحر عملية يقوم بها

---

١) العلامة الزمخشرى / أساس البلاغة / باب السين / ص١٨٥.

٢) العلامة الفيروزأبادى / القاموس المحيط / باب الراء / فصل السين وما يثالثهما جـ٣ / ص٣١.

٣) سورة الأعراف / الآية ١١٦.

٤) العلامة أبو بكر الرازى / مختار الصحاح / باب السين / ص٤٦٥، وأيضا : المصباح المنير للعلامة الفيومى / باب السين / ص٢٧٥، ٢٧٦.

متقنها فيقع له شيء من استمالة الآخرين بناءً على ممارسته الأمر الدقيق الخفى مستعملاً التمويه والخداع.

وبناء عليه فإنه يكون أمراً يمكن تعلمه وتعليمه أيضاً، ومتى أتقنه إنسان ما أمكنه أن يمارسه على صورة من الصور.

فما هو السحر في اصطلاح العلماء؟

ذلك ما سوف ألتفت إليه إن شاء الله تعالى :

ثانياً : السحر في اصطلاح العلماء :

ذهب العلماء فيّ تعريف السحر على الناحية الاصطلاحية مذاهب شتى، كل منهم جاء تعريفه على الناحية التي انعقد بالنسبة لها، وسوف أحاول التقاط بعض تلك التعاريف على النحو التالى :

الأول : ما ذهب إليه العلامة "الفخر الرازى" من أن السحر فى عرف الشرع : مختص بكل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله[1]. ومعنى هذا أن السحر يبتعد تماماً عن باقى خوارق العادات، سواء باعتبار الموضوعات التي يظهر فيها، أم باعتبار النتائج المترتبة عليه، فضلاً عن الوسائل التي يتم من خلالها.

الثاني : وذهب الشيخ "عبد الخالق العطار" إلى أن السحر: أمر غريب عن مألوف الناس يشبه خوارق العادات، وليس منها، إذ يحدث وفقاً لقواعد وعبارات يمكن تعلمها[2].

يقول بدج الذي يعتقد على طريق العلم أن بعض الكائنات لها قدرات سحرية وهناك بعض المقاطع أو الأقسام في الكتب الدينية بالنسبة

---

١) العلامة / فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب / م٢ / ص٢٠٥.

٢) العلامة / الشيخ عبد الخالق العطار : السحر والسحرة والمسحورون / ص١٠٨.

للشعوب القديمة تعتبر الأعمال السحرية ذات أهمي كبرى وتقوم على مجموعة من الجمل والصيغ اللفظية بجانب بعض الخفة في الحركة مما يؤكد أن السحر مما يمكن تعلمه(١).

ومعنى هذا أن السحر ليس خارقاً للعادة، ولكن هذا التعريف بعيد، لأن الفعل الذي يأتيه الساحر يكون بالنسبة لمن لا يعلمه خرقاً للعادة، ومن ثم اعتبره الرازى شبيهاً بخوارق العادات، إذ العبرة بالناظر إليه، أو الواقع تحت مسائله، أما الذي يقوم به ويعرف حيلته فلا يعتبر غريباً بالنسبة له.

الثالث : ما ذهب إليه العلامة الآلوسى : من أن السحر : أمر غريب يشبه الخارق وليس به، إذ يجرى فيه التعلم ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان وارتكاب القبائح قولاً كالرقى التي فيها ألفاظ الشرك ومدح الشيطان وتسخيره أو عملاً كعبادة الكواكب والتزام الجنابة وسائر الفرق، أو اعتقاداً كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه(٢).

ويبدو أنه يعرف نوعاً من أنواع السحر، وهو النوع المحرم الذي يتم تحصيله من خلال التقرب إلى الشياطين، وارتكاب القبائح وعبادة الكواكب واستحسان المحرمات وليس ذلك بمقبول في كل أنواع السحر، وإنما يجرى في المحرم فقط.

ويقول العلامة الآلوسى : ان الجمهور على أن السحر خارق للعادة وأنه يظهر من نفس شريرة بمباشرة أعمال مخصوصة، ثم يقول : والجمهور على أن له حقيقة وأنه قد يبلغ الساحر بفعله إلى حيث يطير

---

١) واليس بدج / السحر في مصر القديمة / ص١١٨، ١١٩ ترجمة وتقديم د. عبد الهادى عبد الرحمن / سينا للنشر / مؤسسة الانتشار العربى الأولى ١٩٩٨م.

٢) العلامة / السيد محمود شكرى الألوسى : روح المعانى / جـ١ ص٣٣٨.

في الهواء، ويمشى على الماء، ويفعل كثيراً من ذلك من حيث الظاهر، ولكن الفاعل الحقيقي في كل ذلك هو الله تعالى ولم تجر سنته بتمكين الساحر من فلق البحر، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماوات، وغير ذلك من آيات الرسل – عليهم السلام –[1].

الرابع: وذهب العلامة الطبرسى إلى أن السحر خداع وتخييل لا حقيقة له وإنما هو يقوم على خفة اليد وسرعة الحركة والقدرة على استعمال المزخرف من القول كما يفعله المشعبذ بصرف الأنظار عن حقيقة ما يفعل من خلال وسيلة يقوم بها[2].

الخامس: وذهب العلامة الشوكانى إلى تعريف السحر بأنه: ما يكون ناشئاً بفعل خفى أو عادة يتقنها صاحبها، أو معاناة وعلاجات تقع بالإتقان للحرفة التي يقوم بها الساحر نفسه[3]. وهذا التعريف أيضاً يركز على نوع واحد من السحر وهو السحر المرفوض، أما السحر الذي يمثل عملاً قد يكون مشروعاً، فهذا ما لم يلتفت إليه، بل غالبيتهم على أن السحر حقيقة وواقع بالفعل ومؤثر بإرادة الله تعالى ومشيئته[4].

السادس: وذهب صاحب "مجمع البيان" إلى أن السحر عمل يتقرب فيه إلى الشيطان ويتم بمعونة من المعونات، أو وسيلة من الوسائل التي تخف من حيث المأخذ وترق من حيث النظر[5]. غير أن هذا

---

١) المصدر السابق جـ١ ص٣٣٩.

٢) العلامة الطبرسى: التبيان / جـ٤ / ص١٥٠.

٣) العلامة الشوكانى: نيل الأوطار / جـ٧ / ص١٧٩، والامام البوطى: فقه السيرة / ص٣٥٨، والعلامة القرطبى: الجامع لأحكام القرآن / جـ١ / ص٤١٣.

٤) راجع الدكتور / محمد سيد طنطاوى / التفسير الوسيط / ص٣٠٤، ٣٠٥ والعلامة القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / جـ١ ص٤١٠، وتفسير بن كثير / جـ١ / ص٢٠٨.

٥) راجع / مجمع البيان / جـ١ ص٣٨٤، وإلى قريب منه ذهب الطبرسى في وجه آخر راجع / التبيان / جـ٤ / ص٥.

التعريف ينصرف أيضاً إلى نوع واحد وهو السحر المحرم، وبناء عليه فلا يمكن اعتباره تعريفاً عاماً، وإنما ينظر إليه على أنه تعريف بخصوصه، أو تعريف خاص جرى علمه به، واستعمل فيه.

السابع : وذهب العلامة "الشهرستانى"[1] إلى أن السحر ما هو إلا حيل كسبية تنضاف إليها مباشرة فعل، وجمع شيء إلى شيء، واختيار وقت وتعزيم قول وإعداد له، ولا يكون ذلك مقروناً بالتحدى ولا يقع اتفاقاً[2]. وهو تعريف يساير الاتجاه العام لأهل السنة والجماعة، كما يغلب على المحققين أيضاً، بل إن الغالبية من أهل العرفان يرون هذا الطريق أقرب التعاريف قبولاً.

الثامن : وذهبت المعتزلة إلى أن السحر ما هو إلا تخييل وتلبيس ولا يمكن أن يكون أكثر من ذلك، لأن ما يقوم على التخييل لا تكون له حقيقة ثابتة، بل القائلين بكونه حقيقة إنما يفتحون باب التلبيس والتخليط بين الساحر والنبى[3].

التاسع : وذهب الشيخ "محمد رشيد رضا" إلى أن السحر من خوارق العادات لكنه يتم من خلال قواعد وأسس يقتدر بها على الإتيان بأفعال غريبة بالنظر لمن جهل قواعده[4]. وهذا التعريف يصلح

---

١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستانى، ولد سنة ٤٦٩ هـ، وتوفى ٥٤٨هـ، وهو من فلاسفة الإسلام، كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم. والمذاهب والفلاسفة، ولد رحمه الله في شهرستان بين النيسابور وخوارزم، انتقل إلى بغداد سنة ٥١٠هـ. فأقام ثلاث سنين وعاد إلى بلده، ومن مؤلفاته : "الملل والنحل، تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، نهاية الإقدام" راجع وقيت الأعيان جـ١ ص٤٨٢.

٢) العلامة الشهرستانى / نهاية الاقدام من علم الكلام / ص٤٣٥.

٣) راجع الشيخ / محمد شكرى الألوسى : روح المعانى / جـ١ / ص٢٣٩.

٤) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار / جـ٩ / ص٥٢، والعلامة الشوكانى / نيل الأوطار / جـ٧ / ص١٧١.

أن يكون تعريفاً للسحر بشكل عام، وهو تعريف جميل المأخذ، لأنه جمع أنواع السحر، كما جمع طبيعة ما يقوم به الساحرون، وفى نفس الوقت فرق بين ما يمكن اعتباره وسيلة يقوم عليها السحر وبين ما يمكن اعتباره نتيجة مترتبة على ذات الفعل.

من جملة ما سبق اتضح أن السحر له تعريف اصطلاحى، وأنه مما يمكن تعلمه، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في حكمه، فذهب العلامة بن كثير إلى أن المحققين قد اتفقوا على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، بل هو علم لذاته شريف، داخل في عموم قوله تعالى : ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1].

ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجبا فكيف يكون حراما وقبيحا[2]. وهذا القول فيه تعميم ومن ثم فكان الأولى أن يقع عليه التخصص حتى تتم التفرقة بين النوع الذي يمكن أن يكون مفيداً وبين الأنواع التي تقع محرمة[3]. ومن ثم فسأتعرض للحديث عن حكم السحر من ناحية كونه ممكنا أو مستحيلا.

---

١) سورة الزمر / الآية ٩.

٢) راجع العلامة بن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ١ ص١٤٤.

٣) للسحر أنواع ثمانية :

١- سحر الكلدانيين.
٢- سحر أصحاب الأوهام.
٣- سحر الاستعانة بالجن.
٤- سحر الأخذ بالعيون.
٥- سحر الأعمال القائمة على مركبات هندسية.
٦- سحر الاستعانة بخواص الأدوية.
٧- سحر التعليق للقلب.
٨- السحر بالنميمة.

راجع مفاتيح الغيب / للامام الرازى / م٧ / ١٤ / ص٢٠٥ وما بعدها.

ثالثاً : حكم وقوعه :

السحر ما دام علماً فإنه يكون أمراً ممكناً، وبالتالى فلا يكون أمراً مستحيلاً، وبناءً عليه فإن منكرى السحر لكونه مستحيلاً لا توجد لديهم حجة على ما ذهبوا إليه سواء أجاء على أنه تغيير في نظرة الناظر أم في حقيقة المنظور[١]، أو جاء على أنه تخييل وتزييف[٢].

لكن ما ذهب إليه الجمهور من أنه علم يمكن تعلمه يرجع بالنسبة لغيره ويؤكد أنه من العلوم الممكنة التي وجدت حيالها وأسبابها في الأرض وأمكن التعامل معها والإستفادة منها، والسعى إليها، وبناء عليه فإنه يكون أمراً ممكنا ولا ينقلب الممكن مستحيلا أبداً.

والذى أراه أن السحر أمر ممكن، نظراً لورود آيات قرآنية تتحدث عن وقوعه كما تحدد من وقع على أيديهم، وفى نفس الوقت تلمح أو تحدد من وقع لهم، كما تحدد الموضوعات التي وقع فيها ومن ثم فلا يكون مستحيلا أبداً، دليل ذلك قوله تعالى ﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾[٣]. وقوله تعالى ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[٤]. وقوله تعالى ﴿ بل نحن قوم مسحورون﴾[٥]. وقوله تعالى ﴿ قال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا﴾[٦]. وأيضا ما ورد على ألسنة منكرى الرسل من قولهم لأتباع المرسلين ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾[٧].

---

١) وهو ما أشيع مثله من أهل السنة والجماعة إذ أنهم يقولون ما دام قد وقع فانه يكون إما في حقيقة الأشياء البسيطة أو في مظاهر تتعلق بالناظر إليها.

٢) هو ما ذهب إليه جمهور المعتزلة حتى يغلقوا الباب على دعاة القول بإمكانية خلط أفعال الساحرين بمعجزات الأنبياء والمرسلين.

٣) سورة الأعراف الآية ١١٦.

٤) سورة طه من الآية ٦٦.

٥) سورة الحجر الآية ١٥.

٦) سورة الاسراء الآية ١٠١.

٧) سورة الاسراء الآية ٤٧.

ثم ان بعض النصوص قد وصفت ما جاء به السحرة بأنه عظيم، كقوله تعالى﴿ وجاؤوا بسحر عظيم﴾[١] وكذلك لفت منكرى الرسل ما يجيئ به النبى بقولهم ﴿ إن هذا إلا سحر مبين﴾[٢].

ومن ثم فلا يمكن القول بأن السحر يمثل أمراً مستحيلا حتى يستحيل وجوده بل على العكس من ذلك فانه يمثل أمراً ممكنا، ومن ثم يمكن وقوعه.

كما أن ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في المسألة راجع إلى تفهمهم للنصوص الشرعية وهم قد أقروا بأن السحر حقيقة من ناحية وقوعه، ومن ثم فلا يمكّن إنكار هذا الرأى أو الانفلات منه وإلا كان العمل ضربا من الخبط في الهواء، حيث ذهب الإمام الفخر الرازى إلى أن أهل السنة والجماعة قالوا : السحر حقيقة وواقع بالفعل ومؤثر فى الأشياء لكن بإرادة الله تعالى ومشيئته، فان الله عز وجل هو الخالق لهذه الأشياء جميعها مستدلين على ذلك بقوله تعالى﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾[٣] فالإذن حقيقة في الأمر، والله لا يأمر بالسحر، ولأنه تعالى أراد عيبهم وذمهم، ولو كان قد أمرهم به لما جاز أن يذمهم عليه[٤].

فإلحاق الضرر بالمسحورين ليس عاما، وإنما فيه الاستثناء والحصر بأدواتهما – ما، وإلا – وقد ورد بذلك النص القرآنى، والمعروف أن الجملة اذا وقع فيها الحصر على هذه الناحية كان المراد به القصر، ومن ثم يكون المعنى : وما هى بضارين به من أحد إلا كان ذلك الضرر مراداً عند الله وإن لم يكن مأموراً به.

---

١) سورة الأعراف الآية ١١٦.

٢) سورة المائدة من الآية ١١٠.

٣) سورة البقرة من الآية ١٠٢.

٤) الإمام الفخر الرازى مفاتيح الغيب م٢/ ج٣/ صـ٢٢١.

وفى تقديري أن أدلة أهل السنة في هذا الشأن قوية وراجحة، كما أن النصوص التي أوردوها لا يترتب عليها محال عقلي.

رابعا : أقسام السحر

لا شك أن السحر قد نال الحديث فيه عناية كبيرة من أهل الفكر الإسلامى، لكن بعضهم ذكر أقساما[1]، بينما نظر إليه غيره على أنه يتنوع أنواعا، وجعل كل الأنواع في طريق واحد[2].ولكنى أرى إمكانية التوفيق بينهما فأنظر إلى الأقسام من ناحية القبول أو الرد، وأنظر إلى الأنواع من ناحية أن كل قسم يتنوع إلى مجموعة من الأنواع، وجريا على ذلك، سأقسم الحديث فيه إلى قسمين :

القسم الأول : باعتبار القبول

وهذا القسم يتنوع إلى أنواع :

النوع الأول : ما يتعلق بالدفاع عن المسلمين في مواجهة المشركين فهو عمل مقبول، ولا يذم فاعله، دليل ذلك ما روى أنه قدم على رسول الله - ﷺ - الزبرقان بن بدر وعمر بن الأهتم، فقالا لعمر خبرنى عن الزبرقان، فقال مطاع في ناديه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبرقان : هو والله يعلم أنى أفضل منه، فقال عمر إنه زمن المروءة، ضيق العطن، أحمق الأب، لئيم الخال، يا رسول صدقت فيهما أرضانى فقلت أحسن ما علمت، وأسخطنى فقلت أسوأ ما علمت، فقال ﷺ أن من البيان لسحراً.

---

1) كالامام الفخر الرازى : حيث قال المسألة الثالثة في أقسام السحر م٢/ج٣/صـ٢٠٦.

٢) كالعلامة بن كثير حيث قال : إن السحر أنواع ..... راجع بن كثير تفسير القرآن العظيم ج١/ صـ ١٤٥.

فتسميته النبى ﷺ بعض البيان سحراً، لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته(١).

ومن ثم كان هذا البيان مقبولاً وسمى سحراً لما فيه من اللطف وحسن استمالة القلوب، كما أن المقتدر على البيان بهذا الشكل يكون قادراً على تحسين ما يكون قبيحاً وتقبيح ما يكون حسناً، فوجه الشبه بينهما جعله سحراً.

النوع الثاني: ما يقوم على إبراز الملكة في مواجهة فعل الآخرين، كما يكون بين المسلمين وغيرهم من باب المحاورة والقتال بالملكات واللسان لا بالحروب والسنان، وهذا الجانب مهم جداً، لأنه جانب وقائى يقوم على تفهم امكانيات الآخر والتعامل معها بنفس طبيعتها، ومن ثم ترد سهام الأعداء عليهم، وذلك كاستعمال الأدوية والآلات التي يمكن أن تكون في أيدى الآخرين.

وهذا النوع مما يباح باعتبار الغاية المترتبة عليه، وليس فيه مخالفة لما قضاه الله وقدره، كما لا يترتب عليه ضرر لأحد من أهل الإسلام، وفى نفس الوقت لا يعتقد أحد أن فاعله يمثل خرقاً لقوانين إلهية، بل على العكس من ذلك، فإن الناظر إليه يتأكد له أن ما جرى على يد هذا الفاعل إنما هو بأمر الله وتحصيله واقع بقضائه جل علاه(٢).

وفى تقديري أن هذا النوع من السحر قد يكون مقبولاً باعتبار الغاية، ولا يكون مقبولاً متى ترتب عليه إضاعة لوقت مسلم، أو خروج على ما شرع الله تعالى، أو استحلال محرمات أو غير ذلك لقوله تعالى :

---

١) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢ ص٢٠٦.

٢) الشيخ / عبد الخالق العطار / السحر والسحرة والمسحورون / ص١١٠.

﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾(١).

أى ومن أعرض عن أمرى وما أنزلته على رسلى من الشرائع والأحكام فإن له في الدنيا معيشة قاسية شديدة وان تنعم ظاهره، ونحشره في الآخرة أعمى البصر. قال بن كثير : من أعرض عن أمر الله وتناساه فإن له حياة ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله وان تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه في قلق وحيرة وشك، وقيل : يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه(٢).

قال الإمام بن تيمية يعنى : تركت العمل بها، وقال بن عباس رضى الله عنهما تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية : ﴿من أعرض عن ذكرى ... الآية﴾(٣).

النوع الثالث : ما يقع به الاستعداد لمنازلة الكفار بمثل صنيعهم أو الدفاع عن دار الإسلام من شرور السحرة والمنجمين أو الكهان والعرافين الذين يساكنون أهل الإسلام ويختلطون بهم وربما أضلوهم حيث أن الاستعداد لمثل هذه الأمور يكون من فروض الكفاية، ولا يكون من فروض العين إلا إذا وقع العدوان نفسه.

---

١) سورة طه / الآيات ١٢٤-١٢٦.

٢) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ٢٥٨/١١.

٣) الإمام ابن تيمية / الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ص١٣٧، وأيضاً الإمام الألوسى / جـ! ص٣٣٩.

دليل ذلك قوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾[1].

فالآية لم تحدد نوع القوة ولا طريقة الوسيلة فضلاً عن نوعيتها وإنما ذكرتها على ما هى عليه بحيث يمكن لكل من نظر إليها أن يستفيد منها على الجانب الذي يستطيعه.

وفى تقديري أن هذا النوع من السحر لابد أن تكون له ضوابط شرعية حتى لا يستخدم علّى وجه عام فيضر أكثر مما ينفع، أو يتحول من وسيلة للدفاع عن المسلمين إلى صورة من صور ابتزازهم كما يفعله الكهان والمنجمون وأصحاب الحيل في وقتنا الحاضر، حيث يستغلون حاجات الناس ويلعبون على عواطفهم ويخدعونهم بالأمانى الكاذبة والحيل البارعة ويظلون بهم حتى يفتنوهم عن دين الله، رغم أن الممارس لهذا العمل قد يكون من أكثر الناس صلاة، أو من أكثرهم قراءة للقرآن، وربما أكثر من الصيام والصدقة حتى ينخدع به الناس ويقعوا ضحايا سلوكياته الغير مقبولة.

لكن هذه الأمور جميعها تعتبر من خوارق العادات، لأنها تحتاج مهارة بعينها وخفة يد في طبيعتها، وقدرة على استخدام أدوية بعينها وأطعمة بذاتها مما يوحى للقاريء أو الناظر بأنها أفعال متميزة بينما هى بالنسبة للمتقن لها أفعال طبيعية.

<u>النوع الرابع</u> : ما يقع به اللهو غير القبيح : ويعتمد على خفة اليد أيضاً والحركات السريعة، والتمكن من انطلاقات الجسد، كما

---

١) سورة الأنفال / آية ٦٠.

يفعله الأراجوزات وأصحاب الحيل الشمعية الذين يكتبون بالشمع في الهواء أو على بعض الأوراق بقصد تدريب الملكات على قراءة الأشياء في سرعة أو جراء الأشياء الثقيلة في خفة ما دامت الغاية هى استخدام الملكات والإمكانيات من غير رغبة في الدخول إلى المحرمات(١).

وهذا النوع يكون مباحاً ما لم يتعلق بمنهى عنه من إضاعة وقت المسلم أو استنفاذ طاقة في أمر لا يعود بالخير على أهل الإسلام، أما إذا كان المراد به التفريج عن النفوس والترويح عن القلوب وتدريب الإمكانيات والملكات وشحذ القدرات العقلية، فإنه يكون مباحاً ونافعاً أيضاً لأنه مجرد حيلة من الحيل تجيء على جانب من الجوانب، ومن ثم يمكن حمل هذه الأنواع في المباحات على عبارة ابن كثير بأن هذا العلم لذاته شريف.

القسم الثانى : ما لا يقع له القبول :

اتفق المحققون على أن ما لا يقع له القبول من السحر هو المتعلق بمحرم شرعاً سواء كان على الأصل أم اتبع، ولذا عد العلماء هذا النوع ثمانية، وبعضهم أكثر منها، وبعضهم أقل عنها، وسوف أعرض لأنواع هذا القسم من النواحى الآتية :-

الأول : سحر الكلدانيين وعبدة الكواكب :

وهم الذين كانوا في قديم الدهر، ويزعمون أن الكواكب هى المدبرة لهذا العالم، وأنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة وعبدوها من دون الله(٢). وهذا النوع من السحر ظهرت فيه عبادة

---

١) الشيخ / مجدى البنهاوى / العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى / ص٤١ مطبعة القرآن، وراجع أيضاً / السحر والسحرة والمسحورون / ص١٣١.

٢) الإمام الفخر / م٢ / ص٢٢٦، وابن كثير / جـ١ ص١٤٥.

الكواكب السبع السيارة، وأن الله قد بعث إليهم خليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – ليبطل مقالتهم ويرد مذهبهم(١).

وقد اشتهر هذا النوع من السحر في كل من بابل وكلديا، وأكاد وغيرها من بلاد ما بين النهرين في الماضي، وكما ظهر مثله لدى المصريين القدماء، وبخاصة لدى كهنة منف وغيرهم إذ كانوا يتعاطون هذا النوع من السحر، ويزعمون أن الآلهة هي التي كلفتهم القيام به ودربتهم عليه(٢).

الثاني : سحر أصحاب الأوهام والرقى :

الذين يتمتعون بنوع من البنية تمكنهم من الانطلاق واستعمال العصارات الباردة والتغيير في الأمزجة على ناحية من النواحي، وهذا النوع قد بان فساده العديد من الوجوه(٣).

الثالث : سحر العزائم والتسخير :

وهو الذي يقوم به بعض الأشخاص من خلال الاستعانة ببعض الأعمال التي تتعلق بالرقى والدخن والتجريد والتعاون مع الأرواح الأرضية وهم الجن الخيرة أو الشريرة، يقول الإمام الرازى "وأرباب الصفة والتجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل

---

١) ابن كثير / جـ١ / ص١٤٥، وذكر صاحب كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم قد استقصى جوانب هذا النوع إلا أنه تاب منه، ويقال أنه صنفه على وجه لإظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد وهذا النوع يسمى السحر الأسود.

٢) فرانسوا دوماس / آلهة مصر القديمة / ص٧٣ ترجمة فؤاد عبد العظيم الخرش ط دار الجيل بيروت / ١٩٨٣.

٣) الإمام الفخر الرازى / م٢ / ص٢٠٥، وقد ذكرت أوجهاً عديدة لفساده وبيان أنه من الأعمال التي يقع فيها الاستعانة بالكواكب وتأثيراتها، كما تقع الاستعانة ببعض النفوس التي فارقت الأبدان والنفوس الناطقة فتقوى على أمور غريبة خارقة للعادة.

بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد ولذا سمى بسحر العزائم وعمل التسخير"(١).

وهذا النوع ان استخدم فيما هو محرم شرعاً فإنه يكون حراماً، أما إذا استخدم فيما هو مباح، فإنه يكون مباحاً أيضاً على أساس أن الجن المؤمن قد يدل على الخير، أما الجن الكافر فهم الشياطين، ولا يدل الشيطان على خير أبداً، قال "بن كثير" : واتصال النفوس الناطقة بالأرواح الأرضية، والاستعانة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينهما من المناسبة والقرب(٢).

وفي تقديري أن هذا النوع من السحر ان لم يكن ثابتاً بالنصوص فهو مجرب بالأحوال، الخلاف فقط في نوع التسمية، وما إذا كان حقيقة أم تخيلاً، وذلك يحتاج إلى مهرة به أتقياء بالنسبة لدينهم حتى يصدروا فيه آرائهم.

الرابع : سحر التخيلات والعيون :

وهذا النوع مبني على التخيل والشعبذة على أن البصر قد يخطيء ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، ومن ثم يقع له رؤية العظيم من بعيد صغيراً، كما أن القوة الباصرة تحتاج مساحة تقف عندها، لكن إذا صارت النفس خالية من الحس فربما حصل لها انطلاق إلى ما هو أبعد من الحدود.

يقول الإمام الرازى : "ان المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق به عمل شيئاً آخر في سرعة وخفة، فيبقى ذلك

---

١) الإمام الرازى /م٢ / ص٢١٠.

٢) الإمام ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ١ / ص١٤٥.

العمل خفياً، فيتعجبون منه جداً، ولو سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر لفطن الناظرون لكل ما يفعله، وهذا معنى قولهم : "ان المشعبذ يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التي يحتال فيها"(١).

وفي تقديري أن الإمام الفخر الرازي قد وضع يده، ويد القارىء معه على مضمون ما يقوم به هؤلاء السحرة الذين قد دربوا على الخداع والتمويه بجانب التضليل والتدليس، ولو فطن أبناء الإسلام إليه لكشفوا ما يتذرع به هؤلاء المشعبذون(٢).

يقول الإمام بن كثير : ان سحر السحرة الذي كان يتم بين يدى فرعون إنما كان من باب هذا النوع القائم على الشعبذة، ولهذا قال الله تعالى : ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾(٣). وقوله تعالى : ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾(٤). بينما هى لم تكن تسعى في نفس الأمر(٥).

فبناءاً على هذا النوع من السحر إنما يتم من خلال مقدمات حركية أو لفظية تندفع بأصحابها إلى عقول الناظرين إليها حتى يتخيل أنها واقع ملموس، بينما هى خيال طافح.

---

١) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / م٢ / ص٢١١ ففى هذه الصحيفة صور كثيرة لما وقف عليه الإمام من هذا النوع.

٢) لا شك أن الشعبذة غير الشعوذة من الناحية اللغوية، فالأولى وهى الشعبذة تعتمد على خفة الحركة، أما الشعوذة فإنها تعتمد على المفردات اللغوية بجانب بعض العبارات الموهومة واستعمال المواد الأخرى كالبخور وخلافه.

٣) سورة الأعراف / الآية ١١٦.

٤) سورة طه / من الآية ٦٦.

٥) العلامة ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ١ / ص١٤٦.

الخامس : سحر الآلات المركبة على نسب هندسية :

قد يذهب الساحر في سحره إلى استعمال الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة، والمعروف أن الهندسة علم يقوم على الكم المتصل، وليس الكم المنفصل، لأن أصل الهندسة السطوح والأحجام، فكل نسبة تتعلق بالهندسة فإنما تقع على سبيل التضاعيف النسبية بخلاف علمي الحساب والجبر، فإنهما يقومان على الكم المنفصل والمتواليات الحسابية والفرق بينهما كبير جداً[1]. وذلك كالحال مع أجهزة التنبيه والاستيقاظ التي نستعملها اليوم من خلال ما يسمى بالمنظومة المعلوماتية أو الحرفة الفنية كمنتجات الريموت كنترول، فإن الواحد منا إذا ضبطها إلى ساعة بعينها، ثم انصرف عنها فإنها تتحدث وحدها أو تؤذن وحدها أو تصدر أصواتاً بغير أن يحركها أحد حتى يتصورها ضاحكة أو باكية، وربما خجلى أو شامته، فهذه الوجوه من نصيف أمور المخايل ومنه تركيب صندوق الساعات[2].

وقد جاء في هذا النوع قدرة الساحر على جر أشياء كبيرة وثقيلة من خلال آلات خفيفة تقوم على أسباب معلومة بالنسبة لمن اطلع عليها وأمكنه ممارستها، ومن هذا النوع تأتي حيل النصارى على عامتهم بما يرونهم من الأنوار كقضية قمامة الكنيسة التي لهم ببيت المقدس وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة وإشعال القنديل بصنعة لطيفة تروج على الطغام منهم[3].

---

١) وعلى ضروب الخيلاء تارة أخرى كأن يضع فارسين في مواجهة بعضهما فيقتل أحدهما الآخر، أو يضع فارساً على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسه أحد.

٢) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب /م٢ /ص٢١٢، وبهذا يكشف الإمام الفخر الرازى عن عقلية سبقت زمانها بسنين طويلة حيث مهد لظهور الكمبيوتر والانترنت، ولأجهزة الريموت كنترول وما تخبئه أرحام الأيام المقبلة.

٣) العلامة بن كثير / تفسير القرآن العظيم /م١ /ص١٤٦ والطغام هم العوام الذين لا يدركون الحيل وليست لهم علاقة بها وإنما يسمعونها أو يرونها ويكون لديهم استعداد لترويدها

ويدخل في هذا النوع أولئك الذين يوحون إلى أتباعهم بأنهم من أولياء الله لمجرد تمكنهم من الحيل التي لا يعرفها على الحقيقة الآخرون، ويذكر أهل العلم أن راهباً كان يدعى أرجعيانوس وكان موسيقار أيضاً ويقيم في هيكل أورشليم، وذات يوم كان مجتاز فلان فوجد فرخ طائر عطوف يسمى البراصل، وكان هذا الطائر صغير حزيناً، فتجيئه البراصل الأخرى بأعطاف الزيتون فتطرحه عنده فيأكل بعضها عند حاجته ويستبقى ما فعل على الحاجة.

وقف الراهب عند ذلك البرصل وتأمل حاله فعلم أن صفيره المختلف لصفير غيره، ضرباً من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجئته بما يأكله فقرر ذلك الراهب عمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت إلى ذلك الصفير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها، فجاءته البراسل بالزيتون كما كانت تجيء ذلك الفرخ لأنها ظنت أن هذا بصوت من جنسها.

فلما تم له ذلك أظهر النسك وعمد إلى أورشليم وأقام في الهيكل وسأل عن التي دفن فيها استرخص الناسك المقيم بعمارة ذلك الهيكل، فعرف أنه دفن أول ليلة من شهر آب فاتخذ صورة من زجاج مجوف على هيئة برصلة ثم نصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب، فكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفور الريح في تلك الصورة، وكانت البراسل تجيء بالزيتون حتى تمتلأ تلك القبة كل يوم والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون[1]. وكانوا في جملتهم لا يدرون ما سبب ذلك وإنما يرجعونه إلى كرامة استرخص الكاهن القديم ففتنهم أرجعيانوس بهذه الحيلة وأوهمهم أن هذا من

---

١) الإمام الرازي / مفاتيح الغيب / م٢ / ص٢١٢ وابن كثير / ص١/١٤٦.

كرامات صاحب هذا القبر، قال بن كثير : عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة(١).

السادس : سحر خواص الأدوية :

وهذا النوع من السحر يتعلق ببعض الخواص التي تكون في الأطعمة والدهانات ويكون لها تأثير المغناطيس، وقد استعان بهذا النوع الكثيرون ممن يجعلون في بعض أطعمتهم أدوية مبلدة أو مزيلة للعقل أو مسكرة للدماغ، فإذا تناول الإنسان شيئاً منها تبلد عقله ونامت فطنته، وقد أكثر الناس منها حتى خلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق(٢).

وهذا النوع من السحر يعترف به الكثيرون وبخاصة أولئك الذين لهم علم بخواص بعض الأدوية وتأثيراتها المحدودة على المعدة أو الدماغ أو بعض أجهزة الجسم الأخرى بحيث تصلب أو تلين ويستخدمون ذلك بصورة واسعة فيما يتعلق بأنظمة الحياة، وهم في كل ما ذهبوا يزعمون بأنهم أصحاب كرامات، وما هم إلا شياطين قد انفضحت منهم العورات، ويرى الإمام بن كثير أن هذا النوع من السحر يدخل فيه كثير ممن يدعى الفقر ويتحيل على جهله الناس بهذه الخواص مدعياً أنها أحوال له فيخالط النيران ويمسك الحياة، حتى يوهم غيره قدرته على ذلك(٣)، بينما هى أدهنة وأطعمة لخذها أو دهن جسمه بها حتى يتقى خطر النيران أو سم الحياة أو العقارب.

---

١) الإمام بن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ١ / ص١٤٦، ويدخل في هذا النوع ما يمارسه الدجاجلة والهراطقة وأصحاب الرسوم الزائفة الذين يخدعون السذج من الناس بأفعالهم الاجرامية بغية فتنة الناس وضلالهم.

٢) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢ / ص٢١٢.

٣) الإمام بن كثير / تفسير القرآن العظيم / م١ / ص١٤٧.

وهذا النوع يجرى مثله في أيامنا هذه الكثير وبخاصة أن الوقت الذي نعيشه تقدمت فيه وسائل استخدام الأغذية والأدوية كما تقدمت فيه وسائل حفظ الجسم من تأثير هذه الأدوية الضارة بالنسبة لأصحابها فترة من الزمان، وهو ما يعرف اليوم باسم الهرمونات المنشطة أو الهرمونات الواقية، فليس من المستغرب أن يقوم ساحر باستخدام هذه الهرمونات على ناحية من النواحى التي يأملها.

السابع : سحر التعليق للقلب :

وهذا النوع يعتمد فيه الساحر على معرفته بالاسم الأعظم فيخيل ذلك لمن يسألونه ثم يزعم لهم أن الجن تطيعه وتنقاد له، بل إنها تتصرف في الأمور طبقاً لإرادته هو، فإذا سمع الكلام ضعيف العقل قليل التميز اعتقد أن ما يقوله الساحر حق، وتعلق قلبه به، بل حصل في نفسه نوع من الرعب والخوف، وأنه متى حصل الخوف ضعفت القوى الحاسة الإرادية وحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء(1).

وهذا الساحر كلما كان المستمع له قليل العقل أو ضعيف القوى الحاسة فإنه يكون خاضعاً لسيطرة ساحرة، ومثل ذلك يقع في دنيا الناس كثير حتى صار العوام يهابون أولئك السحرة خوفاً من شرورهم، وحتى لا يلحق الأذى بهم وبخاصة أن من جرب هذه الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن لتعلق القلب أثر عظيم في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار، يقول بن كثير : وهذا النوع يقال له التنبلة ويروج به على ضعاف العقول من بنى آدم وكلما كان الساحر حاذقاً عرف كيف ينقاد الآخرون له ويتصرف فيهم كيف شاء(2).

---

1) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢ / ص٢١٢.

2) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / جـ٢ / ص٢١٢، وأيضاً تفسير بن كثير / جـ١ / ص١٤٧.

وفى تقديري : أن هذا النوع من السحر ينتشر بشكل واسع حيث يعمد المحبون للعشق من الجنسين إلى هؤلاء السحرة حتى يطلبوا منهم تقريب وجهات النظر أو تحقيق الأمانى التي يطلبونها وغالباً ما يخدعهم ذلك الساحر بحيله فيصدقوه مع أن الأيام في مقبلها يقع له بها التكذيب.

الثامن : سحر السعي بالنميمة والوجوه اللطيفة :

وهذا النوع شائع بين الناس لأن النميمة قد تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين وهذا حرام متفق على حرمته، وقد تكون النميمة على وجه إصلاح الناس وتأليف كلمة المسلمين فتكون أمراً مطلوباً لقوله ﷺ : ليس الكذاب من ينم خيراً، قال العلامة الفخر : وهذا النوع شائع في الناس(1).

وقال بن كثير : وهذا أمر مطلوب حيث فعل نعيم بن مسعود ذلك في تفريقه بين كلمة الأحزاب، وبنى قريظة حيث جاء إلى كل منهم فنما له عن الآخر، ونقل من هؤلاء إلى أولئك ثم لنم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت وتحقق النصر للمسلمين والهزيمة للمشركين، قال تعالى : ﴿وأورثكم أرضهم وأموالهم﴾.

وفى تقديري أن هذه الأنواع كلها لا يمكن النظر إليها نظرة واحدة من حيث تعلقها بالحكم الشرعى، وإنما لابد من القول بأن بعضها يكون حراماً وبعضها قد تقع له الإباحة والبعض الآخر قد تقع له الكراهة إلى غير ذلك من الوجوه التي تعلق بها الحكم الشرعى.

والذى انتهى إليه أن السحر أمر مألوف بالنسبة لمن يجيد القيام به لكنه أمر خارق للعادة بالنسبة لمن لا يعرف قواعده ولا يستطيع القيام به

---

1) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / جـ2 / ص213.

وما دام عاجزاً عن ذلك فإن ما يجرى أمامه يكون خرقاً للعادة ولذا اعتبر السحر من هذه الناحية من خوارق العادات.

والذى تطمئن إليه النفس : أن السحر ان حسب على مألوف الناس وبخاصة المجيدين له فإنه لا يكون خارقاً للعادة وإنما يكون علماً له قواعد وأصول يجيء فيها ويعرف بها، أما إذا كان على غير المألوف ولم يقع لعارف به أو من عوام الناس فإنه يكون أمر خارق للعادة ينضم إلى جملة الخوارق على ناحية من النواحى.

والذى أنتهى إليه : أن السحر يمكن اعتباره من خوارق العادات على الناحية التى ألمحت إليها كما يمكن القول بأن حلاله حلال طبقاً للأحكام الشرعية وحرامه حرام من هذه الناحية أيضاً وهو ما أود التركيز عليه، كما أنى أرى ضرورة ارتباط السحر بالخوارق من هذه الناحية وبخاصة أن العوام أو بعض المثقفين صاروا ينظرون إليه على أنه من باب الكرامات، وبالتالى يخدعهم السحرة كما يضلونهم ولهذا أثره السلبى على الثقافة الإسلامية وخطره على المسلمين أيضاً.

الباب الثاني

علاقة الكرامة بالطرائق المختلفة

الفصل الأول :

الكرامة بين المفهوم والدلالة

الفصل الثاني :

الكرامة بين الإثبات والنفى


الفصل الأول
الكرامة بين المفهوم والدلالة

أولياء الله تعالى هم صفوته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، باعتبار أن الأنبياء يصطفيهم الله لحمل رسالته، أما الأولياء فإنه يصطفيهم لذاته حتى جعلهم له وحده، قال تعالى: ﴿إن ولى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾(١). أى الله حسبى وكافينى وهو نصيرى وعليه متكلى وإليه ألجأ وهو ولى في الدنيا والآخرة وهو ولى كل صالح بعدى(٢).

فالصالحون من عباد الله هم المخلصون وجوههم له، الذين يقعون عند قضائه وقدره موقع الرضا الكامل، والتصديق التام بما يجيء به أمر الله تعالى، قال عز وجل: ﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(٣).

أى أن الله تعالى يهدى من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشرك والريب إلى نور الحق الواضح الجلى المبين السهل المنير وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والشرك(٤).

بيد أن أولياء الله كلما تولوا الله بالطاعات فإن الله جل علاه يتولاهم بالكرامات، حيث تنخرق لهم العادات، وتصبح بين أيديهم كأنها خضعت لهم، أو تتم عن طريق طلبهم لها.

---

١) سورة الأعراف / الآية ١٩٦.

٢) راجع تفسير القرآن العظيم للعلامة عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير جـ٢ / ص٢٧٦ ط. الحلبى.

٣) سورة البقرة / الآية ٢٥٧.

٤) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٢.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله تبارك وتعالى قال : من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألنى أعطيته، وان استعاذنى أعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره اسائته"(١).

يقول العلامة الشوكانى : هذا من الأحاديث القدسية، ويحتمل أن يكون مما تلقاه ﷺ عن ربه بلا واسطة، ويحتمل أن يكون مما تلقاه ﷺ عن ربه بواسطة الملك(٢).

وبالتالى فإن هؤلاء الأولياء يجرى الله على أيديهم أموراً تميزهم عن غيرهم بحيث لا يقع أى خلط مهما اقتربت مظاهره، يقول الإمام التفتازانى : "كرامات الأولياء هى ظهور أمر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوة، وبهذا يمتاز عن المعجزة وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح والتزام متابعة النبى عن الاستدراج وعن مؤكدات تكذيب الكذابين"(٣).

وصاحب الكرامة يحرص دائماً على سترها، لأنه لو ادعاها ربما حبست عنه وامتنعت منه، وحدث له تبدل، يقول العز بن عبد السلام(٤) :

---

١) فتح البارى / جـ٨ / ص١٣١ / طبعة الشعب، قال الإمام ابن تيمية : أنه أصح حديث روى في الأولياء، راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ص٢٣.

٢) الإمام الشوكانى / قطر الولى على حديث الولى، أو ولاية الله والطريق إليها صـ ٢٣٢ تحقيق د/ إبراهيم هلال / ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٩م.

٣) العلامة سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / م٢ / ص١٤٩.

٤) هو "العز بن عبد السلام بن أحمد القيلوى البغدادى المولود في دمشق والمتوفى سنة ٦٥٩ تسع وخمسين وستمائه" راجع العلامة مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى (١٠١٧هـ-١٠٦٧هـ) / كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون / جـ٢ ص١٣٣٩ / دار الكتب العلمية بيروت / ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

"والكرامة لا يدعيها الولى ولا هى بحكمه بحيث يستدعيها متى أراد، بل تارة تظهر اختياراً، وتارة تظهر عليه اضطراراً"(1).

ومن ثم فإن الكرامة تمثل نوعاً من اللطف الإلهى بالعبد الصالح، لأنها مما يجيء على يدى الله سبحانه وتعالى، يؤمن بها أهل الإيمان، ويجادل فيها أولئك الذين غلبت عليهم أمور الحياة الدنيا.

يقول أحد العلماء : إن الكرامة يجريها الحق على من اختصه من عباده المطيعين ترقية لهمته وإظهاراً لرتبته، أو تأنيساً له من وحشته أو إعانة له على وقته، أو زيادة له في معرفة، أو امتحاناً له في حال(2).

كما يقرر غيره من أهل الولاية أن الكرامة في الحقيقة من مواهب الحق لا من مكاسب العبد، ونظراً لأن خوارق العادات متعددة كما أن الكرامات متنوعة، ومن ثم فإن البحث العلمى يقتضى ضرورة تقديم تعريف للكرامة على الناحية اللغوية، والأخرى الاصطلاحية كصورة من صور تحديد المفهوم حتى يكون أمر البحث العلمى مستقراً على ناحية صحيحة، وبخاصة أن علماء أهل الإسلام يقررون أن ولى الله هو الذي يكون آتياً بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون آتياً بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة(3).

فما هى الكرامة في اللغة والاصطلاح؟

أولاً : الكرامة في اللغة :

جاءت كلمة الكرامة في لغة العرب اسماً منقولاً من الوصفية إلى العلمية، كما جاءت وصفاً مستقلاً على بابه، لكن مجيئها من هذه الناحية

---

1) الإمام العز بن عبد السلام / بين التشريع والحقيقة / ص٤٠.

2) الشيخ ابن رزدق / قرة العين في شرح حكم بن عطاء الله / جـ٢ / ص٨.

3) الإمام الفخر الرازى / التفسير الكبير / جـ١٧ / ص١٢٦ آية ﴿ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

إنما يكون على مادة التكرم والإكرام، وفى نفس الوقت جاءت اسماً منقولاً من هذا الوصف حاملاً معناه.

قال صاحب المختار : الاسم منه الكرامة، ويقال حمل إليه الكرامة[1].

والكرامة بهذا المعنى تساوى منزلة من المنازل التي لا تدرك بالحس من حيث هى، ولكنها تدرك بالحس والعقل من حيث آثارها، ولذا فالأثر الظاهر عنها هو الذي يمكن الحكم عليه بالقبول أو عدمه، لكنها في الغالب الأعم تأتى وصفاً لمدح جانب من جوانب من قيلت فيه.

ويقرر الإمام الفخر الرازى : أن الكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح، ومن ثم فنفيها إنما هو نفى لوصف الكمال العقلى[2].

وقد وردت الكلمة في لغة العرب على العديد من المعانى :

المعنى الأول: الفرح والسرور :

قالت العرب : كرم فلان بزواره بمعنى فرح بهم واستبشر حتى أنه تمنى لو استمر عنده فهم معه في سعة، وهو معهم في أمن وأمان.

المعنى الثاني: حسن استقبال الضيف :

كانت العرب تقول : كرم فلان : إذا وضع بين يدى ضيفه القِرى[3]، بل كانوا لا يستبشرون بعبد لا يأكل طعامهم، ولذا كانوا

---

١) العلامة أبو بكر الرازى / مختار الصحاح / باب الكاف ص٥٩٤، ولسان العرب / جـ٥ ص٣٨٦١، ط دار المعارف بدون تاريخ وكذلك المنجد في اللغة والاعلام ص٦٨٢ ط دار المشرق بيروت / ط٣٤ / ١٩٩٤م.

٢) الإمام فخر الدين الرازى / مفاتيح الغيب / م١٥ / ص٢٨٨ دار الغد العربى ١٩٩٢م القاهرة.

٣) القرى : هى كالصفحة التي يقدم فيها الطعام، ولكنها تكون غالباً مما يتحمل الطهى فيه / راجع : قطر المحيط / باب القاف / ص٦١٣، وكذلك المنجد في اللغة والآداب والاعلام / ص١٤٣ باب القاف.

يقولون : من لا يأكل طعامك لا يحفظ زمامك، بل ان هذه المفاهيم طبقت على من عاشوا بين العرب ولو قليلاً من الوقت، ولذا لما قدَّم خليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – القِرى لأضيافه ولم يأكلوا أول الأمر، توجس منهم خيفة، ثم أخبروه أنهم ملائكة الله لا يأكلون ولا يشربون، وبالتالى زال عنه التوجس وانقطع الخوف[1].

المعنى الثالث : المنزلة والدرجة :

يقال : كرم فلان في عينى الأمير : بمعنى : علا قدره وارتفعت منزلته، وكان الأمراء يدنون إليهم أصحاب المنزلة الرفيعة، ويوقفون عليهم العطايا الكثيرة، من باب كرم الأمير وإبراز منزلة صاحب هذا العطاء الجزيل.

المعنى الرابع : ما يجمع بين الإمكانيات والملكات[2] :

يقال لهذا المرء سعة كرامة، فهو طويل النجاد، قوى العماد، وقد امتدح العرب هذا النوع من الكرامة حتى قيل شعراً:

---

١) الأستاذ محمد على باشا النكلاوى / أمثال العرب وحكمهم / ص١٢٨ ط الدار العصرية ١٣٢٨هـ علق عليها ونقحها الشيخ محمد فهمى سعدد الله من علماء الأزهر الشريف، ويقول تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ...﴾ سورة الذاريات / ٢٤-٢٨.

٢) الامكانيات : ما يتعلق بالجوانب المادية البدنية كالعضلات وغيرها، أما الملكات فهى ما يتعلق بالجوانب النفسية والعقلية من ذكاء وتسامح وقدرات على تفادى الأمور الصعبة، ولذا فما من ملكة إلا وتبرز صاحبها والناس جميعاً متمايزون في الملكات. راجع د/ فؤاد أبو حطب / الفروق الفردية ص٧٨ ط سعيد رأفت ١٩٨٧م، وكذلك / هنرى جنس / القدرات العقلية والفروق الفردية بين الأسوياء ص٤٣ ترجمة / حنان مرسى / ط دار الفكر بيروت بالاشتراك مع مؤسسة فرانك لين نيويورك ١٩٦٩م.

ومهما يكن منى فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل

ومعناه : أنه يمدح نفسه بجملة من الصفات، فبيته يأوى إليه الناس جميعاً، ولذا فإن كلبه لا ينبح[1]، كما أن إبله التي انفصلت عن أمها حدث لها هزال، نظراً لكثرة الأضياف المترددين على الرجل، حيث لا يسمح لفصائله أن تأخذ حظها من لبن أمهاتها بالقدر الكافى، ومن ثم كان هزال الفصيل علامة في هذه الحال على كرم صاحبه لا على ضعف الحيوان نفسه، وقد كان الشعراء يمتدحون الأمراء والملوك في هذا الجانب كثيراً، وقد امتلأت كتب العرب، أشعارها وأنثارها ما يعبر عن هذا الجانب من التمايز.

المعنى الخامس : الإلهام :

كانت العرب إذا حادثهم آحاد الناس بما ليس مستطاعاً للجميع يقولون أنه ملهم متى كان ناتج حديثهم صدقاً، أما إذا صدق مرة وكذب أخرى فإنهم يقولون عنه : انه كاهن ولا يقولون إنه ملهم، وبالتالى فقد كانوا يميزون بين الكهانة والإلهام تميزاً كبيراً[2]، لأن الكرامة لا يدعيها صاحبها، وإنما تجرى عليه منحة من الله عز وجل لهم، بينما الكهانة يقوم بها من لا ورع عنده ولا خوف من الله لديه.

---

١) لأن الكلب لا ينبح في النهار إلا إذا كان أصحابه بخلاء لا يتردد عليهم أحد، ولذا فهو ليس معتاداً الحركة للقادمين والذاهبين، بل ان صمت الكلب في هذا الحال دليل على الكرم، ونباحه من معالم البخل.

٢) والفرق بين الكهانة والكرامة كبير جداً، إذ الكهانة تقوم على دعوى معرفة الغيب وصاحبها كذاب وفى الحديث الشريف "من أتى عرافاً أو كاهناً أو منجماً فسأله عن شيء فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، راجع / الشيخ / محمد عبد العظيم السيد النبهانى / من هدى السنة النبوية / جـ١ / ص١٧٨ ط المطبعة الأميرية مصر ١٣٣٨هـ، وراجع في ذلك : لسان العرب جـ٥ / ص٣٨٦١، والمنجد في اللغة والإعلام ص٦٨٢، وكذلك مختار الصحاح ص٥٩٤ باب الكاف.

فالكرامة صفة يتميز بها من جرت له، أو أجريت على يديه، وأنها تكون في المحسوسات كما تكون في المعقولات، وكلما كانت عالية في عطائها كانت عالية أيضاً في صدر صاحبها، ولذا قال أصحاب العرفان : "كلما والى العبد مولاه بالطاعات أفاض الله على هذا العبد بالكرامات"(١).

بل ذهب أوائل الصوفية إلى أن الكرامة لا تكون باستحقاق من العبد، وإنما بتوفيق من الرب وكلما كان المرء قائماً على الكتاب والسنة، محكماً إياهما في أمر معاشه ومعاده، وما بين المعاش والمعاد فإن الله تعالى يوليه عناية وعطفاً، حتى لتجرى الخوارق على يديه من غير إرادة منه، فيكون كالنهر تتردد بين جنباته المياه العذبة، فيمتدح بها رغم أنه لم يكن سبباً في جريانها(٢).

ومن ثم يمكن القول بأن الكرامة على المعنى اللغوى كانت معروفة لدى العرب قديماً قبل الإسلام، وصارت معروفة بمعنى أوسع فتشمل المنزلة العالية والدرجة الرفيعة بجانب الوصف الكمالى الجسدى والعقلى، بل والمالى والبدنى، فهى في الإسلام أعم وأشمل.

---

١) ينسب هذا القول إلى ذى النون المصرى، كما ينسب إلى القاضى عياض، ويبدو أنه من مأثوراتهما وغيرهما، راجع / الشيخ محمد الحسينى بن عبد الرحمن الغاياتى / مكاشفات أسرار القلوب ص٣٧ تحقيق / رينز / ط دار صادر بيروت / وراجع العلامة عبد الرحمن بن الدباغ / مشارق القلوب وأسرار الغيوب ص٧٨ بيروت ١٩٨٣م.

٢) الشيخ / محمد عبد العظيم منصور الدياسطى / أولياء الله وكراماتهم / ص٦٣ / المطبعة الأميرية / مصر المحروسة ١٣٣٩هـ، وراجع الإمام محمد عبد العظيم الواسطى / مكاشفات الصوفية بين النقل والعقل ص٤١ ط دار حشمت بالديار العثمانية ١٣١٣هـ حيث ذكر أمثلة عديدة وتناول مظاهر كثيرة.

ولعل هذا الفهم يؤيده الحديث الشريف، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة"(١).

والكرامة والواردة في الحديث الشريف لا شك أنها تحمل على المنزلة العالية، والدرجة الرفيعة في الجنة بالنسبة للشهيد، وفى الدنيا بالنسبة لأهل الكرامة، كما أنها تحمل على الدرجة الرفيعة في الأمرين معاً.

وفى القرآن الكريم نجد مشتقات الكرامة في آيات كثيرة، ورد أكثرها بصيغة اسم الفاعل منسوباً إلى الله تعالى مثل : ﴿ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾(٢) وأيضاً منسوباً إلى نعم الله تعالى نحو قوله تعالى : ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾(٣) ويأتى منسوباً إلى الإنسان بصيغة اسم التفضيل مثل قوله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٤) وأيضاً يكون منسوباً إلى فعل الله تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر﴾(٥) فالكرم يدور حول الله والإنسان ونعم الله.

كذلك ألمح القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف إلى العديد من أوجه الكرامات التي جاءت على النواحى المختلفة كالحال مع يوحانذ

---

١) الإمام محمد بن على الجامى / من هدى السنة المطهرة ص١٢٥ والدكتور / عبد الحليم محمود / الإسلام والإيمان ص١٣٤ ط دار الكتب الحديثة.

٢) سورة النمل / ٤٠.

٣) سورة الأنفال / ٤.

٤) سورة الحجرات / ١٣.

٥) سورة الإسراء / ٧٠.

أم موسى – عليه السلام – حيث ألقى الله في روعها ان هجم أعداء الله على وليدها أن تلقيه في اليم، لأن الله سيرده إليها وقد فعلت ورد الله وليدها إليها فتربى بين أحضانها كما وعدها سبحانه وتعالى، قال عز وجل : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتي عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليكي وجاعلوه من المرسلين﴾(١).

ثم قال تعالى : ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾(٢).

وكذلك جاءت الكرامة في القرآن الكريم على سبيل التصريح بالفعل أو الترك، أما ما جاءت بالنص عليها فمن التصريح الملمح إلى النوع قوله تعالى : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوسيط لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾(٣) فالكلب ما كان له أن يعيش تلك المدة المتطاولة مخترقاً السنن الطبيعية لأمثاله(٤)، وفي نفس الوقت فإن بقاء هؤلاء أحياء من غير طعام ولا شراب تلك المدة المتطاولة يمثل صورة من صور الكرامة أو مظهراً من مظاهرها على ما ذهب إليه العلماء من أن الإنسان الطبيعي يحتمل الجوع أو العطش مدة محدودة، ثم

---

١) سورة القصص / الآية ٧.

٢) سورة القصص / الآية ١٣.

٣) سورة الكهف / الآية ١٨.

٤) حيث يذهب الكثيرون من أهل العلم إلى أن تحديد عمر الكلاب يعتمد على عدة عوامل علمياً منها : البيئة – السلالة – الحالة الصحية – إجراء التمارين الرياضية والتغذية. فهناك سلالة اسمها "فوكس كيلر" وهذه عمرها يتراوح من ١٨ : ٢٠ سنة، وهناك سلالة أخرى ألمانية اسمها "شيفرد" يتراوح عمرها من ١٢ : ١٣ سنة.

وتم ذلك بمقابلة شخصية مع الأستاذ الدكتور / محمد مرسى رمضان أستاذ مادة سلوكيات الحيوان ورعايتها بكلية الطب البيطرى بمشتهر جامعة الزقازيق – فرع بنها.

بعد ذلك يبدأ الجسم في اعلان عجزه على أساس أن الغذاء يتحول في جسم آكله أو المغتذى به إلى طاقة ودم عليهما عماد حياته.

وإلا فإن الهلاك محيق به، كما ثبت أن امتناع الإنسان الطبيعى عن الطعام والشراب والغذاء مدة متزايدة تودى بهلاكه، فما بالنا وقد عاش هؤلاء في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً من غير طعام ولا شراب ولا اغتذاء، تلك المدة الطويلة ولم يحدث لهم شيء من مكروه أو ما يعلن عن انقضاء آجالهم(١).

ولا يمكن حسبان ذلك من باب المعجزات، إذ المعجزة لا تكون إلا لنبى، وأهل الكهف بإجماع علماء المسلمين كانوا أصحاب كرامة، ولم يكن الواحد منهم نبياً.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لكى هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾(٢).

فزكريا عليه السلام كان كلما تردد على مريم – رضى الله عنها – في الهيكل وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان كلما سألها عن مصدر ذلك كان جوابها بالإحالة على مشيئة الخالق سبحانه وتعالى، ومن هنا فإن زكريا – عليه السلام – قد أغراه ظهور الفاكهة في غير أوانها أن يسأل الله غلاماً زكياً يرثه ويرث من آل يعقوب، على الرغم من كبر سنه وعقم زوجه الياصبات، وتفتحت أبواب السماء لدعاء الشيخ فحملت زوجه بيحيى – عليه السلام – (٣).

---

١) كما ثبت أن عملية الإخراج تمثل أحد الضروريات للجسم الطبيعى، فإذا اختزن الجسم الطبيعى هذه الفضلات فإنها تكوت قاتلة له ومن ثم كانت نعمة الله على الإنسان كما في مطعمه ما يقع عليه مخرجه أيضاً.
٢) سورة آل عمران / ٣٧.
٣) د / رفقى زاهر / قصة الأديان، وراجع الجامع لأحكام القرآن الكريم للامام القرطبى جـ٤ ص٧٦.

وفي تقديري : أن الكرامة قد تجيء على معنى مطروق لدى أصحاب الأشواق والأذواق، كما تجيء في مفاهيم آخرين، ولكن القاسم المشترك هى أنها فعل من أفعال الله تعالى دال على تفوق هذا العبد عن غيره، وهى بهذا المعنى تكون مقبولة لورود لغة العرب والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية بها، يستوى في ذلك أن تكون الكرامة من حيث هى منزلة ومن حيث هى وصف عام، وذلك مما يحتاج تناولها في الاصطلاح، فما هى الكرامة في اصطلاح العلماء؟!!

ثانياً : الكرامة في اصطلاح العلماء :

المعلوم لدى الدارسين أن أصحاب كل فن من الفنون، أو علم من العلوم لهم اصطلاحاتهم الخاصة التي يتميزون بها عن غيرهم، ولا يطعن اصطلاح على اصطلاح، كما لا يطعن قوم على قوم في اصطلاح خاص بهم، ولذا قيل : لا مشاحة في الاصطلاح(١).

ثم إن الاصطلاح في مفهوم واتفاق قوم مخصوصين في علم من العلوم، أو فن من الفنون على استعمال لفظ أو ألفاظ بعينها في معان دالة عليها لا تخرج عنها(٢).

---

١) قد يكون الاصطلاح عاماً، ومن ثم فالجميع يشترك فيه، فهذا نادر الحصول عليه، وقد يكون خاصاً بكل فرع أو تخصص على حدة، وهو ما يعرف بالاصطلاح الخاص كاصطلاح النحويين والبلاغيين، بل واصطلاح الفقهاء والمحدثين واستعمالاتهم لألفاظ عامة يخصصونها في أبحاثهم، كلفظ الدلالة مثلاً فإنه يستخدم لدى كل من سلف لكن معانيه واصطلاحاتهم الخاصة تميز أصحاب كل تخصص عن غيرهم / راجع / مبحث الدلالة في كتب المنطق ففيها تفاصيل كثيرة وبخاصة شرح الخطابى على الرسالة الشمسية.

٢) الدكتور محمد السيد شلبى / منهج البحث العلمى / ص١١٥ ط الدار العصرية ببيروت / ١٩٨٨م.

وقد ذهب العلامة الجرجانى إلى أن الاصطلاح واتفاق قوم معينين على استخدام لفظ معين في معين[1]، ومن ثم فإذا نقل هذا الاصطلاح من هؤلاء القوم إلى غيرهم بذات المعنى المتفق عليه عند أصحابه، فإنه يكون اصطلاحاً منقولاً، ولابد أن يستخدم بمعناه المراد عند من أقاموه، وإلا كان الاستعمال خاطئاً.

وهناك ألفاظ اصطلح عليها في الكثير من العلوم بمفاهيم خاصة، فإذا لم تستعمل بذات المفاهيم، فإن أصحابها يقعون في ضلالة حتماً، مثال ذلك : لفظ الوتد، فإنه يطلق في اصطلاح ساكنى الصحراء على قطعة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة، أو يربط بها الحيوان، وقديماً قال الأعرابى :

لا يقيم على خيم يراد به   إلا الأذلان عير الحى والوتد
فهذا على الخسف مربوط برمته   وذاك يشبح فلا يرسى له أحد

ولفظ الوتد، يستعمل لدى علماء النظم العروضيين[2] بأنه : ما كان من حركة فسكون فحركة، ويسمى وتداً مفروقاً، أو ما كان من حركتين فسكون فحركة ويسمى وتداً مفروقاً، أو ما كان من حركتين فسكون ويسمى وتداً مجموعاً[3].

---

١) السيد بن على الجرجانى : التعريفات / باب الألف / ص٢٥ ط الحلبى ١٩٣٩م.

٢) وهم العلماء الذين يعنون بعلم العروض الذي يمثل قواعد قرض الشعر العربى الأصيل الموزون المقفى ومن أقدمهم : الخليل بن أحمد الفراهيدى، ثم جاء من بعده فاكتملت بحور الشعر إلى اثنين وعشرين بحراً ذات تفعيلات تامة أو ناقصة / راجع في ذلك / د. السيد محمد ديب : أوزان الشعر / دراسة في العروض والقافية / ص٦ / ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣) المصدر السابق ص٦٠.

ولا يمكن استعمال مصطلح الوتد عند العروضيين بنفس معناه عند ساكني الصحراء.

كذلك لفظ الوتد يرد عند الصوفية بمعنى العالم المتمكن من العلم العامل بما علم فصار وتداً في معارفه وعلومه وتطبيقه لما علم مقتدياً بحديث رسول الله ﷺ : "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه لعمل ما يعلم وما لا يعلم"(١).

فالصوفية يتحدثون عن الأوتاد بما هو قائم في مصطلحاتهم ولا يمكن التعامل مع مفهوم الوتد عند العروضيين أو عند غيرهم، مما يؤكد أن مراعاة الاصطلاح الخاص ضرورة علمية.

وفى تقديري : لو أن الباحثين التزموا تلك القاعدة ما حدث بين الناس صراعاً إلى حد تكفير كل فريق للآخر، وقد أشار إلى ذلك الإمام الغزالى في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد حيث أكد أن غلطات الناس سببها وقوعهم في استخدام مصطلحات على معانى واحدة، بينما هى مختلفة في طبيعتها(٢)، كما أكد غيره على ذات الفكرة وطالب بأن تكون المصطلحات المتداولة واقعة في نطاق ما يسمى تحرير محل النزاع(٣).

وسوف أعرض لمفهوم الكرامة في اصطلاح كل من المتكلمين والصوفية على أساس أنهم الذين يعترفون بالكرامة، ويقرون بوقوعها وسيكون ذلك على النحو التالى :

---

١) الحديث ذكره الإمام أبو نعيم في الحلية / جـ١٠ / ص١٥، وابن تيمية في الفتاوى / جـ ١٣ / ص٢٤٥.

٢) المرحوم فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود / المنقذ من الضلال مع مقدمة في التصوف / ص٣١٢ طبعة دار الطباعة المحمدية ١٩٧١م، وراجع الاقتصاد في الاعتقاد والقطب الثالث / الإمام محمد بن محمد الغزالى / ص٥٣ مطبعة صبيح.

٣) وقد أكثر علماء الإسلام من الحديث عن هذا الجانب وأكدوا عليه بشكل كبير، ولمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة / الرسالة الرشيدية، وكذلك المؤلفات التي تركها شيوخنا الأجلاء في علم الكلام.

أولا : الكرامة في اصطلاح المتكلمين

عرف المتكلمون الكرامات بعدة تعريفات، بعضها تجيئ فيه ملامح إلهامية، وبعضها تجيئ فيه مفردات كلامية، وبعضها يجيئ من خلال إبراز العلاقة بين الكرامات والمعجزات.

فنجد المتكلمين من أهل السنة والجماعة يقرون بالكرامة ويرون أنها من الأمور الممكنة عقلا، والواقعة فعلا، وأنها من جنس الخوارق للعادات، ولذا قدموا لها تعريفات اصطلاحية كثيرة من أبرزها :

فالامام "أبو حامد الغزالى"[1] في الاقتصاد يعرفها بأنها: عبارة عما يصدر من غير اقتران التحدى به[2]...وهو حين يعرفها بذلك إنما يجعلها داخله في نطاق خوارق عادات التأييد من غير المعجزة[3].

---

١) الإمام ابو حامد الغزالى : هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى أبو حامد حجة الاسلام، فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف، مولده ووفاته في الطابران/ خراسان من أشهر كتبه : تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد، احياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، الجامع العوام عن علم الكلام، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة .....الخ المؤلفات الكثيرة ولد عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م وتوفى عام ٥٠٥هـ/١١١١م

راجع : وفيات الاعيان ١:٤٦٣، وطبقات الشافعية، ٤:١٠١، الوافى بالوفيات ١:٢٧٧، مفتاح السعادة ٢/١٩١/٢١٠، الإعلام للزريكلى ج ٧/٢٤٧/٢٤٨.

٢) الإمام الغزالى أبو حامد/الاقتصاد في الاعتقاد/ صـ طبعة الحلبى ١٩٣٨م.

٣) لما هو مشهور من أن الخوارق أنواع ثلاثة :

الأول خوارق التأييد وهى ستة :

١- المعجزة ٢- الكرامات ٣- الفراسات ٤- الإرهاصات ٥- المغوثات ٦- المعونات.

الثاني : الاخفاقات وهى :- ١- الإهانة ٢- الاستدراج.

الثالث :- ما يتعلق بالمهن والحرف وهو السحر.

- فالمعجزة : أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة. وتأتى مع النبى.
- الكرامة : أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد صالح ظاهر الصلاح ولا يتحدى بها، وتأتى مع الولى. ==

لكن هذا التعريف كان يحتاج إلى إبراز قيد " أنه خارق للعادة" بحيث يكون التعريف هكذا : الكرامة : عبارة عما يظهر خارقا للعادة من غير اقتران التحدى به مؤيداً لمن ظهر على يديه.

ويذهب العلامة " السيد الشريف الجرجانى" إلى أن : الكرامة هى ظهور أمر خارق للعادة من قبل غير مقارن بدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح فانه يكون استدراجا، وما يكون مقترنا بدعوى النبوة فانه يكون معجزة(١).

ويقرر العلامة " سعد الدين التفتازانى"(٢) من متكلمى الأشاعرة بعدما ذكر صفات الولى وكراماته أن الكرامة : هى أمر خارق للعادة من

- الفراسة : أمر خارق للعادة يأتى مع ظاهر الصلاح سواء كانت روحه أخلاقية أو بدنيه أو رياضية.
- الإرهاص : أمر خارق للعادة يأتى تمهيد لظهور نبى كإظلال الغمام لسيدنا محمد ﷺ.
- الاستدراج : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد كذاب يدعى الألوهية أو النبوة على غير مراده فيأتى مخالفاً لغرضه.
- السحر : أمر قابل للتعلم وله قواعد وأصول ولا يشبه المعجزات ولا يختلط بها.
- الإهانة : أمر خارق للعادة يقع على ظاهر الفساد اهانة له كما فعل مع مسيلمة الكذاب، حيث تفل في البئر فغاضت ماؤه، وتفل في عين مريضة لتبرأ فما برئت بل ومرضت السليمة.
- المعونة : أمر خارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح تخليصاً له من محنة.
- المغوثة : أمر خارق للعادة لعبد صالح انقاذاً له من اهلاك عدو.

راجع / عقيدة العوام نور الظلام / للشيخ / محمد نووى الشافعى.

١) السيد الشريف الجرجانى/التعريفات/ باب الكاف/ صـ ١٦١ ط الحلبى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

٢) سعد الدين التفتازانى : هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان ٧١٢هـ/١٣١٢م من بلاد خراسان، وأقام بسرخس، وأبعده تيمور لانك إلى سمرقند توفى فيها ودفن بسرخس عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م ومن أشهر مؤلفاته : شرح مقاصد الطالبين، شرح العقائد النسفية، تهذيب المنطق.... الخ صنف من الكتب وكان عمره ست عشرة سنة راجع الاعلام للزريكلى ج٨ صـ ١١٤/١١٣ وهدية العارضين م٤٢٩/٢ راجع العلامة ابن القيم الجوزيه : مدارك السالكين جـ٢ / ٥٠٤ وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٦ حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد ص١٢١ ط الحلبى ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

قبل الولى بلا دعوى النبوة، وبهذا يمتاز عن المعجزة، وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح والتزام متابعة النبى عن الاستدراج وعن مؤكدات تكذيب الكاذبين(١).

وهذا التعريف فيه الكثير من الضوابط، مما تجعله منطبقاً تماماً على الولى، لأن الولى لا يطلب جريان الكرامة على يديه، لأنه لو طلبها لما أجيبت لطلبه، بل ربما حرم منها.

ويذهب العلامة الباجورى إلى أن الكرامة : ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح من أمور خارقة للعادة(٢). غير أن هذا التعريف قد يكون قصيراً، أو مختصراً، لكنه ربما أدى إلى النتيجة المرجوة(٣).

ويرى العلامة الباجورى أيضاً : أن الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبى، كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم(٤).

وهذا التعريف فيه الكثير من ألوان الشمول، وهى سمة متأخرى الأشاعرة الذين يحرصون على أن تكون تعريفاتهم وافية.

أما الإمام السنوسى فيقرر أن الكرامة، وإن كانت أمراً خارقاً للعادة فإنها لا تكون مرتبطة بدعوى النبوة ولا مقارنة لها(٥).

---

١) الإمام سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد / جـ٢ ص١٤٩ وشرح المواقف أيضاً.

٢) العلامة إبراهيم الباجورى / حاشية الباجورى على الجوهرة ص٧٧ المطبعة الأزهرية ١٣١٠هـ.

٣) إذ ليست العبرة بقصر التعريف أو طوله، إنما العبرة بكونه وافياً للغاية أم غير واف.

٤) الإمام الباجورى / حاشية الباجورى على الجوهرة ص٨٩.

٥) الامام السنوسى / شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى، وبالحواشى / شرح الشيخ إسماعيل الحامدى على الكبرى ص٤٤٦ ط الحلبى الأولى ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

وهذا التعريف يصلح للفرق بين الكرامة والمعجزة، ومن ثم فاعتباره تعريفاً مستقلاً للكرامة فيه نوع من المغامرة العلمية لما هو معروف من أن كل التعاريف لابد أن تكون مرتبطة أوائلها بالأواخر، مقدماتها بالنتائج.

ويرى أحد العلماء وهو الأستاذ فريد وجدى : أن الكرامة يعول عليها جميع أصحاب الأديان باعتبارها أحد الخوارق التي تظهر من صالحى أتباعها[1].

ولست أوافقه الرأى : لأن هذا القول مطلق، يشمل اليهود والنصارى وغيرهم من الأدعياء الكذبة، ومثل ذلك التعريف يكون مرفوضاً لكونه غير جامع ولا مانع.

ويقرر الأستاذ وجدى رأياً آخر يكون بمثابة البديل عن السابق فكأنه في دائرة المعارف كان يجمع الأقوال ولا يوازن بينها، وبالتالى فلا يمثل القول السابق رأيه، وإنما يمثل ما ذكره بعد من أن الكرامة هى أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لا يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبى كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم[2].

وهذا التعريف قريب جداً من تعريف الإمام الباجورى الذي ارتضاه ودقق به على صحة اعتقاده، ومن ثم يصح القول بأن تعريف الأستاذ فريد وجدى والشيخ الباجورى كلاهما واحد وكان الأولى أن ينسب اللاحق ذلك التعريف للسابق أو يضيف إليه ما يتميز به عن غيره بحيث يصير تعريفاً خاصاً به.

---

١) الأستاذ / محمد فريد وجدى / دائرة المعارف القرن العشرين جـ٨ ص١٤٥.

٢) الأستاذ / محمد فريد وجدى / الإسلام في عصر العلم / ص٣٩٤ ط دار التراث.

ولا أعجب من تواتر الآراء أو تواردها في تعريف الكرامة على ألفاظ بعينها بدليل أن الشيخ "الطير" يقرر نفس ما سلف ذكره لدى كل من الإمام الباجورى وفريد وجدى، فيقول : الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبى، كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم[1].

وهذا التعريف كسابقيه، إلا أنه أضاف قيداً جديداً وهو قوله : ولا مقروناً بدعوى النبوة.

ونجد الإمام البغدادى في أصول الدين يميز الكرامة عن المعجزة قائلاً : "ان صاحب المعجزة مأمون التبديل، معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله[2].

ونفس الفرق نلمحه في تعريف العز بن عبد السلام لها مفرقاً بينها وبين المعجزة حيث ان المعجزة يدعيها النبى لنفسه ويستدعيها متى أراد، والكرامة لا يدعيها الولى لنفسه ولا هى بحكمه بحيث لا يستدعيها متى أراد، بل تارة تظهر اختياراً، وتارة تظهر عليه اضطراراً، وتارة لا تظهر، وليس من شرط الولى أن تكون له كرامة، ولا يؤثر ذلك في ولايته، ولا كذلك النبى، فإنه يجب أن تكون له معجزة، لأن الرسل والأنبياء عليهم السلام بعثوا حجة على الناس يدعونهم إلى الله تعالى، فلابد لهم من المعجزة لاقامة البرهان[3].

---

1) الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير / أقباس من نور الحق جـ١ / ص٢٧٧ طبع مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

2) الإمام البغدادى / أصول الدين ص١٧٥.

3) العز بن عبد السلام / بين الشريعة والحقيقة ص٤٠ / مكتبة المكتب الفنى للنشر ١٣٠٠هـ-١٩٦١م.

ويفرق الإمام الهجويرى في كشف المحجوب بين الخوارق حيث يقول : الكرامة تفترق عن الاستدراج الذي يظهر على أيدى الكفرة بدين الله والمستهزئين بشريعته لكون الولى تابعاً للنبي وملتزماً بشريعته التي أوحاها الله إليه، كما تفترق عن السحر الذي يقع بخداع أعين الناس تارة، وباتصال الأرواح الشريرة وأعمال الطلسمات والرقى تارة أخرى، والسحر في مجمله داخل تحت كسب الإنسان، خلافاً للكرامة التي ترجع إلى الله مباشرة، أى الله يظهرها وقت ما شاء سواء بطلب الولى أو بدونه، لأن الكرامة والآية في الحقيقة من مواهب الحق لا من مكاسب العبد(١).

ويذكر أحد العلماء الفوائد التي تعود على الإنسان من ظهور الكرامات من خلال تعريفه لها بأنها : يجريها الله على من اختصه من عباده والمطيعين ترقية لهمته، وإظهاراً لرتبته أو تأنيساً له من وحشته، أو إعانة له على وقته، أو زيادة له في معرفته، أو إمتحاناً له في حالته(٢).

فالكرامة تأتى أحياناً لترقية همة الولى الذي ليس همه إلا حصول رضا الله وهذه الهمة تتمثل في محاولة الولى لمتابعة رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة وظهور الكرامة هنا يكون بمثابة واقع لبذل مزيد من الجهد بدون فتور في طاعة الله سبحانه وتعالى.

وتكون اظهار لرتبته لكى تكون تبصرة وموعظة لمن حوله حتى يعرفوا أنه لم يصل إلى ذلك إلا بكثرة العبادة لله وبمتابعته رسول الله ﷺ

---

١) الإمام على بن عثمان الهجويرى / كشف المحجوب / دراسة وترجمة وتعليق د/ اسعاد عبد الهادى قنديل / ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م / ص٤٥٩.

٢) قرة العين في شرح حكم بن عطاء الله / جـ٢ / ص٨.

وتكون الكرامة غير مقرونة بالتحدى لأن الولى ينطق بنور الله اضافة إلى كون ذلك الولى يتبع رسول الله.

ومن ثم يتضح لنا أن المتكلمين من أهل السنة والجماعة يقرون بالكرامات وأنها خوارق للعادات، وأنها أيضاً غيب من غيب الله الذي يقع في زمن بعينه، ومكان بذاته، ويؤكد حرص أهل الإسلام على إثبات أن ما يرد به النقل المنزل يجب الاعتماد عليه والتمسك به وعدم الخروج على مفرداته ولا معانيه ودلالاته.

وفى تقديري : أن التعريفات التي ساف ذكرها لدى المتكلمين تكشف حقيقة هامة وهى : اتفاق جميعهم على التصديق بالكرامات، وأنها من ألطاف الله عز وجل، وأنها فوق ذلك تجيء منحاً لا يقع فيها الكسب، إذ لو وقع فيها الكسب الخالص لكانت فعلاً من أفعال العباد لا فعلاً من أفعال الله وهذا يناقض ما عليه أهل السنة والجماعة.

ثانياً : الكرامة في اصطلاح الصوفية

يذهب الصوفية إلى أن الكرامة أنواع، كل نوع فيها له تعريف خاص أو جملة من التعرفات، وهذه التعرفات منها ما يكون تعبيراً عن ظروف نفسية، ومنها ما يكون تعبيراً عن دوافع اجتماعية إلى غير ذلك من الوجوه، لكنها في جملتها لا تخرج عن كونها :

أمراً خارقاً للعادة تتحقق به مصالح لمن جرت على يديه إما استجابة لدعائه، أو تحقيقاً لمطلبه أو إبعاداً لتسلسل الكبر إليه.

ومن أبرز هذه التعاريف للكرامة عند الصوفية ما يلي :

١- عرفها الإمام القشيرى[١] بأنها : "فعل ناقض للعادة في أيام التكليف، ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله[٢].

وبناءً على ذلك فإن الكرامة لا تكون إلا للولى، فكل من جرت على يديه أو ظهرت له إنما يكون ولياً، ويبدو أن الولى في اصطلاح الصوفية هو من تجرى الكرامات على يديه لقولهم الولى هو : من والى الله بالطاعات، فوالاه الله بالكرامات[٣].

لكن هذا القول، هل يقبل على إطلاقه أم للصوفية رأى آخر؟

---

١) الإمام القشيرى هو الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيرى الخرسانى النيسابورى الشافعى الصوفى المفسر صاحب الرسالة ولد سنة ٣٧٥ هـ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، توفى سنة ٤٦٥هـ / راجع سير أعلام النبلاء جـ ١٣ / ص٥٦٤.

٢) الإمام القشيرى : الرسالة القشيرية ص٢٧٤.

٣) الشيخ محمد بن أحمد بن على البساطى / الولى والولاية / ص٨٥ ط المطبعة الأميرية ١٣٣٩هـ.

الجواب : أن من كان من المعدودين من أولياء الله المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره مقيماً لما أوجب الله عليه، تاركاً لما نهاه الله عنه، مستكثراً من طاعاته فهو من أولياء الله سبحانه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع، فهو موهبة من الله – عز وجل – لا يحل لمسلم أن ينكرها.

أما من كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله، وما جرى له لا يمكن حسبانه ولاية رحمانية بل شيطانية، كما تحسب كراماته من تلبيسات الشياطين عليه وعلى الناس(١).

ويقرر الإمام القشيرى أيضاً : أن الكرامة فعل لا محالة محدث، لأن ما كان قديماً لم يكن له اختصاص بأحد وهو ناقض للعادة، ويحصل في زمن التكليف، ويظهر على عبد تخصيصاً له وتفضيلاً، وقد تحصل باختياره وقد لا تحصل، وقد لا تكون بغير اختيار في بعض الأوقات ولم يؤمر الولى بدعاء الخلق إلى نفسه ولو أظهر شيئاً من ذلك على من يكون أهلاً له جاز ذلك منه(٢).

غير أن هذا التعريف يمكن ملاحظته من الجوانب الآتية :

أنه تعريف قام على أن الكرامة فعل بينما هى تشمل الفعل والترك، فكان استعماله لفظ الفعل تخصيصاً قد لا يكون مقبولاً عندى،

---

١) الإمام الشوكانى / قطر الولى على حديث الولى ص٢٧٢ تحقيق د. إبراهيم هلال / دار الكتب الحديثة ١٩٧٩م، ومثل ذلك نقل عن ابن تيمية في كتابه / الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ص١٣١-١٣٧، وهذه الظواهر الخداعية ليست غريبة ولا مستنكرة، لأن بعض الناس قد يكون لهم خدم من الجن أو أكثر فيسعون له في تحصيل ما يشتهيه ولو كان محرماً من المحرمات، والمعروف أنه متى ظهر الخارق على يد الكذاب فلا يمكن حسبانه كرامات وإنما هو بدع وأفعال شياطين وتلبيسات.

٢) الإمام القشيرى / الرسالة القشيرية ص٢٧٤، ٢٧٥.

وبخاصة أن ما ورد عن الكرامات فيها تروك، فابطال الإحراق للنار مع أبى مسلم الخولانى[1] إنما هى كرامة تمثلت في عدم إلحاق الأذى بالعبد الصالح، ولو كانت الكرامة فعل وليس تركا ما دخل فيها كف النار عن حرق أبى مسلم الخولانى.

كما أن عدم تأثير السم في جسم سيف الله المسلول "خالد بن الوليد" ليس فعلاً من الأفعال وإنما هو ترك من التروك، ولما كان ذلك الترك يمثل جانباً من جوانب الكرامات فلا يمكن ابعاده عنها، والصوفية والمتكلمون المثبتون للكرامة يقرون بما سلف.

إذ لو قال إنها أمر خارق للعادة وانتهى إلى آخره في التعريف لكان أمراً جامعاً ويبدو أن لأصحاب الحقيقة اتجاهاتهم الخاصة بهم.

كما أن تحديده وقوع الكرامة في الفعل الناقض بالظهور على موصوف بالولاية إنما يعكس النتائج إلى المقدمات، وكان المطلوب أن تأتى النتائج عقب المقدمات.

أما لماذا؟

فلأن الكثيرين ممن ظهرت الولاية عليهم لم يكونوا من أهل الكرامة، كما أن بعض من وقعت لهم الكرامة لم يكن موصوفاً بالولاية كأهل الكهف[2]، وآصف بن برخيا، وأبى مسلم الخولانى.

في نفس الوقت فإن هذا التعريف يصور الكرامة بأنها تأتى كسباً، وفوق ذلك فقد يعطى الولى أكثر مما تعطيه المعجزة للنبي.

---

١) أبو مسلم الخولانى : هو يمنى تابعى في زمن الأسود العنسى الكذاب، وقد أشرنا إليه في حديثنا عن الفراسة.

٢) وقد جاءت في القرآن الكريم سورة باسمهم وهى سورة الكهف تتحدث عن قصتهم وما كان من نتائج أمرهم وأنهم مكثوا أحياء في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً دون أن يموتوا جوعاً أو عطشاً أو حبس فضلات أو غير ذلك، راجع الآيات ٩-٢٦.

أما كيف؟

فالجواب : أن النبى تأتيه النبوة غير مسبوقة بمعرفته بها ومن غير طلبه إياها، أما الكرامة مع الولى فتأتيه بطلبه لها واختياره إياها ودعائه ربه أن تأتيه الكرامات وهو لم يحدث مع النبى في المعجزة.

٢- التعريف الثاني : العلامة الشيخ "محمد الفيومى" يقرر أن الكرامة : أمر خارق للعادة يمكن ظهوره على المقتدى بالنبى محمد ﷺ[١].

وهذا التعريف قد يكون مقبولاً في صدره، أما عجزه فيكشف عن عقلية لها الكثر من الاتجاهات الفكرية، ومثله يكون تعريفا صوفيا متأخرا، لأن ملامحه تدل عليه، كما أن الكرامات عطايا من الله سبحانه وتعالى لأوليائه ومواهب لا تنال بالطلب وليس من شرط وقوعها الطلب وليست هى المقصودة في العمل وأهل الكمال العاملين على المنهج المستقيم والشرع القويم والسلوك المحمدى المبين في أحوالهم ومقاماتهم لا يقصدون فى عملهم نوال درجات أو عطايا، إنما مقصدهم هو الله سبحانه وتعالى والفناء في حبه.

ومطلوبهم إنما هو رضانه عنهم، فإذا من الله تعالى على عبده الصالح بموهبة من المواهب أو درجة من الدرجات أو كرامة من خوارق العادات كان قبوله لها على أنها عطية من المحبوب[٢].

ويذهب الشيخ " أحمد الشافعى" إلى أن الكرامة للولى تقع على الطريق غير المعتاد وهى من أفعال الله تعالى حتى وإن اقترنت بطلب لها من ذات النبى على أساس أن كرامة الولى إنما هى امتداد لمعجزات ذات النبى[٣].

---

١) الشيخ محمد بن رمضان الفيومى / الولى والولاية ص١١٢ ط الراشد ١٣٣٨هـ دمشق.

٢) الشيخ محمد محمد ابو خليل/ اشراقات في طريق الله صـ ٦٠ ط الأولى ١٣٩٨هـ.

٣) الشيخ احمد الشافعى محمد أبو خليل /طريق الله صـ ٥١ ط الأولى ١٣٩٨هـ.

ويرى الدكتور حلمى أن الكرامة إنما تمثل امتداداً للحقيقة المحمدية بديل أن نصرة أبى بكر للإسلام بقتال آل حنيفة الذين أضلهم مسيلمة الكذاب ومكاشفة عمر في المدينة بحال سارية وهو في نهاوند[١]،وتمكن الإيمان من قلب عثمان بن عفان، وأخذه نفسه بالعزم والثبات واشتغاله بتلاوة القرآن الكريم مع ما أخذه به الجناة من عنف وشدة عند قتله[٢].

وعلم على بن أبى طالب[٣] رضى الله عنه الذي أوضح به المشكل، والذى تلقاه بالوصية عن سيدنا محمد ﷺ كل أولئك آثار من آثار

---

١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ج١ صـ٤٦.

٢) وتذهب الروايات إلى أن عثمان رضى الله عنه ليلة استشهاده رأى في منامه أن رسول الله ﷺ قابله في الجنة فقال له يا عثمان جئتنا صائما فافطر عندنا، فلما أصبح يومه كان صائما واستشهد قبيل المغرب وكان صائما فتحقق له في حال يقظته ما رآه في حال منامه/ راجع جامع كرامات الأولياء/ يوسف بن إسماعيل البنهاوى ج١ صـ١٥٠.

٣) على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بنن عبد مناف بن قصى القرشى الهاشمى أبو الحسن أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربى في حجر النبى ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة أل اترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبى ﷺ بين أصحابه قال له أنت أخى ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلى، روى عن النبى ﷺ كثيراً، وروى عنه من الصحابة ولداه الحسن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس .. وغيرهم، واشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، وقتله غدراً ابن ملجم في رمضان عام ٤٠هـ. راجع الإصابة العين بعدها السلام. رقم ٥٦٩٢ ص٥٦٥، ٥٦٦، الاستيعاب لابن عبد البر / تحقيق محمد البيجاوى – دار الجيل / بيروت ١٩٩٢م.

ومن كرامات الإمام على بن أبى طالب ما يرويه الإمام الفخر الرازى فيقول : "إن واحداً من محبيه سرق .. وكان عبداً أسود .. فأتى به إلى على رضى الله عنه فقال له : أسرقت؟ قال نعم .. فقطع يده .. فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء .. فقال ابن الكواء : من قطع يدك؟ فقال أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول. فقال : قطع يدك وتمدحه؟ فقال : ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار .. فسمع سلمان ذلك فأخبر علياً .. فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات .. فسمعنا صوتاً من السماء : ارفع الرداء عن اليد .. فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى".

ذلك الكمال المطلق الذي ورثه الخلفاء الراشدون عن الروح المحمدى، فضلاً عن محمد النبى ﷺ ونور من فيضه الذي تجلى في كل واحد منهم بجهاد رائع وكشف باطن أو علم ظاهر أو عمل نافع(١).

وفى تقديري : أن الكرامة بهذا المعنى سائرة لدى الصوفية الأعلام ومن سار على نهجهم قدامى ومحدثين، يقول الشيخ أحمد الشافعى : ان الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، وإنما ظهر على يد رجل ظاهر الصلاح والتقوى ملتزم لنبى كلف بشريعته(٢).

وهذا التعريف وان كان مانعاً من دخول المرأة فيه فإنه قد جاء على ناحية يقع التوافق بينها وبين المتكلمين، لكن الاستدلال به يكون غير جامع وبخاصة أنه يستبعد ما وقع لمريم – رضى الله عنها – حملاً وولادة بها، وكفالة لنبى الله زكريا، وكذلك النساء العابدات(٣) والزاهدات

---

١) د. محمد مصطفى حلمى / بن الفارض والحب الإلهى / ص١٧٧ ط دار المعارف.

٢) الشيخ أحمد الشافعى أبو خليل الكبير / طريق الله في التصوف ص٥٣ ط٢ مطبعة مصطفى بالفيوم.

٣) ومن النساء العابدات :

السيدة : **ميمونه السوداء** : حكى أن الربيع بن خثيم قيل له في منامه : أن ميمونه السوداء زوجتك في الجنة .. فلما أصبح ذهب يسأل عنها .. فرآها ترعى الغنم .. فأقام قريباً منها لينظر ماذا تفعل .. فوجدها تصلى الفرائض فقط وفى المساء تأتى إلى عنزة لها فتحلبها وتشرب منها ثم تعطى الربيع من حليبها .. وعندما سألها لماذا تلك العنزة بالذات .. أجابت أنها العنزة الوحيدة التي تملكها والباقيات لسن ملكاً لها .. وسألها هل لها من الأفعال غير التي يراها منها فقالت : لا .. انى ما أصبحت ولا أمسيت على حال قط فتمنيت سواها رضا بما قسم الله تعالى لى .. فقال لها : أعلمت أنى رأيتك في المناك أنك زوجتى في الجنة؟ فقالت : فأنت الربيع بن خيثم" قال : نعم.==

التي امتلأ بهن التصوف الإسلامي ومن أشهرهن، شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية[١].

== كذلك **السيدة نفيسة**، في حياتها كانت لها كرامات لا تعد ولا تحصى .. قيل أنها عندما قدمت إلى مصر سكنت في جوارها أسرة يهودية لها ابنة مصابة بالشلل .. وأرادت الأم يوماً ما أن تذهب إلى بعض شئونها .. وتركت الإبنة حسب رغبتها عند جارتها السيدة نفيسة رضى الله عنها لتتوضأ فجرى ماء وضوئها إلى مكان الإبنة اليهودية .. فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تأخذ من ماء الوضوء شيئاً قليلاً بيدها ومسحت به على رجليها .. فقامت واقفة بإذن الله تعالى وذهب الشلل الذي كان بهما .. وكانت السيدة نفيسة مشغولة بصلاتها في ذلك الوقت .. وعندما أحست الإبنة بعودة أمها من السوق ذهبت إليها تجرى وقصت عليها ما حدث .. فبكت الأم من شدة الفرح وقالت : هذا والله الدين الصحيح .. وما نحن عليه من الدين قبيح .. ثم دخلت لتقبل السيدة نفيسة رضى الله عنها وهى تقول : امددى يدك .. أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله .. وشكرت السيدة نفيسة رضى الله عنها ربها وحمدته على هدايتها وانقاذهما من الضلال .. وعندما عاد الأب واسمه أيوب أبو السرايا – كان من أعيان اليهود – ورأى ابنته قد شفيت ذهل وأطار الفرح صوابه .. وعندما هدأ سأل زوجته عن السبب فأخبرته بقصتها مع السيدة نفيسة فرفع اليهودى رأسه إلى السماء وقال : سبحانك هديت من تشاء وأضللت من تشاء والله هذا هو الدين الصحيح ولا دين إلا دين الإسلام. ثم أتى إلى باب السيدة نفيسة وأسلم أمامها قائلاً : أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك محمداً رسول الله .. وكانت تلك القصة سبباً في إسلام مجموعة أخرى من اليهود الذين كانوا يقيمون في الجوار.

١) **رابعة العدوية** : أشهر النساء العارفات بالله تعالى .. قصتها في حب الله تتناقلها الأجيال الإسلامية جيلاً بعد جيل لكونها نموذجاً رائعاً وقدوة صالحة لمن ترغب في معرة طريق الله والاصرار على التمسك بدينه .. وحياتها صراجاً يضيء الطريق إلى حب الله .. ولقبها الناس بشهيدة العشق الإلهى .. ومن كرامتها أنها مرت يوماً بشيبان الراعى رضى الله عنه وهو أحد أولياء الله الصالحين .. وقالت له أنى أريد الحج .. فأخرج لها من جيبه ذهباً لتنفقه .. فمدت يدها إلى الهواء فامتلأت ذهباً وقالت له : أنت تأخذ من الجيب وأنا آخذ من الغيب .. ثم تركا الذهب .. وذهب للحج وقد توكلا على الله.

ومن مرامتها أيضاً أن لصاً دخل حجرتها وهى نائمة .. فحمل الثياب وذهب إلى الباب فلم يجده .. فوضع الثياب على الأرض فرأى الباب. وعند ذلك حملها مرة أخرى فلم يجد الباب وأخفى عليه .. واعاد ذلك عدة مرات حتى سمع هاتفاً يقول له دع الثياب فانا نحفظها ولا ندعها لك وان كانت نائمة.

وزرعت يوماً زرعاً فجاء الجراد ليأكله فقالت : إلهى رزقى تكفلت به .. فإن شئت فاطعمه أعداءك أو أولياءك .. فطار الجراد وكأنه لم يكن.

وحجت في سنة من السنين على جمل لها فمات قبل أن تبلغ منزلها .. فسألت الله يحييه .. فأحياه الله .. فركبته حتى وصلت إلى دارها وخر ميتاً.

ولذا يمكن القول بأن التعريف السابق وقع فيه سبق لفظ وليس الغرض استبعاد المرأة من ميدان الولاية، لأن الله تعالى قال : ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب[1].

يقول الإمام الرازى تحت تفسيره لهذه الآية : "اعلم أنه ليس المراد أنه لا يضيع نفس العمل لأن العمل كلما وجد تلاشى وفنى، بل المراد أنه لا يضيع ثواب العمل، والإضاعة عبارة عن ترك الإثابة فقوله : ﴿لا أضيع﴾ نفى للنفى فيكون إثباتاً فيصير المعنى : أنى أوصل ثواب جميع أعمالكم إليكم، والآية دالة على أن أحداً من المؤمنين لا يبقى في النار مخلداً والدليل عليه أنه بإيمانه استحق الثواب وبمعصيته استحق عقاباً فلابد من وصولهما إليه بحكم الآية، ولا تفاوت في الإجابة وفى الثواب بين الذكر والأنثى إذا كانا جميعاً في التمسك بالطاعة على السوية وهذا يدل على أن الفضل في باب الدين بالأعمال لا بسائر صفات العاملين.

كما ثبت أن امرأة فرعون كانت من أولياء الله الصالحين قال تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين﴾[2].

---

١) سورة آل عمران / آية ١٩٥.

٢) سورة التحريم / الآية ١١.

هى آسية بنت مزاحم، آمنت بموسى عليه السلام فقد جعل الله تعالى حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم، حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله فرعون، وهى في أعلى غرف الجنة، ولما بلغ فرعون أمر إيمانها بموسى – عليه السلام – أمر بقتلها، فنجاها الله من شره، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بها وهما رسولا رب العالمين(١).

وكذلك أم موسى. قال تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتى عليهه فألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليكى وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾(٢). أى قذفنا في قلبها بواسطة الإلهام أنكى إذا خفتى على ولدك من فرعون فاجعليه في صندوق وألقيه في البحر – النيل – ولا تخافى عليه الهلاك ولا تحزنى لفراقه فإنا سنرده إليكِ ونجعله رسولاً نرسله إلى هذا الطاغية لننجى بنى إسرائي على يديه حيث أخذه أعوان فرعون لتكون عاقبة الأمر أن يصبح لهم عدواً ومصدر حزن وبلاء وهلاك(٣).

ويقول تعالى : ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فيلقهّ اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى﴾(٤).

---

١) راجع صفوة التفاسير / جـ٣ / ٤١٢، والقرطبى ٢٠١/١٨.

٢) سورة القصص / الآية ٧، ٨.

٣) راجع الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ٢٥٢/١٣، والامام البيضاوى / ٨٨/٢.

٤) سورة طه / ٣٧-٣٩.

وكذلك مريم بنت عمران وأمها أيضاً. قال تعالى : ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[1]. أى ومريم ابنة عمران مثل آخر في الايمان وهى التي حفظت فرجها وصانته عن مقارنة الفواحش فهى عفيفة شريفة، طاهرة، لا كما زعم اليهود عليهم لعنة الله، أنها زنت وأن ولدها ابن زنى، فنفخ رسولنا جبريل – عليه السلام – في فتحة جيبها، فوصل أثر ذلك إلى فرجها فحملت بعيسى – عليه السلام – وهى رضى الله عنها آمنت بشرائع الله القدسية، وكتبه السماوية، وكانت من القوم المطيعين العابدين لله عز وجل، وهو ثناء عليها بكثرة العبادة والطاعة والخشوع وفى الحديث الشريف "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[2].

وقوله تعالى : ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما في بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لكى هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[3].

---

١) سورة التحريم / آية ١٢.

٢) أخرجه الإمام البخارى ومسلم، وراجع مختصر تفسير بن كثير / ٥٢٥/٣، والبحر المحيط ٢٩٥/٨.

٣) سورة آل عمران / ٣٥-٣٧. وامرأة عمران هى حنة بنت فاقوذا عندما نذرت ما في بطنها لله رب العالمين .. راجع في ذلك الإمام الفخر الرازى / عند تفسيره لهذه الآية / م٨ / ص٣٩، والطبرى / ٣٨٦/٦.

وكذلك الحال مع السيدة خديجة بنت خويلد[1] زوج رسول الله ﷺ، والسـيدة فاطمــة الزهـراء بنـت رسـول الله ص وزوج علــيّ رضـــي الله عنه.

وقد عدّ الإمام السيوطي بعضاً من هؤلاء النسوة ضمن من تكلمن في المهد على أنهن من أولياء الله فقال :

تـكـلـم فــي الـمـهـد النبى محـمـد ويحيى وعيسـى والخليل مـريـم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسـف وطفل لذى الأخدود يرديه مسـلم
وطـفـل عليه مــر بالأمـة التي يـقـال لـهـا تـزنـى ولا تتكلـــم
وماشطة في عهد فرعون طفلها وفى زمن المهدى المبارك يختم[2]

١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الأسدية زوج النبى ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقا قال الزبير بن بكار كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بنى عامر بن لؤى وكانت عند أبى هالة بن زرارة بن النباش بن عدى التميمى أولا ثم خلف عليها بعد أبى هالة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم خلف عليها رسول الله ﷺ، وكان تزويج النبى ﷺ خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت موسرة وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة ومما سمعته من بحيرا الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة، وولدت من رسول الله ﷺ أولاده كلهم إلا إبراهيم. وقد ذكرت عائشة ما صنعته خديجة من تقوية قلب النبى ﷺ لتلقى ما أنزل الله عليه فقال لها لقد خشيت على نفسى فقالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا وذكرت خصاله الحميدة وتوجهت به إلى ورقة وهو في الصحيح. وقال الواقدى توفيت لعشر خلون من رمضان وهى بنت خمس وستين سنة ثم أسند من حديث حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بنى هاشم من الشعب ودفنت بالحجون. راجع الصابة لابن حجر العسقلانى – القسم الأول (من ذكر لها صحبة، وبيان ذلك). رقم ١١٠٨٦ / ص٩٠٠، وراجع النبى زوجا / للأستاذ نشأت المصرى / ص٣٣ / المختار الإسلامى.

٢) الشيخ / شهاب الدين أحمد بن حجازى الفشنى / تحفة الرضوان / ص٣٠، وقد نسبت الأبيات للامام السيوطى في كتابه / قلائد الفوائد.

ومن ثم فإن القول بوقوع الكرامات للنساء والرجال أمر معهود في شريعتنا الإسلامية الغراء، إذ لو لم يكن معهوداً ما وقع التساوى في العمل والله عز وجل بيّن أن الناس في العمل والأجر أمام الله سواء.

ذكر أهل العرفان عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ان الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعة، وأربعة يسبقون إلى الجنة، وأربعة اشتاقت إليهم الجنة : فأما الأيام الأربعة : فأولها : يوم الجمعة، لأن فيه ساعة إجابة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.

وثانيها : يوم عرفة : فإذا كان يوم عرفة يباهى الله تعالى ملائكته فيقول : يا ملائكتى انظروا إلى عبادى جاؤونى شعثاً قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، اشهدوا أننى قد غفرت لهم.

وثالثها : يوم الفطر : فإذا صاموا شهر رمضان، وخرجوا إلى عيدهم، يقول الله تبارك وتعالى لملائكته : ان كل عامل يطلب أجره، وعبادى صاموا شهرهم، وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم، أشهدكم أنى قى غفرت لهم، وينادى المنادى : يا أمة محمد ﷺ ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات، ورابعها : يوم النحر : فإذا كان يوم النحر، وقرب العبد قربانه، فأول قطرة من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد.

وأما الشهور الأربعة : فرجب الفرد، وذى القعدة، وذى الحجة، والمحرم، وهى الأشهر الحرم والتى جاء الحديث الشريف معظماً لها : فيقول رسول الله ﷺ : "رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى"[(1)]، يقول ابن كثير : "... وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة. ثلاثة سرد وواحد فرد لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل أشهر

1) راجع تفسير ابن كثير / جـ٢ / ص٣٥٥.

الحج شهراً وهو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذى الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك وحرم بعده شهراً آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتماد به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا[1].

وأما النساء الأربعة : فمريم ابنة عمران، ﴿التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[2]. وخديجة بنت خويلد، سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله[3]، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون التي قالت : ربِّ ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين[4] وفاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء أهل الجنة، زوج الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه.

حكى أنه لما ماتت حمل جنازتها أربعة نفر، زوجها على، وابناها الحسن والحسين، وأبو ذر الغفارى – رضى الله عنهم أجمعين – فلما وضعوها على شفير القبر قام أبو ذر فقال : يا قبر : أتدرى من التي جئنا بها إليك؟ هذه فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ وزوجة على

---

١) راجع ابن كثير جـ٢ / ص٣٥٥.

٢) سورة التحريم / ١٢.

٣) في الحديث الشريف : ما كمل من النساء إلا أربعٌ : خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم، ويستدل على ذلك من حديث مسروق عن عائشة بقوله ﷺ : "آمنت بى حين كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس" وواستنى بما لها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء "راجع فتح البارى جـ٧ ص١٣٧ ط بيروت.

٤) الشيخ محمد نووى الشافعى : أنوار الظلام ص٣٠.

المرتضى، وأم الحسن والحسين، فسمعوا نداءً من القبر يقول : ما أنا موضع حسب ونسب، وإنما أنا موضع العمل الصالح، فلا ينجوا منى إلا من كثر خيره وسلم قلبه، وخلص عمله.

وقد بشرت بأنها أول من يلحق بأبيها ﷺ فتوفيت بعده بستة أشهر على الصحيح ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من رمضان سنة ١١هـ إحدى عشرة من الهجرة ودفنها على ليلاً(١).

وأما السابقون إلى الجنة : فلكل قوم سابق، ومحمد ﷺ سابق العرب، وسلمان الفارسى، سابق الفرس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة.

وأما الأربعة الذين اشتاقت إليهم الجنة، فعلى بن أبى طالب، وسلمان الفارسى، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود(٢).

ومن ثم فإن الولاية كما تقع للرجل تقع أيضاً للمرأة سواء بسواء، ويقرر الدكتور عبد العزيز سيد الأهل أن قصة آصف ومريم مما يستشهد به في مقام وقوع الولاية للذكر والأنثى، لكنه يؤكد على أن وقوع الكرامات ليس مطلباً للتصوف أو غاية من غايات الصوفية، بل هم أول من يؤمن بها لما كانت تقوى المظاهر وتعلن الرياسات، كما أنها تفتن العقول والقلوب، وربما أفرطت في الإضلال فاعتدت على نفس صاحبها وأذاقته طعم البتر فارتدى لون الغرور(٣).

---

١) الإمام النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٢٠.

٢) الإمام أبو حامد الغزالى / مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب / مختصر من المكاشفة الكبرى ص٣٠٧ ط٢ الحلبى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٣) د. عبد العزيز سيد الأهل / بين الشريعة والحقيقة ص١٢٣/ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٠هـ.

أما ابن عربى فيقرر أن الكرامة : منحة إلهية وعطاء من غير انتظار المقابل، وتقع بلا معارضة فإذا كان هذا الفعل الواقع للكرامة بطلب المعاوضة بعد ذلك فليس بكرم ولا كرامة، وإنما هو شراء يتم بين طرفين كل منهما يطمع في أن يحصل على ما يملكه الطرف الآخر(١).

كما يقرر أن الكرامة من الكرم الإلهى الذي ليس فيه أى معاوضة أو طمع، والله هو الغنى الذي يكرم عباده كرماً متواصلاً ابتداء بتوفيقه للاستقامة في الدنيا وانتهاءً بإدخاله الجنة الأبدية في الآخرة(٢).

وهذا الذي حكاه بن عربى يمثل صورة من صور الرأى عند الصوفية، ولكنه ترك أثراً كبيراً في مفاهيم عديدة، إذ الكرامة لا تكون باستحقاق من ولى، وإنما لابد فيها من الاستقامة أولاً، ومعنى هذا أن الاستقامة المتمثلة في أداء المفروضات والقيام بالمكتوبات تمهد المرأة على الطريق حتى يكون مستعداً لتلقى فيوضات تلك الكرامة.

لكنه يتفق مع غيره في أن من ظهرت على يديه خوارق العادات وهو غير مستوفى الاستقامة، فإنه يكون استدراجا(٣) وتبديلاً كالذى حدث مع الذي حكى القرآن الكريم شأنه في قوله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾(٤).

---

١) الإمام ابن عربى / الفتوحات المكية جـ٢ / ص٥٧٧ دار صادر – بيروت.

٢) أفور الدين بن عبد المطلب / كرامات الأولياء عند ابن عربى ص١٦٠ رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٩م.

٣) الاستدراج : أمر خارق للعادة يجريه الله على مدعى الألوهية الكذاب استنزالاً لقدره وتنبيهاً لتحقير شأنه بين الناس.

٤) سورة الأعراف / الآية ١٧٥.

يقول الإمام ابن كثير : "هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم ابن باعورا وكان يعلم اسم الله الأكبر وكان مجاب الدعوة، ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ... أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه[1].

ومتى لم يكن الخارق للعادة قائماً على الاستقامة أو منبهاً إليها وباعثاً على الرجوع إلى الله تعالى فإنما هو مكر من حيث لا يعلم صاحبه وهذا هو الكيد المبين[2].

ومن ثم يمكن القول بأن الكرامة لها في اصطلاحات الصوفية دلائل كثيرة يستوى في ذلك أن تكون حسية، أو أن تكون معنوية، لأنها في كل الأحوال، إنما تكون دلالة على مقام من وقف عليها، ولذا اعتبر البعض الكرامات بالنسبة للصوفية مقامات[3].

وفى تقديري أن هناك قواسم مشتركة بين الصوفية والمتكلمين بالنسبة للكرامات من الناحية الاصطلاحية، وان اختلافهم أو تباينهم في شيء منها يرجع إلى طريقة الصياغة والتعبير التي قام بها كل فريق منهم، فتوسع قليلاً أو أضاف من اصطلاحاته الخاصة إلى التعريف،

---

١) العلامة ابن كثير / جـ٢ / ص٢٦٤، ٢٦٧.

٢) الإمام ابن عربى / الفتوحات المكية جـ٢ / ص٣٧٢.

٣) لأن المقام مكسب ولذا يقال : الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، لأنها تتعلق باستيفاء العبد الحقيقة المرسومة شرعاً، فإذا قام العبد في كل الأوقات بما يتعين عليه من المعاملات وصنوف المجاهدات والرياضات التي أمره الشارع أن يقوم بها ويمن له نعوتها وأزمانها وما ينبغى لها وشروطها الشامية والكمالية الموجبة صحتها فحينئذ يكون صاحب مقام / راجع الإمام بن عربى / الفتوحات المكية جـ٢ ص٣٨٦.

ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن الخلاف بين الفريقين من الناحية الاصطلاحية إنما هو خلاف لفظى اتسع قليلاً عن المطلوب في مثل تلك المنازعات التي تقع بين أصحاب الاتجاه الواحد.

ويعضد ما ذهبت إليه وجود جمع من المتكلمين كانوا من أعلام الصوفية ووجود جمع من الصوفية كانوا على رؤوس المتكلمين، أو جمعوا بينهما في وقت واحد كالحال مع الشيخ إبراهيم الباجورى، وشيخ الإسلام من قبله العز بن عبد السلام وأيضاً شيخ الإسلام زكريا الأنصارى.

وكم تمنيت أن ينظر أبناء الإسلام اليوم إلى ناحية الوفاق والعناق بدل لغة الشقاق والعناد أو النفاق، حيث ينتهى هذا الطريق إلى تأثيم كل فريق الآخر وتجريحه وربما تجريده من عقيدته الدينية التي لا سلطان عليها إلا لرب البرية سبحانه وتعالى.



الفصل الثانى

المثبتين للكرامات والنافين لها

المنكرون للكرامات والمثبتين

وأدلة كل فريق

أولاً : المنكرون وأدلتهم ومناقشتها :

المثبتون للنبوات يثبتون أيضاً الكرامات، وان اختلفت جهات الإثبات أو طرائقها، على أساس أن النبوة تجيء مع المعجزة، والمعجزة تمثل خرقاً لعادة قائمة، ومن ثم فما يجيء على هذا الجانب إنما يمثل خرقاً لسنن الله الكونية، بل ويكون ذلك الخرق من سنن الله الكونية أيضاً، وإلا ما كان ذلك الفعل من سنن الله أو كان خارجاً على فعل الله، وذلك ما لا يقول به مسلم أبداً.

في نفس الوقت ظهر من أهل الإسلام من ينكرون وقوع الكرامات، لكن ليس الإنكار على الأصل في الغالب الأعم، وإنما انكارهم لها يمثل إنكاراً لمفهوم بعينه رغبة منهم في المحافظة على بقاء المعجزة حتى تظل خالصة للنبوة، ولا يختلط أمر النبى مع المدعى للولاية أو غيرها ومن ثم فمن الضرورى الإلماح إلى موقف المنكرين بعد الحديث طبقاً لما هو واقع بين أيدينا من مؤلفات، وسيكون ذلك على النحو التالى :

الفريق الأول : المنكرون للكرامات :

١- بعض المعتزلة :

ذكر أهلُ العلم أن المعتزلة ينكرون وقوع الكرامات على ناحية من النواحى، فذكر "إمام الحرمين الجوينى" أن الذي سار إليه أهل الحق إنما هو جواز انخراق العادات في حق الأولياء، وأطبقت المعتزلة على منع ذلك[١].

ونفس الفكرة عن المنع حكاها الإمام الرازى حيث يقول : المسألة الرابعة والثالثون في كرامات الأولياء والمعتزلة ينكرونها[٢].

لكن هل كل المعتزلة يطبقون على إنكارها؟!!

والجواب : أن الإمام الفخر الرازى يقرر رأياً آخر وهو وجود بعض المعتزلة ممن يثبتونها ولا ينكرونها، كالحال مع أبى الحسين البصرى، فإنه يقر بها ويعتبرها أمراً واقعاً حقيقة ثابتة، ومن ثم فإن الحكم بالإنكار عند المعتزلة ليس واقعاً على الجميع، وإنما هو واقع على البعض فقط[٣].

---

١) إمام الحرمين الجوينى : الإرشاد / ص٢٦٦.

٢) الإمام الفخر الرازى : الأربعين في أصول الدين ص١٩٩ / تحقيق د. أحمد حجازى السقا / الكليات الأزهرية / ط الأولى.

٣) وهذا ما يؤكد عليه ابن خلدون حيث يذهب إلى أن الإنكار لوقوع الكرامات قاسم مشترك بين بعض الأشاعرة وبعض المعتزلة أيضاً فيقول : أنكرها من الأشاعرة أبو عبد الله الحليمى، وأبو محمد بن أبى زيد المالكى، راجع العلامة بن خلدون / المقدمة / ص١١٠ ط بيروت.

ويبدوا أن فكرة الإنكار وإلصاقها بالمعتزلة على وجه العموم قد انطلقت كأنها حقيقة واقعة أو أمراً مسلماً، فيقول الإمام النسفى : أنكرت المعتزلة ذلك لما أنهم لم يروها في أنفسهم لخروجهم عن الولاية(١).

وعلى هذا النحو جاء رأى الأشاعرة والماتريدية، بل والسلفية أيضاً مما يؤكد أن فكرة الانكار وإلصاقها بالمعتزلة على وجه العموم تحتاج مراجعة دقيقة للمصادر التي حملتها، كما تحتاج نوعاً من التحديد الضرورى للأفراد الذين أنكروها بدليل وجود بعض المعتزلة ممن يثبتها ويعترف بها، كأبى الحسين البصرى، ووجود بعض الأشاعرة ممن ينكرها كأبى عبد الله الحليمى.

ولكن يبدوا أن خصومة المذهب كانت تفرض نفسها على فكرة البعض بحيث لم يستطع الفكاك عنها بدليل كثرة توارد فكرة إدانة المعتزلة بالإنكار للكرامات، يقول الإمام "السعد" : "خالفت المعتزلة في إثبات الكرامات لأنها توجب إلتباس النبى بغيره"(٢).

ونفس الفكرة يؤكد عليها الإمام "على بن أبى العز الحنفى" شارح الطحاوية حيث يقول : وقول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان(٣).

وفى تقديري أن المنهج الموضوعى يستلزم تحديد المنكرين لكرامات الأولياء من المعتزلة، بحيث يكون الحكم محدوداً، أما أن يكون

---

١) الإمام أبو المعين النسفى / كتاب التمهيد لقواعد التوحيد / ص٢٥٢ تحقيق حبيب الله حسن أحمد.

٢) الإمام سعد الدين التفتازانى / شرح المقاصد / تحقيق / عبد الرحمن عميرة / جـ٥ / ص٧٢.

٣) العلامة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى / شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية ص٤٤٦ تحقيق أحمد شاكر سنة ١٤٠٠هـ.

الحكم عاماً فإنه يكون غير مقبول، وأهل التحقيق لا يصدرون أحكاماً ما لم تكن مبرراتها مقبولة.

٢- بعض الأشاعرة :

ذكر الإمام الفخر أن من الأشاعرة من يوافق المعتزلة على إنكار الكرامة، لكن من جهة قد تتفق أو تختلف عن جهة المعتزلة فيقول : المعتزلة ينكرونها ووافقهم الأستاذ / أبو إسحاق من أصحابنا، وأكثر أصحابنا يثبتونها[١].

وما دام الإمام الفخر قد اعترف بأن أكثر الأصحاب من الأشاعرة يثبتونها فقد فُهم ضمناً أن هناك بعض آخر يرفضها أو ينكرها رغم كونه من الأشاعرة أنفسهم بناء على أن الحكم ما لم يكن شاملاً المجموع فإن الجزئية التي تنفصل عنه يكون لها حكم الاستقلال بالنسبة لذات الحكم.

وبناء عليه يكون الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني[٢] وبعض أصحاب الفخر من الأشاعرة يوافقون المعتزلة في إنكار وقوع الكرامات

١) الإمام الفخر الرازي / الأربعين في أصول الدين / ص١٩٩.

٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفراييني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأشعري، نشأ بالعراق، وتفقه فيها، ثم خرج إلى نيسابور، وفيها بنيت له مدرسة ليدرس فيها، وتخرج في حلقته عامة شيوخ نيسابور في الفقه والكلام والأصول، كان معاصراً للباقلاني وابن فورك، وثلاثتهم من دعائم مذهب الأشعري، وكانت وفاته في نيسابور ٤١٨هـ-١٠٢٧م. ودفن بأسفرايين، ومن مؤلفاته : "كتاب جامع الحلي في أصول الدين، وكتاب الرد على الملحدين" ولم يختلف الاسفراييني مع رجال المذهب الأشعري على أصل من أصول المذهب التي يجمع عليها أهل السنة، توفي ٤١٨هـ.

حتى وان جاء ذلك النفي الأشعرى لها على ناحية خاصة، ويعنون بها إنكار وقوع كرامات من جنس المعجزات[1].

وقد ذكر إمام الحرمين أن الأستاذ أبا إسحاق الاسفرايينى – رضى الله عنه – يميل إلى قريب من مذهب المعتزلة[2]، لكن على أى أساس يرفض الأستاذ الاسفرايينى وقوع الكرامات؟

هل لأنه يرى في وقوعها مخالفة شرعية أو أمراً مستحيلاً؟ أم يرى شيئاً خلاف ذلك؟

يقول الشيخ الطير : من أهل السنة من نفاها وأنكر وقوعها كأبى إسحاق الاسفرايينى وأبى عبد الله الحليمى[3] وغيرهم ممن مال إلى مثل رأيهم[4].

غير أن هذا القول قد يكون له نوع من التعليل المقبول عندهم وهو أنهم يرفضون وقوع الكرامات خشية اختلاطها بجنس الخوارق للعادات[5] يقول الشيخ الطير : ومع أن الإمام أبا إسحاق الاسفرايينى من كبار أهل السنة فإنه كان يقول : المعجزات دليل صدق الأنبياء، ودليل

---

١) ومعنى ذلك أن الولى لا يجرى على يديه احياء الموتى مثلا، ولا يقع له فلق البحر، ومثل ذلك لأنها أمور تقع من جنس المعجزات لا من جنس الكرامات.

٢) إمام الحرمين الجوينى / الإرشاد / ص٢٦٦.

٣) لم أقف على هذا الإنكار، كل ما وقفت عليه هو أقوال من ذكروا عنهم، ومن ثم تكون التبعية على الراوى.

٤) الشيخ مصطفى الطير / أقباس من نور الحق / جـ١ ص٢٧٩ ط مجمع البحوث الإسلامية.

٥) على أن هذا الاحتمال قد يكون ضعيفاً جداً وبالتالى فالتعليل الذي قام عليه يأخذ نفس الحكم.

النبوة لا يكون مع غير النبى والأولياء لهم كرامات لكنها ليست من خوارق العادات(١).

وفى تقديري أن هذا التعليل قد يكون غير مقبول لأن معناه قيام الإمام الاسفراييني وهو من أهل السنة والجماعة بالتنازل كلية عن فكرة وقوع الكرامات أما التعليل بأنها قد تلتبس بالمعجزات فما أظنه تعليلاً مقبولاً لوجود الفوارق بين النبوات والمعجزات، وبين الولاية والكرامات.

من ثم فالتعميم بأن الإمام الاسفراييني ينكر الكرامات لا أساس له من الحكم الصحيح، بل على العكس من ذلك إنه يثبت الولاية والأولياء، كما يثبت وقوع الكرامات له، ولكنها تتمايز فقط عن معجزات الأنبياء ولو في الإسم والصفة(٢).

لم يكن الإمام الاسفراييني والحليمى وحدهما ممن نفى وقوع الكرامات على النحو الذي سلف، بل جاء معهما بعض الفقهاء من المالكية وبخاصة الشيخ محمد بن أبى زيد المالكى، حيث ذكر بن خلدون أنه ينكر الكرامات وينكر وقوعها على أيدى الأولياء(٣).

ولئن كان التصور العام قائماً على كون المعتزلة هم الذين ينكرون وقوع كرامات، فإن هذا التصور لم يعد له وجود وبخاصة بعد أن ثبت وقوع بعض أهل السنة وبعض الفقهاء وغيرهم على هذا الإنكار، وبالتالى كم تمنيت أن تكون هناك قواعد صحيحة معمول بها

١) الشيخ الطير / أقباس من نور الحق / جـ! ص١٨٧.

٢) د. محمد حسينى موسى / الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى / ص٣٢٤ ط آل بسيونى ٢٠٠٢م.

٣) العلامة بن خلدون / المقدمة / ص٨٧، ٨٨. ط دار العودة / بيروت ١٩٨١م.

تقوم على تخصيص المثبتين وبيان موقفهم من الناحية الحصرية ففى ذلك إحقاق للحق حيث لا يتحمل مثبت جريمة ناف، ولا يتحمل ناف جريرة مثبت.

٣- القدرية :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن القدرية أنكروا وقوع الكرامات للأولياء وإن جوزوا وقوع بعض الخوارق على غيرهم من باب الإهانة أو الاستدراج، فيقول البغدادى : المسألة الخامسة عشر من هذا الأصل في كرامات الأولياء : يقول : أنكرت القدرية كرامات الأولياء على وجه ينقض العادة ويثبتها الموحدون[1].

ويبدو أن خصومة الرأى أو الإتجاه الفكرى نتج عنها حكم عقدى، حيث اعتبر البغدادى المثبتين لها من جملة الموحدين، وبالتالى، فالمنكرون لها يكونون من جملة الكافرين ولست معهم لأنه ركز على أن من أنكرها لا يكون موحداً بينما ثبت وجود بعض المنكرين لها من أهل السنة والجماعة وبعض الفقهاء أيضاً، فهل يرضى وصف بعض من أهل السنة بأنهم غير موحدين؟ أم هو يقصد بعبارته معنى آخر؟ والله هو المحاسب الناس على قصودهم ونياتهم، أما نحن فإنما نحاسبهم على أقوالهم وأفعالهم، وهل ينطبق ذات الحكم على المعتزلة أيضاً أم أنهم خارج نطاق هذا الحكم وليست هناك قرينة ترشح خروجهم.

وفى تقديري أن ذلك من صور العداوة المذهبية التي قد تفرض نفسها على أصحابها فتنفلت العبارة في صورة من الصور قد لا يكون لها شيء من القبول على القواعد الصحيحة لما ورد أن رسول الله ﷺ

---

١) الإمام البغدادى / أصول الدين / ص١٨٤ / ١٤٠١هـ-١٩٧١م بيروت.

قال : "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[1]، وأيضاً قوله ﷺ : "كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه"[2].

ومن ثمَ فإني أرى وقوع تصحيف في العبارة نسب إلى الإمام البغدادى وتكون صحة العبارة : "وأثبتها الموجدون لها وليس الموحدون"، ومن ثم فالتصحيف هو الذي يكون مسؤولاً عن ذلك الخطأ، والمُصَحِّف – الناسخ – يتحمل هو الآخر جزء من التبعة[3].

ب) أدلة المنكرين ومناقشتهم :

ليس من الصواب أن يجد المرء من يرفض قبول حكم دون أن يقدم له أسبابا، وليس من الصواب كذلك على مسلم أن يقبل حكما تعقليا من غير أن يفهم أدلته لما قيل : من أن كل دعوة لا تنهض أدلتها معها، فإنها تكون دعوى خاسرة، ومن ثم فقد ذكر المنكرون للكرامات أدلة وأن هذه الأدلة يمكن مناقشتها في شئ من السهولة واليسر، بل إن الوقائع القائمة يمكنها تقديم صورة عظيمة يمكن الدفع بها في مواجهة أدلة المنكرين وحينئذ تنضبط الأمور أو على أقل تقدير يمكن إحداث نوع من الموازنة بين الدليل والحكم عليه وذلك كما يلي:-

الأول : التباس المعجزات بالكرامات

١) الحديث رواه البخارى في صحيحه / جـ١ / ص٢٧.

٢) الحديث ذكر في سن أبى داود / جـ٤ / ص٢٧٠.

٣) ولذا فإنى أطلب ألا يقوم بتحقيق التراث غير المتخصصين في العلوم المختلفة، لأن من قام بالتحقيق وليس متخصصاً في فرع العلم الذي يحقق فإنه يكون مجرد ناسخ ينقل بعين كليلة، فإذا طمس أمامه حرف أو سقطت نقطة لم يستطع استدراك ذلك ويكون حاله كحال من نسخ الحديث "المؤمن كيس فطن" على أنه : كيس قطن، لمجرد زيادة طرأت على نقطة الفاء فحسبها قطناً بدل فطناً وبناء عليه تغير المعنى كلية.

ذهب المنكرون لكرامات الأولياء بأنه لو ظهرت كرامات للأولياء مستقلة للتبس أمرها بمعجزات الأنبياء، وحينئذ يكون التفريق بينهما صعبا جدا، بل يكون الاختلاط بين الأنبياء والأولياء أمراً قائما[١].

ومعنى ذلك أن الكرامات لو ظهرت كخوارق على أيدى الأولياء، ونظر إليها العامى والمثقف، فمن أين له إدراك أن هذا نبى، وذاك ولى؟ ومن أين له إثبات أن هذه معجزة وتلك كرامة؟ ألا يكون الحال في الأمرين واحداً ومن ثم يكون الاختلاط بينهما قائما، أم هناك فوارق يمكن الوقوف عليها بين هذا وذاك؟

* والجواب : أن الشروط التي وضعها أهل السنة والجماعة لكل من كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء تمثل فاصلا دقيقا، وعملا جوهريا، تجعل كلا منهما لا تلتبس بالأخرى من أية ناحية[٢].

كما أن فكرة الإلتباس إنما هى أمر نسبى بالنسبة للمنظور والناظر أيضا فمتى جاءت الكرامة فإنها تلحق القناعة بالناظر إليها

---

١) الشيخ محمد بن على الحسينى النكلاوى/ كرامات الأولياء وموقفها من معجزات الأنبياء صـ ٨٥ مطبعة التقدم بمصر المحروسة ١٣١١هـ.

٢) لأن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة، أو هى أمر بخلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذى نبوة من الأنبياء مع نكول من يتحدى به عن معارضة مثله راجع الإمام البغدادى/ أصول الدين صـ١٧٠، بينما الكرامة : أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى ودعوى النبوة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبى كلف بشريعة، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم. راجع الاستاذ/ محمد فريد وجدى/ الإسلام في عصر العلم صـ ٥٩١. وأيضا رسالتنا في الدكتوراه/ فكر الإمام الرازى في النبوات من خلال تفسيره مفاتيح الغيب ومدى توظيفه في العصر الحديث/ صـ٢٠٦.

وبخاصة إذا لم يكن من أولئك الذين يدعونها، أو يحرصون على اذاعتها ونشرها.

الثاني : كثرة الكرامات بكثرة الأولياء

ومعنى هذا الدليل : أنه لو ظهرت الكرامات للأولياء خارقة للعادات لكانت الكرامات غير محصورة في نوع أو أنواع، بل ولكثرت بكثرة الأولياء أيضا(١). ولما كان الأولياء كثرة لا تحصر عدداً، والكرامات محصورة العدد والأنواع، فإن القول بالكرامات يكون غير صحيح، بدليل أن الأولياء كثرة بينما الكرامات قلة(٢). بل لو وجدت ذلك وكثرت الكرامات بكثرة الأولياء لكانت أمراً عادياً ولم تعد أمراً خارقاً للعادة، لأن الخارق في مفهوم ما يأتي على خلاف مألوف الناس، وبالتالى فلو تم كثرة الطعام مثلاً، أو وجود غذاء أو فاكهة في غير أوانها وتكرر ذلك مع أكثر من ولى في البلد الواحد لصار أمراً عادياً مألوفاً جريانه على أيدى هؤلاء.

والجواب : أنه لو تكررت المعجزات، وتكررت الكرامات، فلا تخرج في جملتها وإفرادها عن طبيعة كونها أمراً خارقاً للعادة، إذ التكرار إنما يكون معتبراً إذا جاءت حالة واحدة، كإحياء الموتى مثلاً على شخص واحد، وظلت تتكرر عملية إحياء الموتى مع ذات الشخص، وعلى نفس مادة الإحياء الأولى عدة مرات، وليس التكرار في الكرامات من هذا القبيل(٣).

---

١) العلامة / إبراهيم الباجورى / حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ص٨٩.

٢) الشيخ / على حكمت الله طلعت أردوخان / الكرامات وخوارق العادات ص٧٤ مطبعة الأستانة بالخلافة العثمانية ١٣٠٤هـ.

٣) لأن الكرامات تظهر من باب التكريم، والتكريم عادة يأتى من جهات مختلفة.

وقد أجاب عن ذلك شيخ الإسلام "الباجورى" حيث قال : لا نسلم أنها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة، بل غاية الأمر استمرار خرق الفعل للعادة وهذا لا يوجب أن تكون عادة[1].

الثالث : اختلاط الأولياء بأصحاب الحيل :

ويقوم هذا التصور على أن الولاية ليس من سماتها وقوع كرامة حسية وإلا اختلطت بأفعال أصحاب الحيل من المشعوذين والسحرة والمنجمين وكل صاحب حيلة يمكنه أن يأتى بعجيبة غير مألوفة، فمن أين لنا بالتفريق بين الولى الصالح والساحر الفاسد مع أنهما معاً يمثلان اتجاهاً واحداً والمظاهر بينهما توشك أن تكون مشتركة[2].

والجواب : أنه لو وقع اختلاط بين الأولياء أصحاب الكرامات وبين أصحاب الحيل، لوقع اختلاط في أصل الدعوة وليس في المعبر عنها، بمعنى أن يدعى صاحب الحيلة أنه ولى، أو يدعى الولى أنه صاحب حيلة، ولكن هذا الادعاء لم يقع دليل واحد يؤيده بالنسبة للأولياء على الأقل، فلم يقل واحد منهم أنه من أصحاب الحيل، إذ شأن الولى أن يستتر من كراماته فيخفيها بدل أن يسارع إليها فيكشفها أو يبديها.

وفوق ذلك فإن أصحاب الحيل وإن ادعوا أنهم أولياء إلا أن حيلهم تكون غالباً آتية عليهم فشأنهم مع حيلهم كمدعى النبوة الكذابين مع فعالهم تنقلب عليهم وترتد إليهم ولا تخرج عنهم، ومثل ذلك لا يكون مقبولاً.

الرابع : التحول من الخارق للمألوف :

ويقدم هذا الدليل على أنه لو كانت الولاية تقع مع الكرامة والأولياء في القطر الواحد كثرة وتقع الكرامات على ذات الكثرة، فإن

---

١) الإمام البيجورى / حاشية البيجورى / ص٨٩.

٢) الشيخ / نصر الدين محمد على الطماوى : معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ص١١٢ ط المطبعة العامرية ١٣١٤هـ.

هذا الأمر لن يكون خارقاً للعادة بل سيكون هو المألوف، وعكسه هو الاستثناء، وحينئذ تنقلب الأمور وتصير العادة المألوفة خارقاً، ويتحول الخارق إلى مألوف، وذلك مخالف لسنن الله الكونية، وذلك كله مما يفضي إلى القول بعدم قبول هذه الأفكار دون تحفظات شديدة بشأنها.

والجواب : أن هذا التحول بالفعل من كونه خارقاً للعادة بحيث يصير مألوفاً من كثرة تكراره، فذلك أمر غير مقبول، لأن الله – تعالى – جرت عادته التي اطردت في سنته الكونية، أن تكون الأشياء العامة هى الأصل، وأن تكون الأشياء النادرة هى الاستثناء الذي تجيء عليه القاعدة بدليل أن عدد البشر بالمليارات، بينما عدد الأنبياء والمرسلين لا يتجاوز المئات، أو على أكثر تقدير بضع من الآلاف، ومن ثم فالنبوة تكون استثناءً في أفراد بأعيانهم يصطفيهم الله – عز وجل – ليقوموا بهذا العمل[1].

وكذلك الحال في المعجزات فإنها تكون خرقاً لعادات ثابتة بحيث تظهر تلك العادات على أنها متساوية، ثم تأتى المعجزات على غير جهة التساوى فتكون استثناءً، وكذلك الحال مع كل من الكرامات التي تجيء مع أولياء الله – سبحانه وتعالى – وبناءً عليه فلا يكون لهذا الوجه صورة يقبل عليها وإنما هى عملية التخرف من وقوع بعض الظواهر التي قد تصرف البعض من العوام عن طبيعة تركيبتهم الدينية

---

١) في الحديث الشريف ما روى أن رسول الله ﷺ قال : "بعث الله الأنبياء والمرسلين أربعاً وعشرين ألفاً وجعل المرسلين منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر وهم عدة أهل بدر وذهب العلامة الفرجانى إلى أن الذين يجب علينا الإيمان بهم تفصيلاً هم الخمسة والعشرون نبياً الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم والحديث الشريف / راجع الشيخ / محد نصر الدين الفرجانى / التوحيد لله رب العالمين ص١١٨ مطبعة القدس الشريف ١٣١١هـ، وإلى هذا الرأى ذهب الإمام محمد الشافعى النووى في كتابه / نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام للشيخ / أحمد مرزوق المالكى ص٨ ط الحلبى ١٣٣٨هـ.

واعتقاداتهم الصحيحة إلى اعتقادات أخرى قد يكون لها شيء من القبول أو لا يكون.

وكم كان لهذا التخوف على العوام من قيمة كبيرة متى كان ذلك التخوف في حدود مقبولة كالحال مع الإمام أبو حامد الغزالي الذي ألف كتاباً أسماه / إلجام العوام عن علم الكلام، وغايته من ذلك : إبعاد من ليسوا من أهل التخصص في علم الكلام من الخوض فيه حتى لا يضلوا بين مباحثه أو يفرقوا بين شواطئه.

الفريق الثاني : المثبتون للكرامات :

وهذا الفريق يمثله غالبية أهل السنة والجماعة، والصوفية بجانب أبى الحسين البصرى من المعتزلة وبعض السلف الصالح وكثير من الفقهاء، لكن ما هى أدلة ذلك الفريق؟ ممثلة فيما يأتى :

الدليل الأول : ظهور الكثير من التعريفات للكرامة في أبحاثهم المختلفة، بل انهم قد تعددت تعريفاتهم للكرامة تعدداً ملحوظاً، واشتهرت هذه التعريفات عنهم اشتهار الكرامات ذاتها، فصارت تعاريفهم صورة وثائقية تؤكد أنهم يثبتون الكرامات[1].

والجواب : أن هذا الدليل وإن كان ظاهره إثبات الكرامات من باب التعريف بها فإنه قد يكون مقبولاً عند من يقر بها، أما من ينكرها فإن رفضه لها يقوم أيضاً على رفض التعريف، إذ ما العبرة من قبوله تعريف وهو يرفض وقوع الفعل ذاته.

الدليل الثاني : أنها أمر ممكن، وكل ممكن يقع ويمكن وقوعه، والذى صار إليه أهل الحق هو جواز انخراق العادات في حق الأولياء أيضاً، وتجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات[2].

---

١) راجع الإمام القشيرى : الرسالة القشيرية ص٤٧٦، كمال أحمد عوف : أولياء الله بين الموالين والجافين / ص١٠ طبع مجمع البحوث الإسلامية، وأيضاً : د. محمد مصطفى حلمى / ابن الفارض والحب الإلهى ص٧٢ دار المعارف وغيرها من المصادر.

٢) إمام الحرمين الجوينى : الإرشاد / ص٣١٧-٣٦٦.

وهذا الدليل أكد عليه الإمام الغزالى هو الآخر حيث قال : فإن قيل هل تجوزون الكرمات؟ قلنا اختلف الناس فيه، والحق إن ذلك جائز[1].

ولكن هذا الدليل إنما قام على كون الكرامات من الأفعال الجائزة، أو الأفعال الممكنة والمنازعة ليست في الفعل الممكن، إنما فيمن تجرى على يديه ذات الأفعال، والفرق بين الفعل ومن تجرى عليه كبير جداً، ومن ثم فإن هذا الوجه ينهض فيما لو كان النزاع حول حكم وقوع ذلك الفعل لا عن الوصف العام الذى يقوم عليه.

الدليل الثالث : أنها واقعة فعلاً. ومعنى هذا : أن كرامات الأولياء قد وقعت في الماضى، وتقع في الحاضر، ويمكن أن تقع في المستقبل وقد حملتها النصوص النقلية وثبتت بالمعايشة والواقع العملى فإنكارها إنما هو إنكار لأمر ثابت، وذلك يمثل نوعاً من الضغط على النصوص أو اللىَّ لها وذلك مرفوض في القواعد الشرعية[2].

ولكن هذا الدليل ينهض متى قام على إمكانية وقوع الكرامات وتعددها، والمنازع لا ينكر ذلك وإنما غاية ما يرفضه هو اختلاط أو التباس هذا بخوارق العادات التي تتمثل في المعجزات خشية اختلاط ذلك ـا يجرى على يد غيرهم، وقد حاول ابن أبى العز الحنفى دفع ذلك فقال : نؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عنهم ورواه الثقات من رواياتهم[3].

---

١) الإمام الغزالى : الاقتصاد في الاعتقاد / ص١٨٤ ط مطبعة صبيح.

٢) الشيخ / محمد منصور خليل دبايح : كرامات الأولياء في الكتاب والسنة / ص٨٧ ط دار الفؤاد ١٩٣٥م.

٣) العلامة ابن أبى العز الحنفى : شرح الطحاوية / ص٤٤٢.

وليس بن أبى العز وحده هو الذي دافع عن هذه النقطة، وإنما سبقه العلامة الأصفهانى حيث يقول : ان المعجزة لا تختلط بالكرامة أبداً وذلك لفقد شرط مهم وهو مقارنة الدعوى والتحدى في المعجزة[١].

الدليل الرابع : شهادة الثقات : ومعنى هذا الدليل : أن أهل العلم الذين يوثق فيهم قد أقروا بوقوع الكرامات للأولياء، وبناءً عليه فنفيها لا يكون مقبولاً، يقول العلامة السعد : ذهب جمهور المسلمين إلى جواز كرامة الأولياء[٢].

وذكر العلامة اللقانى ذلك في منظومته جوهرة التوحيد، حيث نبه على وقوعها للولى وان اثباتها هو منهج العارفين، أما المنكرون لها فلا قيمة لانكارهم ولا اعتراف بأقوالهم حيث قال :

واثبتن للأولياء الكرامة　　　　ومن نفاها انبذن كلامه[٣]

ثم إن الشيخ الباجورى قد أكد على ذلك هو الآخر، وبين أن الأدلة الصحيحة تنهض لها.

الدليل الخامس : دليل النقل الصحيح : وهذا الطريق ينطوى تحته أمران : فإما أن يكون خبراً معصوماً جاء ذكره في القرآن الكريم، والحديث النبوى الصحيح وهو الطريق الأول.

أو أن يكون نقلاً لم يعارضه أقوى منه فيكون من قبيل الآثار المروية التي لم تنازع، ومن ثم فهذا الدليل يجيء في ثلاث صور :

---

١) العلامة / شمس الدين بن محمود الأصفهانى : مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص٤٣٧ سنة ١٣٠٥هـ.

٢) العلامة / السعد التفتازانى : شرح المقاصد / جـ٥ / ص٧٢ تحقيق د. عميرة.

٣) الشيخ / إبراهيم اللقانى / جوهرة التوحيد / ص٨٨ على حاشية الباجورى.

الأولى : الأدلة القرآنية : كالحال مع امرأة عمران ومريم بنت عمران قال تعالى : ﴿إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لكى هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

الثانية : ما ورد من السنة النبوية المطهرة، حيث ذكرت السنة أن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : كان أسيد بن حضير، وعباد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس[١]، فتحدثا عنده، حتى إذا خرجا من عنده أضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها[٢].

الثالثة : ما تناقله أصحاب الأخبار، واشتهر عن سُفينة مولى رسول الله ﷺ أنه قال : ركبت سفينة في البحر فانكسرت بى، فركبت لوحاً منها فأجرجنى إلى أجمة[٣]، فيها أسد، وبينما أنا ذلك إذ أقبل

---

١) أى شديدة الظلمة بحيث لا يتمكن المرء من معرفة أى شيء يصطدم به أو يلاقيه أو يتفادى شيئاً من ذلك.

٢) الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى / صفة الصفوة جـ١ / ص٢٦٠ ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان سعيد اللحام.

٣) الأجمة هو مستجمع أشجار كالحال مع الغابة بحيث لا يوجد فيها إلا الحيوانات المفترسة.

الأسد، فلما رأيته قلت يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فأقبل نحوى حتى ضربنى بمنكبه، ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق، قال ثم همهم ساعة فضربنى بذنبه فرأيت أنه يودعنى(1).

وبهذا تتضح الصور الثلاثة التي جاءت مع هذا الدليل وأعنى به طريق النقل الصحيح، أما طريق العقل فلا يمانع ما جاء في الحكم النقلى، وبناء عليه تكون الأدلة قد تواكبت مع أهل الإثبات، وتكون جهتهم هى الأرجح عند المقارنة باعتبار أن الترجيح بين الأدلة يمثل عملاً علمياً لابد من القيام به لمن يحاول الوقوف على شيء صحيح.

وفى تقديري أن الموازنة بين أدلة الطرفين تجعل كفة المثبتين أرجح متى فهمت الأمور على ظواهر الأدلة، أما إذا اعتبر الفاصل بين الفريقين هو مفهوم يخالف كل منهما فيه الآخر، فإن الخلاف حينئذ يكون أكثر حمقاً وأبعد أثراً.

والذى تطمئن إليه النفس : هو الاقرار بوقوع الكرامات لأولياء الله الصالحين من باب الفضل الإلهى، وما يستتبع ذلك دون أن يؤثر هذا القرار على عقيدة المثبت أو النافي، لأن المسألة تتعلق بطرائق الإثبات وشكل الأدلة وهى مما تأتى فيه الأنظار وتقع التحاورات، وما كان ذلك شأنه إنما يمثل بحثاً علمياً معتبراً في الدراسات النظرية وبخاصة متى تعلق بالجانب العملى.

---

1) الإمام البيهقى / الاعتقاد على مذهب السلف / ص١٧٥-١٧٩ بيروت دار الكتب العلمية.

موازنة بين أدلة الفريقين :

البادى أن أدلة الطرفين بينهما تباعد كبير من حيث الظاهر، بينما لو اعتبر فحوى ما بين الدليلين ربما زال هذا التباعد أو ضعفت درجته أما لماذا؟

فلما يلي :

١- ان الكرامات داخلة في نطاق الممكنات، وبالتالى فلا يوجد واحد من المفكرين يقول باستحالتها؛ لأنها ليست من جنس المحالات[١].

٢- ان المثبتين للكرامات أكثروا من الحديث عن حكمها الواقع بين الجواز والوقوع الفعلى، أو الجواز وحده، أو الوقوع وحده[٢]، وبالتالى دارت عباراتهم حول هذا المعنى.

فالامام البغدادى يقول إنها واقعة لاستفاضة الخبر عن صاحب سليمان في إتيانه عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف إليه[٣].

والامام الجوينى يقول : ان انخراق العادات في حق الأولياء جائز وتجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات أمر واقع[٤].

---

١) والمعروف أن المحالات إما أن تكون بين العقل والعرف والشرع، فالمحالات العقلية تتمثل في الجمع بين النقيضين والمحالات الشرعية تتمثل في خرق قواعد الشرع، والمحالات العرفية تتمثل في خرق قواعد العرف ولا يقول بذلك أحد أبداً فثبت أن الجميع متفقون على كون الكرامات ليست من المستحيلات.

٢) فهذه صور ثلاثة تجيء بين أعطافها طبيعة الحكم على الكرامات عند المثبتين لها.

٣) الإمام البغدادى / أصول الدين / ص١٨٤، ١٨٥.

٤) الإمام الجوينى / الإرشاد / ص٣١٧.

ونفس الفكرة يعرضها الإمام النسفى الماتريدى حيث يقرر أن ظهور الكرامات عن طريق نقض العادة للولى أمر واقع وجائز، بل غير ممتنع أيضا[1].

ونفس الفكرة يعرضها الإمام الشهرستانى الأشعرى من جانب آخر وهو وجه تصديق الأنبياء وتأكيد المعجزات، لأن المعجزة تكون للنبي والكرامة تكون لذلك الولى المتابع لذات النبى، فكل كرامة لولى إنما هى امتداد معجزة لنبى على أساس أن الولى هو من يكون متابعاً للنبي في شرعه.

ويخلص العلامة "السعد" إلى حكمين في المسألة :

أحدهما : جواز وقوع الكرامات للأولياء.

الثاني : عدم الإلتفات إلى المنكرين، لكنه يبنى الجواز ويتوسع فيه حتى يرجعه إلى قصد الولى طالما كان ذلك في حدود إلتزامه بالشرع الإلهى وملازمته الطاعة ومداومة العمل الصالح، كما يستدل عليها بالوقوع أيضاً، متخذاً شواهد ذلك من قصة مريم وآصف، وأصحاب الكهف، وما تواتر جنسه عن الصحابة والتابعين وكثير من الصالحين[2].

والذى تطمئن إليه النفس أن الكرمات لا تخرج عن كونها صورة من صور الفضل الإلهى تجيء على ناحية غير التي تجيء منها المعجزة، لأن المعجزة إنما يقصد بها تصديق النبى في دعواه، بينما الكرامة يقصد بها التأكيد على أن هذا ولى من أولياء الله وأدنى مرتبة من النبى.

---

١) الإمام أبو المعين النسفى : التمهيد ص٥٢.

٢) الإمام / سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد / جـ٥ / ص٧٢ / تحقيق د. عميرة.

كما أن عمل الولى إنما ينحصر في البذل المتواصل للطاعات، أما عمل النبى فقائم على طبيعة ثابتة وهى الاصطفاء الإلهى والفرق بينهما : أن النبى يختار من قبل الله تعالى، أما الولى فإنه يتعلق بتعاليم ذلك المختار ولا مشاحة في ذلك، بل ولا ممانعة تذهب إلى التباعد بين الفريقين أو إظهار أوجه اختلاف بين المتحاورين.

الباب الثالث

أنواع الكرامات

الفصل الأول

الكرامات بين إجابة الدعاء وظهور الطعام في غير أوانه

الفصل الثاني

الكرامات بين سماع الهواتف وجلب العروش

الفصل الأول

الكرامات بين إجابة الدعاء وظهور الطعام في غير أوانه

أنواع الكرامات(*)

عرضت فيما سبق لكل من خوارق العادات بوجه عام، وتعريف الكرامة في اللغة والاصطلاح، ومن ثم فإن المثبتين للكرامات يقررون بأنها ظهور خوارق العادات على يد إنسان من غير شيء من الدعاوى ما دام صالحاً مرضياً عند الله[1]، ومن ثم فقد رأوا أن الكرامة تتنوع إلى أنواع باعتبار مظاهرها تارة، وباعتبار من جاءت عليه تارة أخرى، يقول الإمام القشيرى : "ان هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون اظهار طعام في أوان فاقه من غير سبب ظاهر، وقد تكون حصول ماء في زمان عطس، كما تكون تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة"[2]. وهذه هى الكرامت الحسية، أما الكرامات المعنوية ومنها : الرضا والقبول، والعفاف والاستغناء عما في أيدى الناس، وهذا الجانب سوف أخصه بدراسة مستقلة لعلاقته بعلم السلوك، أو علم الأخلاق عند مفكرى المسلمين، وسوف أعرض لتلك الأنواع الحسية فيما يلي إن شاء الله تعالى :-

أولاً : إجابة الدعاء :

أولياء الله – تعالى – يوالونه بالطاعات، ومن ثم فهو يواليهم أيضاً بالكرامات، يستوى في ذلك أن يكون الـ[illegible] ذكراً أم أنثى، لقوله تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو

*) هذا الحديث يتعلق بالكرامات الحسية فقط.

١) الإمام الفخر الرازى : مفاتيح الغيب / جـ١١ ص٨٥.

٢) الإمام القشيرى : الرسالة القشيرية ص٢٧٦ ط مطبعة صبيح، وبالهامش : شرح الشيخ / زكريا الأنصارى.

أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[1].

والقرآن الكريم حدث عن أصحاب الكرامات الذين ارتفعت أياديهم بالدعاء فحقق الله لهم الرجاء، ومن هؤلاء.

١- امرأة فرعون :

هى "آسية بنت مزاحم" على ما قاله المفسرون، آمنت بالله رب العالمين مع موسى – عليه السلام – فبلغ أمرها فرعون فهمَّ بقتلها، وكانت قد دعت ربها بثلاثة رجاءات :

الأول : ابن لى عندك بيتاً في الجنة.

الثاني : ونجنى من فرعون وعمله.

الثالث : ونجنى من القوم الظالمين.

فتقبل الله دعاؤها، وحقق رجاؤها، فلما همَّ فرعون بقتلها لم يتمكن منها، حيث نجاها الله – تعالى – من شره، كما نجاها من اتصال فرعون بها، وهو من أكفر الكافرين، كما نجاها من القوم الظالمين، فلم يصرفوها عن دين الله رب العالمين، ولم يحيلوا بينها وبين الإيمان حتى مدحها رب العالمين في قوله تعالى : ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين﴾[2]، ومدحها رسول الله ﷺ بقوله : "كمل من الرجال كثير، وما كمل من النساء سوى آسية امرأة

---

١) سورة آل عمران / الآية رقم ١٩٥. وسبق التعليق على الآية.

٢) سورة التحريم / الآية ١١.

فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[1].

يقول الإمام الرازى تحت تفسيره للآية الكريمة : "وضرب الله عز وجل مثلاً آخر في امرأة فرعون – آسية بنت مزاحم – آمنت حين سمعت قصة إلقاء موسى عصاه، وتلقف العصا، فعذبها فرعون عذاباً شديداً بسبب الإيمان، وأنه وتدها بأربعة أوتاد، واستقبل بها الشمس وألقى عليها صخرة عظيمة، فقالت : رب نجنى من فرعون فرقى بروحها إلى الجنة، فألقيت الصخرة جسد لا روح فيه، قال الحسن : رفعها إلى الجنة تأكل فيها وتشرب ورأت بيتها في الجنة يبنى لأجلها وهو من درة واحدة، والله أعلم كيف هو؟ وما هو؟ فهى قد طلبت بدعائها القرب من رحمة الله، ثم بينت مكان القرب بقولها : في الجنة وأرادت ارتفاع درجتها في جنة المأوى التي هى أقرب إلى العرش"[2].

ويقول العلامة بن كثير : "ان الله عز وجل كشف ثواب ومنزلة خازنة فرعون عند ربها ودرجتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها، فقال للملأ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها فقال لهم : انها تعبد غيرى، فقالوا له اقتلها، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت : "رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة" فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون :

---

١) الحديث من رواية الشيخين، وهو متفق عليه، وراجع : صفوة التفاسير للعلامة الصابونى – جـ٨ ص٤١٢، ٤١٣.

٢) الإمام الفخر الرازى : مفاتيح الغيب / م١٥ / جـ٣٢ / ص٤٩، ٥٠.

ألا تعجبون من جنونها؟ انا نعذبها وهى تضحك، فقبض الله روحها فى الجنة – رضى الله عنها – [1].

مما سبق اتضح أنها قد وقعت لها الكرامة من الله – عز وجل – استجابة لدعائها وتحقيقاً لأمنيات جالت بصدرها، لأنها لم تيأس من رحمات ربها وإنما انطلقت تناجيه في سرها وعلنها، وهى تعلم أنه حى شأنه بالرجاء جدير، وعلى تحقيق الآمال قدير.

٢- خبيب بن عدى :

ذكرت السنة النبوية المطهرة أن خبيب بن عدى أحد الصحابة الكرام – رضى الله عنه – وقع في أيدى المشركين أسيراً، فلما جاء موعد قتله نظر إلى السماء ودعا ربه قائلاً : اللهم احصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تبق منهم أحدا، فلم يحل الحول ومنهم أحد غير رجل لبد بالأرض حين رآه يدعوا[2].

وذكر أبو نعيم في حليته : أن خبيب بن عدى كان ضمن الرهط الذي بعثه رسول الله ﷺ تحت قيادة عاصم بن ثابت الأنصارى، جد عصام بن عمر بن الخطاب لأمه، وأثناء الرحلة وقعوا في الفخ الذي نصبه لهم جماعة من الكفار من هزيل بين عسفان ومكة ورموهم بالنبل حتى قتل عاصم في سبعة نفر وبقى خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم ربطوهم في الحديد.

أما خبيب وزيد فقد انطلقوا بهم ثم باعوهم في مكة، فاشترى خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث

---

١) العلامة ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ٤ / ص٣٩٤.

٢) الإمام البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف / ص١٧٥، ١٧٦ ط دار الكتب العلمية بيروت، وأيضاً : الفتاوى للامام ابن تيمية / جـ١١ ص٢٧٦.

يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً وأجمعوا على قتله فاستعار شفرة من بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه ووضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعاً شديداً عُرف ذلك منى، وفى يده الشفرة فقال : أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ان شاء الله : تقول : ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديدة، وما كان إلا رزقاً رزقه الله، فلما خرجوا به من الحرم، قال دعونى أركع ركعتين، فركع ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبقى منهم أحداً[1].

وذكر ابن شهاب عن طريق عروة أن خبيباً قال : اللهم انى لا أجد رسولاً إلى رسولك يبلغه عنى السلام، فجاء جبريل – عليه السلام – إلى النبى ﷺ فأخبره ذلك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم : وعليه السلام، خبيب قتلته قريش[2].

من ثم يتبين أن الله تعالى استجاب للعبد الصالح، خبيب بن عدى وحقق له دعاؤه فجاءت جنود الله متمثلة في الزنابير تدفع عنه حتى لم يتمكن أعداؤه منه وجعل جنداً من عنده تبارك وتعالى يقومون على حمايته وحفظه. قال تعالى : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر﴾[3]، وتلك كرامة لا محالة، ومن ينكر وقوعها فإنما ينكر نصاً صحيحاً جاءت به السنة النبوية المطهرة الصحيحة.

---

١) الشيخ البنهاوى : جامع كرامات الأولياء جـ١ ص٦١.

٢) وهذا مما أخرجه الإمام البيهقى في سننه، وأبو نعيم في حليته من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ومن طريق عروة بنفس الزيادة الأخيرة.

٣) سورة المدثر / ٣١.

٣- عامر بن فهيرة :

كان أحد الصحابة الأوائل، وكان ممن أسلموا مع رسول الله ﷺ في وقت مبكر، ذكر أبو نعيم عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة حتى قدموا المدينة، فقتل عامر يوم بئر معونة، وأسر عمر بن أمية فقال له عامر بن الطفيل : من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال عمر بن أمية : هذا عامر بن فهيرة، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى انى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض(١).

وما كان ذلك إلا لأن عامر بن فهيرة كان ولياً من أولياء الله، فلما رأى نهايته سارع إليها حباً في لقاء مولاه، ثم قال : اللهم لا تمكنهم منى، ولا تحبسنى إلا إليك، فلما استشهد التمس المشركون جسده، فلم يقدروا عليه حيث أرسل الله جنداً من عنده فرفع، قال عروة : فيرون الملائكة رفعته إلى ما فوق السموات حتى كانت السماء بينه وبين الأرض(٢).

من ثم فقد وقعت الكرامة ولم يستطع واحداً أن يردها نظراً لورودها في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وفى الحديث الشريف ما روى أن رسول الله ﷺ قال : "رب أشعث أغبر ذى طمرين(٣) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره".

٤- البراء بن عازب :

كان البراء بن عازب من المسلمين الأوائل، وكان له مع ربه عهد موثق، فما من مرة أقسم على الله تعالى إلا أبره في قسمه، بل كان إذا

---

١) الحافظ أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / جـ١ / ص١٠٩، ١١٠.

٢) العلامة بن تيمية : الفتاوى / جـ١١ / ص٢٧٦.

٣) وهو جزء من جلد الحيوان يستخدم بدل النعال بالنسبة للمعدمين.

اشتدت الحرب والمسلمون في الجهاد يقولون له : يا براء : أقسم على ربك، فيقول : يا رب : أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً[(١)].

وذكر أبو نعيم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، ومنهم البراء بن مالك، فلما كان يوم تستر[(٢)] انكشف الناس فقالوا : يا براء أقسم على ربك، فقال البراء أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك، قال : فاستشهد واستجاب الله دعاؤه وألحقه نبيه ﷺ[(٣)].

ومن ثم فإن إجابة الدعاء الذي يتلفظ به ولى من الأولياء يستجيب له ربنا – جل علاه – بياناً لمنزلة هذا العبد الصالح عند ربه رفعاً لقدره بين الناس، لأن الله تعالى قال : ﴿ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[(٤)].

فانتبهوا أيها الناس واعلموا أن أحباب الله وأولياءه لا خوف عليهم في الآخرة من عذاب الله، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، لأنهم صدقوا الله ورسوله وكانوا يتقون ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فالولى هو المؤمن التقى، وفى الحديث الشريف : "ان لله عباداً ما هم

---

١) الإمام ابن تيمية : الفتاوى / جـ١١ / ص٢٧٧، وأيضا الإمام النبهانى / جامع كرامات الأولياء / ص ٣٨.

٢) يوم كان بين المسلمين والمشركين بعد انتقال رسول الله ﷺ وقد لاقى المسلمون فيه العنف أول الأمر، حتى اشتد بهم الضيق، فقال : يا براء أقسم على ربك لما يعرفون ما للبراء عند ربه، فأقسم وأجاب الله دعاؤه.

٣) أبو نعيم : الحلية / جـ١ / ص٣٥٠.

٤) سورة يونس / الآيات ٦٢-٦٤.

بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله، قالوا : أخبرنا من هم؟ وما أعمالهم؟ فلعلنا نحبهم، قال : هم قوم تحابوا في الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ... الآية﴾ فلأولياء الله تعالى ما يسرهم في الدارين، حيث تبشرهم الملائكة عند الاحتضار برضوان الله ورحمته، وفى الآخرة بجنان النعيم والفوز العظيم[1].

٥- سعد بن أبى وقاص :

كان سيدنا سعد بن أبى وقاص من المسلمين الأوائل، وما دعا دعاءً إلا استجيب له، وهو الذي هزم الله على يديه جنود كسرى، ومكنه من فتح العراق[2]، وكان ذلك من نصرة الله تعالى لسيدنا سعد، وكيف لا وهو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يقول : ارم سعد، ارم سعد، فإن الله يرمى معك، قال تعالى : ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسناً ان الله سميع عليم﴾[3].

---

١) الإمام الصابونى / صفوة التفاسير جـ١ / ص٥٨٩، ٥٩٠، والامام الطبرى / جـ١١ / ص١٣٠، والحديث رواه الإمام الحاكم، واختار العلامة الطبرى أن تكون البشارة لأولياء الله بالرؤيا الصالحة وببشارة الملائكة عند الموت، وذهب بعض المفسرين إلى أن البشارة في الدنيا هى الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو تُرى له. راجع صفوة التفاسير جـ٣ / ص٥٨٩.

٢) الإمام ابن تيمية / الفتاوى / جـ١١ / ص٢٧٨.

٣) سورة الأنفال / الآية ١٧.

قال ابن عباس – رضى الله عنهما – أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين وقال : شاهت الوجوه، فلم يبق أحد منهم إلا أصاب عينيه ومنخريه من تلك الرمية فولوا مدبرين[1].

٦- سعيد بن زيد :

هو سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل بن عم عمر بن الخطاب – رضى الله عنهم – وزوج اخته فاطمة، أول السابقين في الإسلام، وكانت له دعوة عند الله مقبولة، فلما تبدلت الأحوال، وولى بنى أمية الحكم صار من لهم سبق في الإسلام من القرشيين محل نظر من الأمويين، فانتهزت امرأة تدعى أروى بنت الحكم هذه الفرصة وادعت على سعيد أنه أخذ جزءً من أرضها وكانت كاذبة، فحكم لها مروان بن الحكم على سعيد بن زيد وقالت : سرق منى أرضى، فأدخلها في أرضه، فقال سعيد : ما كنت لأسرق منها بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول : من سرق شبراً من أرض طوق إلى سبع أراضين[2].

فقال لا أسألك بعد هذا، فقال سعيد بن زيد، اللهم ان كانت كاذبة فاهذب بصرها واقتلها في أرضها، فذهب بصرها، ووقعت في حفرة في أرضها فماتت[3].

من ثم تبين أن الله عز وجل استجاب دعوة سيدنا سعيد بن زيد، لأنه كان صالحاً يوالى الله عز وجل بطاعاته، بينما كانت المرأة ظالمة

---

١) الإمام ابن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ٢ / ص٢٩٥.

٢) رواه الإمام البخارى ومسلم عن سعيد بن زيد بلفظ : من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أراضين.

٣) رواه الإمام أحمد في سنده جـ١ / ص١٨٨ ط المكتب الإسلامى / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، وراجع أيضاً اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / ط الحلبى.

توالى الله بمعاصيه وتقترب من الشيطان بالاستجابة له، تاركة تحذير الله – عز وجل – في قوله جل شأنه : ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾[١].

٧- حديث الغار :

يقول عنه الإمام الفخر الرازى : وهو حديث مشهور في كتب السنة الصحاح[٢] عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، فأواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم باب الغار، فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم : كان لى أ[illegible] شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما، فناما في ظل شجرة يوماً، فلم أبرح عنهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أعبق قبلهما، فقمت والقدح في يدى انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه[٣].

ثم قال الآخر : كانت لى ابنة عم، وكانت أحب الناس إلىَّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سِنة من السنين فجاءتنى

---

١) سورة فاطر / الآية ٦.

٢) الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / م١١ / جـ٢١ / ص٨٦، ٨٧.

٣) ففى الحديث الشريف يقول ﷺ : "بروا آبائكم تبركم أبناؤكم ومن البر بالوالدين ألا يسبقهما بطعام ولا شراب يحتاجانه أو تتوقف عليه حياة أى منهما، لأن هذه مما قضى الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيراً﴾ سورة الإسراء / الآيات ٢٣-٢٥.

وأعطيتها مالاً عظيماً على أن تخلى بينى وبين نفسها، فلما قدرت عليها، قالت : لا يجوز لك أن تفك الخاتم إلا بحقه فتحرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها(١).

قال رسول الله ﷺ ثم قال الثالث : اللهم انى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجائنى بعد حين، وقال يا عبد الله : أدِّ إلى أجرى، فقلت له : كل ما ترى من أجرتك من الابل والغنم والرقيق، فقال يا عبد الله، أتستهزيء بى؟ فقلت إنى لا استهزء بك، فأخذ ذلك كله، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون(٢).

من هذا يتبين أن إجابة الدعاء تكون من الله – تعالى – للعبد الصالح ازكاءً له ورفعاً من قدره، وبياناً لشأنه، وأنه يكون بين قومه أو من وجد فيهم كالنور في الليلة الظلماء ولذا قيل : ان أولياء الله هم أنوار ساحة عرشه بالأرض، كما أن الملائكة أنوار عرشه العلوى(٣).

---

١) وهذا يدل على أن الزنا حرام منذ خلق الله البشرية لأنه من الفواحش المنهى عنها شرعاً. قل تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ سورة الإسراء / الآية ٣٢.

٢) وهذا مما يؤكد على أن سيطرة المرء على شح نفسه إنما يدخر له عند الله لقوله تعالى : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ سورة النحل / ٩٦ ثم ان العبد متى أعطى فإن الله يعطيه أيضاً، ومتى أمسك فإن الله يمسك عنه لقوله ﷺ : "اللهم أعطى منفقاً خلفاً وأعطى ممسكاً تلفاً، والعبد الذي يمسك، فإنما يستدرج من حيث لا يدرى، لأن العطاء من المعطى وهو الله – عز وجل – وهو المخلف لقوله تعالى : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار﴾ البقرة / ٢٧٠.

٣) الشيخ محمد منصور بن على الكتانى / من سيرة الصالحين / جـ١ ص١٣٥ طبعة المطبعة الأميرية ١٣١٨هـ.

قال الله عز وجل : ﴿ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾(١) وتحمل كتب الآثار وكذلك السنة النبوية المطهرة أن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، سأل رسول الله ﷺ أن يدعوا له، فدعا رسول الله ﷺ له بقوله : اللهم بارك في عمره وماله وولده، فعاش سيدنا أنس إلى أن تجاوز المائة والعشرين، فرأى أحفاده ، وأحفاد أحفاده، وهي البركة في العمر، كما أن الله تعالى وضع البركة في أعمار أولاده أيضاً فرآهم وهم كثرة، ثم وسع الله في ماله، فكانت له حديقة، ثم انحبس الماء عنها بينما سقى جيرانه حدائقهم فذهب أنس إلى تلك الحديقة ثم نظر إلى السموات العلا، ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع، والأراضين السبع اسق أرض أنس، ثم انصرف إلى داره، فلما بلغها قال لابنه اذهب إلى حديقة أنس فانظر ماذا فعل ربك بها؟

وروت كتب التصوف ان ابن أنس لما وصل إلى الحديقة رأى رجلاً في السحاب معه دلو يسقى أرض أنس، ولم تجاوز الماء الحد، بل ان ثمار تلك الحديقة جاء أعلى ما يكون وأكثر من كل عام، وما ذلك إلا من البركة التي وقعت لهذا العبد الصالح إكراماً له، وإجابة لدعائه، وبياناً أن نعم الله لا تحد(٢).

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال : بينما رجل يسمع رعداً أو صوتاً في السحاب ان اسق حديقة فلان، قال فغدوت(٣) إلى تلك

---

١) سورة يونس / ٦٢-٦٤.

٢) العلامة / النبهاني / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص١٧، وأيضاً العلامة القشيري / الرسالة القشيرية ص١١٨، وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن علي الفشني / حاشية الفشني ص٣١ ط المطبعة الميمنية ١٣٣٥هـ.

٣) الغدوة : الذهاب في أول النهار مبكراً، لقوله تعالى : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ سورة الروم ١٧، ١٨، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً" وقوله ﷺ : "الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها".

الحديقة، فإذا رجل قائم فيها، فقلت له : ما اسمك؟ قال : فلان بن فلان بن فلان، قلت فما تصنع بحديقتك هذه إذ صرمتها[1]؟ قال ولم تسأل عن ذلك؟ قلت لأنى سمعت صوتاً في السحاب : ان اسق حديقة فلان، قال : أما إذا قلت فإنى أجعلها أثلاثاً، فأجعل لنفسى وأهلى ثلثاً، وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً وأنفق عليها الثلث[2].

بيد أن إجابة الدعاء من العبد الصالح لا تكون إلا بمؤهلات أصلية يقف عليها هو، تبدأ تلك المؤهلات من المطعم والمشرب، حيث روى أن سيدنا سعد سأل رسول الله ﷺ أن يكون مستجاب الدعوة في قوله لرسول الله ﷺ : يا رسول الله : ادعوا الله لى أن أكون مستجاب الدعوة، فقال ﷺ : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

ومن ثم فمن ظهرت له إجابة دعوة ومطعمه ليس حلالاً، فإنما هى حيلة من الحيل قام بها، واستدراج وقع فيه أو إهانة من حيث لا يدرى لقوله تعالى : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾[3].

ثم ان هؤلاء الذين تظهر لهم إجابة دعاء وبخاصة إذا تعلقت بالضرر سواء على أنفسهم أو على غيرهم فإنما هم من خواص الشياطين الذين يستخدمونهم كما يشائون ويبذلون لهم ما يريدون، وما ذلك إلا لأنهم مغضوب عليهم من الله رب العالمين وذلك هو الفارق الكبير بين دعوة ولى الله المستجابة وبين دعوة ولى الشيطان المردودة على أساس أن دعوة ولى الشيطان لا تكون بخير أبداً، لأنه عدو نفسه

---

١) الصرم : هو الجمع البكر، حيث يقع الانتاج على أكمل وجه.
٢) العلامة النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص١٨.
٣) سورة الكهف / الآيات / ١٠٣-١٠٥.

وعدو الآخرين، وفي نفس الوقت قد تكون تلك الإجابة من قبيل المصادقات التي تجرى في قضاء الله وقدره ولا علاقة لها بمن جرت على يديه اللهم إلا مجرد التوافق في الوقوع[١].

وأهل العلم على أن هذه الأمور متى وقعت إجابة لعبد ظاهر الصلاح، فإنها تكون من باب اظهار الكرامة له، أما إذا وقعت إجابة لعبد ظاهر الصلاح، فإنها تكون من باب اظهار الكرامة له، أما إذا وقعت على عبد يدعى الصلاح وهو غير صالح، فإنها تكون من باب الفتنة له، والاستدراج وقد تكون من باب الاهانة أيضاً، ولا يشك في ذلك واحد من أهل العلم بالله، أو وقف على سنن الله في كونه[٢]. لقوله ﷺ : مَن أتى عرافاً أو كاهناً أو منجماً فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً، وما ذلك إلا من باب التحذير الشديد من التعامل معهم حتى ولو كان التعامل على سبيل المزاح، لأن هؤلاء القوم يشقى جليسهم، ومن ثم فلا تقبل صلاة من صار قريناً لهم، تلك المدة حتى يتوب إلى ربه ويحسن عمله، وحينئذ ربما بدل الله سيئاته حسنات لقوله تعالى : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا﴾[٣].

---

١) وقد أفاض في بيان ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه / أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكذلك الإمام / ابن الجوزى في كتابه / تلبيس إبليس وغيرهم ممن ذكر تلك الصور وألمح إليها.

٢) ويدخل في هذا النوع جملة الدجاجلة وأصحاب الرقى الذين يستخدمون الشطيان والسحر فهؤلاء جميعاً إنما يأكلون حراماً ويفعلون حراماً، فإذا تصادف أن وقعت إجابة دعاء واحد منهم بمثل ما دعا خيراً أو شراً، فلا يقع أحد في تصديقه أو الاغترار به.

٣) سورة الفرقان / الآيات ٧٠، ٧١.

كما أن من جلس إلى واحد من هؤلاء فصدقه بعد سؤاله إياه فإنما يكون قد خلع نفسه من دائرة الإيمان تماماً، بل صار في دائرة الكفر التي انغلقت عليه، دليل ذلك قوله ﷺ : "من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً أو منجماً فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"[1].

٨- أهل الكهف :

ذكر القرآن الكريم شأن فتية آمنوا بربهم، وتتطلعوا إليه وحده، وانعقدت نيتهم على اخلاص الوجه له والتحرر عما سواه، انهم فتية آمنوا بربهم فكافأهم الله خيراً، وزادهم هدى، فلما أيقنوا أن الحاكم فيهم ربما تمكن من صدهم عن التخلص من عوائق الدنيا والتفرد إلى الله عز وجل اجمعوا أمرهم على الهجرة، حتى يكونوا في مأمن على أنفسهم بحيث يعبدون الله عز وجل على وجه الاخلاص له تعالى.

فلما خلصوا إلى ربهم نادوه : ﴿آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾ فأجاب دعائهم، وصاروا في رحمة من عنده، بدليل أنهم مكثوا نياماً في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، قال تعالى : ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا﴾[2].

---

١) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه / جـ١٠ / ص٢١٧
٢) سورة الكهف / الآيات ٢٥، ٢٦.

ولـم تكـن هـذه السـنين الطويلـة بالقاضـية علـيهم مـع انقطـاع كافـة الأسـباب العاديـة عنهم مـن المطعـم والمشـرب والحركـة، وهـى كلهـا مـن ضـروريات الحيـاة العاديـة لكـن الله عـز وجـل أواهـم إلـى الكهـف حتـى جعلهم في رحمته هو، بعيداً عن عيون الآخرين وهيء لهم من فضله ما لا يمكن أن يهيئه غيره، وكانت الشمس عند طلوعها تزاور عن كهفهم في جهـة اليمين، وإذا غربت تفعل ذلك من جهـة الشمال فلا يصـيبهن البرد ولا يقضـى عليهم الحر، فلما مكثوا هذه المدة الطويلـة وعنايـة الله ترقبهم، ودعـائهم الخـالص تتـرا الاجابـة عليـه وقد وعدهم الله تعـالى أن ينشـر لهـم مـن رحمتـه ويهـيء لهـم مـن أمـرهم المرفـق الحسـن، والـذكر الجميل فقال جل شأنه : ﴿انهم فتيـة آمنـوا بـربهم وزدنـاهم هدى وربطنـا علـى قلـوبهم إذ قـاموا فقـالوا ربنـا رب السموات والأرض لـن نـدعوا مـن دونه إلها لقد قلنا إذا شـططا﴾[1] وذلك في أول الحدث عنهم، وفـى آخـر الحديث عنهم يقول جل شأنه : ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا علـيهم بنيانـا ربهـم أعلـم بهـم قـال الـذين غلبـوا علـى أمـرهم لنتخـذن علـيهم مسجدا﴾[2].

فصاروا هم القوم الذين سعد بهم كلبهم وخلد مع ذكره ذكرهم، بل ان المكان الذي آواهم برحمة الله صار هو الآخر مكرماً من عند الله يتلـى اسمه مع آيات القرآن الكريم ويـأتى حديثـه مـع هؤلاء الفتيـة والمؤمنين،

---

١) سورة الكهف / الآيات ١٣ وما بعدها.
٢) سورة الكهف / الآيات ٢١ وما بعدها.

وما ذلك إلا من الأدلة على أن الله عز وجل يجيب دعاء أوليائه الصالحين بما فيه الخير لهم ويرفع شأنهم[1].

---

١) الإمام النبهاني / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٤٢ وخلاصة قصة أصحاب الكهف كما ذكرها المفسرون : أن ملكاً جباراً يسمى دقيانوس ظهر على بلدة من بلاد الروم تدعى "طرطوس" بعد زمن عيسى – عليه السلام – وكان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان فلما رأى الفتية ذلك حزنوا حزناً شديداً وبلغ خبرهم الملك الجبار، فبعث في طلبهم، فلما مثلوا عند الملك توعدهم بالقتل، ان لم يعبدوا الأوثان ويذبحوا للطواغيت، فوقفوا في وجهه واظهروا إيمانهم وقالوا ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا﴾ فقال لهم : إنكم فتيان حديثه أسنانكم وقد أخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم، فهربوا ليلاً، ومروا براع معه كلب، فتبعهم، فلما كان الصباح أووا إلى الكهف وتبعهم الملك وجنده، فلما وصلوا إلى الكهف هاب الرجال وفزعوا من الدخول عليهم، فقال الملك : سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً، وألقى الله على أهل الكهف النوم فبقوا نائمين وهم لا يدرون : ثلاثمائة وتسع سنين، ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم أقاموا يوماً أو بعض يوم، وشعروا بالجوع، فبعثوا أحدهم ليشترى لهم طعاماً، وطلبوا منه التخفى والحذر، فسار حتى وصل البلدة فوجد معالمها قد تغيرت ولم يعرف أحداً من أهلها، فقال في نفسه : لعلى أخطأت الطريق إلى البلدة، ثم اشترى طعاماً، ولما دفع النقود للبائع جعل يقلبها في يده ويقول : من أين حصلت على هذه النقود؟ واجتمع الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويعجبون، ثم قالوا من أنت يا فتى؟ لعلك وجدت كنزاً؟ فقال لا والله ما وجدت كنزاً انها دراهم قومى، قالوا له انها من عهد بعيد، ومن زمن الملك دقيانوس، قال : وما فعل دقيانوس؟ قالوا : مات من قرون عديدة، قال والله ما يصدقنى أحد بما أقوله : لقد كنا فتية، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان فهربنا منه عشية أمس، فأوينا إلى الكهف، فأرسلنى أصحابى اليوم لأشترى لهم طعاماً، فانطلقوا معى إلى الكهف أريكم أصحابى.

فتعجبوا من كلامه ورفعوا أمره إلى الملك، وكان مؤمناً صالحاً، فلما سمع خبره، خرج الملك والجند وأهل البلدة، وحين وصلوا إلى الغار سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، فدخل الملك عليهم فرآهم يصلون، فلما انتهوا من صلاتهم عانقهم الملك وأخبرهم أنه رجل مؤمن، وأن دقيانوس قد هلك من زمن بعيد، وسمع كلامهم وقصتهم، وعرف أن الله بعثهم ليكون أمرهم آية للناس ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم، فقال الناس : لنتخذن عليهم مسجداً.

راجع الإمام الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٢ / ص١٨٣، ١٨٤، وأيضاً الشيخ سيد قطب / في ظلال القرآن والامام الطبرى جـ١٥ / ص٢١١.

ثانياً : اظهار طعام من غير سبب ظاهر

ذكرت آيات القرآن الكريم وبعض نصوص السنة النبوية المطهرة أن بعضاً من أولياء الله الصالحين أجرى الله لهم كرامات متنوعة، بعضها مما جاء فيه اظهار طعام على يد هذا العبد الصالح من غير سبب ظاهر لحصول الطعام، في نفس الوقت فإن الدلائل على أن هذا الطعام قد يكون في زمن جوع شديد، كما قد يكون في غير أوان ظهور ذلك النوع من الطعام(1).

ومن ثم فإن الحديث عن هذين الجانبين يستلزم تفصيل القول في كل منهما بخصوصه على النحو التالى :

١ـ ظهور طعام في زمن فاقة(٢) :

دلت السنة النبوية المطهرة على أن الصالحين يمدهم الله – تعالى – بمدد من عنده وقد يتنوع هذا المدد أنواعاً، ومن أنواع هذا المدد : ظهور طعام بين يدى هذا العبد الصالح في زمن تكون الحاجة إليه ماسة، أو وقت يندر مجيئ مثله، أو ظهوره بين يدى أحد من الناس.

---

١) لا يقال ان ظهور الطعام الآن لم يعد يتعلق بالفصول طبقاً للهندسة الوراثية حيث صارت الخضروات والفاكهة لا تنقطع طيلة العام، فلا يعد ما مضى كرامات؟ والجواب أن الكرامة تقاس بزمان وقوعها، كما أن الخارق لا يعتبر خارقاً ما دام عادياً، ومن ثم فإن ما جرى في الماضى كان خارقاً للعادة، وجريان مثله اليوم في العادة لا يقدح فيما ظهر في الماضى كما لا يكون صورة دليل لانكار وقوعه في الوقت الحاضر.

٢) الفاقة هى الحاجة الشديدة حيث يكون الناس في شدة كالحال مع عام المجاعة الذى كان في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسمى بعام المجاعة.

من ذلك ما ورد في السنة المطهرة فيما ذكره أبو نعيم في حليته : أن سيدنا خبيب بن عدى كان ضمن الرهط الذي بعثه رسول الله ﷺ تحت قيادة عاصم بن ثابت الأنصارى، وأثناء رحلتهم وقعوا في الفخ الذي نصبه لهم جماعة من الكفار من هزيل بين عسفان ومكة ورموهم بالنبل حتى قتل عاصم في سبعة نفر وبقى خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم ربطوهم في الحديد.

أما خبيب وزيد فقد انطلقوا بهم ثم باعوهم في مكة، فاشترى خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً وأجمعوا على قتله فاستعار شفرة من بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت : فغفلت عن صبى لى فدرج إليه حتى أتاه ووضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعاً شديداً عُرف ذلك منى، وفى يده الشفرة فقال : أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ان شاء الله : تقول : ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديدة، وما كان إلا رزقاً رزقه الله، فلما خرجوا به من الحرم، قال دعونى أركع ركعتين، فركع ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبقى منهم أحداً[١].

وهكذا يظهر الله الطعام بين يدى هذا الولى الصالح في الوقت الذي يعترف ساجنوه بأنه لا يوجد في مكة عنب، ولا هو زمانه ومع هذا يظهر بين يديه وهو في محبسه، فلو كان طليقاً ربما قيل انه سافر إلى حيث يوجد العنب ثم أحضره من هناك، أو لو كان طليقاً لقيل، انه أمكن له استعمال حيلة كما يفعل أصحاب الحيل[٢]، لكن لم يقع شيء من ذلك،

---

١) الامام البنهاوى : جامع كرامات الأولياء جـ١ ص٦١.

٢) وحينئذ لا يكون ولياً وإنما يكون صاحب حيلة.

فالرجل مربوط بأيديهم، ومحبوس بين جدران صنعوها بأنفسهم، وما تزال عيونهم ترقب موقعه في الأرض، ومع هذا يأتيه رزقه من عند الله، أفلا يدل ذلك على أنه ولى من أولياء الله، وأنه ارتضىَ الله رباً، فارتضاه الله عبداً، وأنه كان يتنسم القول : كفانى عزاً أن أكون لك عبداً، وكفانى فخراً أن تكون لى رباً.

ومن ثم فإن الله تعالى جعل الطعام بين يدى هذا العبد الصالح يظهر في غير أوانه رحمة من الله تعالى ولطفاً به واستجابة لنداء قلبه(١).

٢- ظهور طعام في غير أوانه :

ذكر القرآن الكريم أن مريم بنت عمران – رضى الله عنها – لما تسلمها نبى الله زكريا – عليه السلام – ووقعت في كفالته حرص هذا النبى على أن ينشيء تلك المكفولة من الناحية النفسية والجسدية، بمعنى أن يكفلها من كل الجوانب، وحتى تكون كفالته لها على أتم ما يكون، فبنى لها فوق المحراب غرفة مستقلة، وظل يتعهدها بما تستوجبه كفالة الصغير.

ولما كانت صالحة من عائلة مصطفاة(٢)، وفى نفس الوقت كانت هى صورة من صور الالتزام بما جاء به النذر(٣)، فكان زكريا – عليه

---

١) حيث لا يشترط أن يكون وقوع الكرامة بطلب من العبد الصالح لما هو على يقين من أن ربه يعلم سره ونجواه، ومن كان مثله فإن قلبه في رحاب ربه وأنوار ربه تتلألأ بين حنايا قلبه، وهو ما يعبر عنه بالعلاقة بين الخالق والمخلوق، أو وحدة الشهود لا وحدة الوجود.

٢) قال تعالى : ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العلمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ آل عمران ٣٤، ٣٥.

٣) إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى انك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس

السلام – يسأل الله لها التيسير، ويسأل له الإعانة على الكفالة، وفى نفس الوقت كانت مريم تسأل ربها الستر، وفوق ذلك كله جاءت عناية الله لتحتوى هذه وتلك من كل الجوانب، فكان نبى الله زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً متنوعاً منه : وجود فاكهة الشتاء وقت الصيف، والصيف في الشتاء، بمعنى أنها فاكهة تأتى في غير أوانها، كما وجد عندها هدوءاً نفسياً لم يعهد مثله فيمن حبس مثلها بجانب ما كان لها من هدوء قلبى ونمو جسدى مع الترقى في رحاب الإله العلى، مما يعد بحق صورة من صور القبول.

قال تعالى : ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لكى هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[(1)].

حيث أخبر رب العزة سبحانه وتعالى أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه أنبتها نباتاً حسناً أى جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين ... وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً، ولأنه كان زوج خالتها ومن ثم كانت في حضانة خالتها[(2)].

ولم تكن مريم – رضى الله عنها – ممن يدعى الولاية ولا ممن يدعى الكرامة، بدليل أنها لم تحل شيئاً من ذلك على دعائها على قبولها

الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ سورة آل عمران ٣٥، ٣٦.

١) سورة آل عمران / ٣٧.

٢) الإمام بن كثير / تفسير القرآن العظيم / جـ١ / ص٣٦٠.

ولا على عمران والدها، وإنما أحالت ذلك كله إلى قدرة الله العلى القادر وعلمه الشامل، وما يجرى في هذا القضاء الإلهى : ﴿قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1] وصيغة العبارة تجعل المرء يستشف ما في قلب هذه العبدة الصالحة، لقد أحالت الأمر الواحد إلى الله عز وجل في صورتين :

الأولى : متعلقة بطبيعة ما عندها - قالت هو من عند الله -.

الثانية : متعلقة بطبيعة القدرة الإلهية ذاتها والمشيئة الربانية بطبيعتها قالت ﴿ان الله يرزق من يشاء﴾.

ثم أحالت المقدار في كل ما سبق وغيره على سعة علم الله وشموله وقدرة الله وعملها النافذ وإرادة الله وما تحيط به من كل ناحية دليل ذلك قوله تعالى : ﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾[2].

فالحساب إنما يكون من طريق المحسوب لا من طريق الحاسب، لأن المحسوب هو الذي يعد أما الحاسب فهو الذي يفيض، والله عز وجل هو المقدر لذلك كله فهو الحاسب له لقوله تعالى : ما ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[3] وذلك كله مما يؤيد ما نحن بصدده وهو ظهور الطعام على أيدى الصالحين من غير أسباب تباشر ولا مسائل تعالج، ولا ظروف تدبر لقوله تعالى : ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾[4].

---

١) سورة آل عمران / ٣٧.

٢) سورة آل عمران / ٣٧.

٣) سورة النحل / ٩٦

٤) سورة الرعد / ٨.

٣- ظهور فاكهة من أشجار يابسة :

قص القرآن الكريم أن مريم – رضى الله عنها – لما اصطفاها الله – تعالى – لتكون أمًّا لنبى الله عيسى – عليه السلام – نفخة من روح الله، وآية على قدرة الله وعظمته، ودليلاً على أن الساعة حق وأن دنوها قادم لا محالة[١]، وأن الله عز وجل – يخلق الأشياء كما يشاء وينهيها أو يبقيها على ما يشاء، وأن الله عز وجل لما أراد أن تكون مريم هى أم عيسى – عليه السلام – بعث لها ملاك الوحى ليخبرها أمر ربها، قال تعالى : ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا﴾[٢].

لكنها نظرت إليه في قلق وترقب، إذ كيف يكون لها ولد وهى لم تعرف رجلاً قط ﴿قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا﴾[٣] إلا أنه طمأنها وأزال الخوف من صدرها حين أخبرها أن الذي كان يبعث لها الرزق في محرابها وجعلها تنموا في رضوانه هو الذي أرسل لها بذلك الخبر : ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا﴾[٤].

---

١) قال تعالى : ﴿وانه لعلم للساعة فلا تمترون بها واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ الزخرف / ٦١، قال العلماء : من فتح العين في ﴿وانه لعَلم للساعة﴾ قصد بذلك الأمارة الواضحة والدلالة المحددة، ومن قال بكسرها – العين - ﴿لعِلم للساعة﴾ قصد اليقين الذي لا ارتياب فيه، وكلا القراءتين صحيحة. راجع مفاتيح الغيب : م١٤ / ص٢٢٢.

٢) سورة مريم / ١٧، ١٨

٣) سورة مريم / ١٩

٤) سورة مريم / ٢٠، ٢١.

فلما انصاعت لأمر الله، وفوضت أمرها لحكمه – جل علاه – صارت تجرى الأمور على يديها كأنها مرادة منها، فحملته على أنه نفخة من روح الله، ثم ابتعدت به عن قومها[1] قال تعالى : ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً﴾[2] وشأنها كالشأن مع كل امرأة تخاف على نفسها وتخاف على وليدها، بل ان خوفها كان أكثر لما تعلمه عن قومها من رغبتهم المستمرة في قدح الأبرياء والنيل المتواصل من أهل العرفان بالله : ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾[3].

فأوت إلى ذلك الجذع اليابس لتختفى بظله عن عيون من يرقبونها وكأنها تقول لربها : جئتك كما أمرتنى، وسلمت نفسى إليك كما كلفتنى، وها أنا ذا أأوى إليك، وبين يدى جذع نخل بالٍ يضمنى، فماذا أنت صانع بى؟ مع أنى في كل ما تأمرنى مجيبة.

قال تعالى : ﴿فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً﴾[4] ومن ثم ظهر الماء العذب من الأرض الصخر، وكان جريان

---

١) الآراء في مدة حمل مريم – رضى الله عنها – بعيسى – عليه السلام – كثيرة :

١- من العلماء من يراها المدة الطبيعية المعتادة لدى كل النساء،

٢- ومنهم من يراها غير معتادة بناء على أن الحمل غير معتاد.

٣- ومنهم من ذهب إلى غير ذلك، والأرجح أنها المدة المعتادة وذلك لعدم ورود ما ينقض ذلك أو ينفيه من القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

، ولمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع راجع / الجامع لأحكام القرآن / للامام القرطبى تحت تفسيره لهذه الآيات، وكذلك تفسير الطبرى، والامام الرازى / مفاتيح الغيب.

٢) سورة مريم آية ٢٢

٣) سورة مريم آية ٢٣

٤) سورة مريم آية ٢٤

ذلك الماء بين يديها كالحال مع أم اسماعيل عليه السلام – رضى الله عنها – حين جرى الماء بين قدمى وليدها، والمشابهة بينهما في بعض الجوانب واضحة، فكل منهما امرأة، وكل منهما وحيدة، وكل منهما مستسلمة لأمر ربها، وكل منهما معها وليدها ولا شيء من متاع الدنيا يمكن أن يحسب معها، لكنها عناية الله، فأجرى الماء من تحتها كأنه نبع تشرب منه متى شاءت.

لكن هذا النبع يتمثل في الماء، فماذا عن الغذاء؟ هل يتركها ربها وهى أشد ما يكون حاجة إلى إشباع جوعها ورد رمقها، أم يتخلى عنها وهو الكريم المتعال الذي لا يغيب عنه شيء فى الأرض ولا في السماء.

لكن الله – عز وجل – قال لها : هزى إليكى بجذع النخلة اليابسة التي لا أغصان فيها ولا ماء ولا تمر، بل ولا قنوان، ومع ضعفها هل تستطيع أن تهز جذع نخلة يعجز الرجال الأشداء عن القيام به؟

والجواب : أن الله تعالى علمنا الأخذ بالأسباب، فلم يكن أمره لها بهز جذع النخلة إلا حركة من الحركات التي تصدر عن جسم الهاز لا جسم المهزوز، قال تعالى : ﴿وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا﴾(١).

ولم يقل عز وجل : وهزى جذع النخلة.

ثم انه تعالى رتب النتائج غير العادية على الأسباب الغير عادية أيضاً، وما ذلك إلا ليعطى درساً لأصحاب النهى في واقعتين بينهما الكثير من أوجه التشابه وهما واقعة ميلاد عيسى – عليه السلام – من

---

١) سورة مريم آية ٢٥.

غير أب، وواقعة ظهور الرطب الجنى من غير نخل باسق، قال تعالى : ﴿تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربى وقرى عينا﴾[1].

فكأنها أسقطت من رحمها نبى الله عيسى، وأسقطت النخلة اليابسة من رحمها الرطب الجنى، ولم يقل القرآن الكريم : "يسقط عليكى الرطب" حتى لا يظن ظان أنها نخلة مكتملة، وإنما قال : يساقط عليكى، للإعلام بأن ذلك كله إنما يتم بأمر الله تعالى فلما ظهر الرطب بين يديها، والنهر الجارى حتى تأكل وتشرب، فقد كان ذلك كرامة لها عند ربها[2].

ومن ثم فإن ظهور الرطب الجنى من جذع النخل اليابس إنما يمثل حضور أشياء غريبة من غير أسباب تباشر على وجه حقيقى بدليل أن مريم لم تزرع الجذع، كما أنها لم تتمكن من هزه، وإنما كان الزرع من الله والنتائج من عند الله، وكل شيء إنما تم بقوله تعالى : ﴿كن فيكون﴾ بدليل أن الله جعل براءة تلك المرأة وبراءة وليدها تجيء على لسان هذا الوليد، ومهما ألحف الخصوم أو تطاولوا في العداوة، فإن النتيجة قائمة في قوله تعالى : ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلمِ اليوم إنسيا﴾[3].

---

١) سورة مريم / ٢٥.

٢) ذهب العلامة السيوطى إلى أن الذين وقع لهم الكلام في المهد إنما هم أحد عشر وقد نظمهم شعر فقال :

تكلم في المهد النبى محمد ... ويحيى وعيسى والخليل مريم

ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لذى الأخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مر بالأمة التي ... يقال لها تزنى ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفى زمن المهدى المبارك يختم

راجع الشيخ / شهاب الدين أحمد بن حجازى الفشنى / تحفة الاخوان ص٣٠ / طبعة الحلبى الثانية ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م وقد عزى النقل عن الجلال السيوطى في كتابه قلائد الفوائد.

٣) سورة مريم الآيات ٢٦-٢٩

لكن من الذي تكلم عنها؟ بل من الذي دافع عن تلك البريئة ووليدها إنه الله عز وجل الذى أمرها أن تعلن للجميع من خلال حركة مفهومة نيتها الصوم نذراً لله عن الكلام واستعمال الإشارة بدل لغة العبارة : ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا[1]﴾.

لكن الله الذي خلقها وخلقه أجرى براءتها وبراءته على لسانه فنطق بعبارة محددة المعانى، سليمة المبانى : ﴿قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾[2].

وفى تقديري أن ظهور الفاكهة في غير أوانها قد تردد ذكره كثيراً على أنه من أنواع الكرامات التي يجعلها الله تعالى لأهل الولاية عنده، يستوى في ذلك أن يكون من جرت على يديه الولاية رجلاً أم امرأة في بادية أم في حضر، لأن ذلك كله من أنعم الله التي لا تحد، وعطاياه التي لا تنفد.

١) سورة مريم / ٢٩.

٢) سرة مريم / ٣٠-٣٣.



الفصل الثاني

الكرامات بين سماع الهواتف وجلب العروش

أولاً : سماع هواتف من الهواء :

أولياء الله – تعالى – لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وبالتالى فهو جل شأنه يحرسهم وبعنايته يحميهم، وبهديه يوجههم، يستوى في ذلك أن تكون الكرامة ظاهرة علانية، أو تكون خاصة بها دقيقة في أصحابها يقول "محيى الدين بن عربى".

تـرك الكـــرامة لا يكون دليلاً	فأصـخ لقولى فهو أقـوم قيلاً
ان الكرامة قد يـــكون وجودهـــا	خط المكرم ثم ســـاء ســـبيلاً
فاحرص على الـعـلم الذي كلفته	لا تـتـخـذ غـيـــر الإله بـديلاً
ستر الكرامة واجـــب مـتـحـقق	عند الرجال فلا تكن مخذولاً
وظهورها في المرسلين فريضة	وبـهـــا تنزل وحيه تنزيلا(١)

ومن هذه الكرامات سماع أصوات أو هواتف منقولة من المتكلم إلى أذن السامع مباشرة كأنهما يتهاتفان مع بعضهما أو يتشافهان من مكان واحد يقع فيه التناجي وتتردد بين جنبات مفردات الألفاظ والألحان(٢).

من ذلك ما نقل أن سيدنا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان قد أرسل جيش المسلمين في نهاوند، وبينما حاول العدو الضغط على المسلمين حتى أوشك أن يركب ظهورهم من الجبل، وبينما هم على تلك الحال، وكان عمر –رضى الله عنه – يخطب على المنبر إذا به يوجه حديثه إلى قائد جيش المسلمين في نهاوند، رغم ما بينهما من

---

١) الشيخ / يوسف النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٣٩.

٢) لمزيد من التفاصيل راجع / الشيخ يوسف النبهامى / حجة الله على العالمين، حيث تعرض فيه لذكر العديد من الأوجه التي تجيء على هذا الجانب.

مسافة طويلة – سارية الجبل الجبل – فسمع سارية صوت أمير المؤمنين، وكأنه يناجيه ويسر إليه، ومن هنا استطاع سارية أن يوجه بعض رجاله إلى الجبل فركبوه خلف أعدائهم حتى صار الأعداء بين جيشى المسلمين، وأمكن الله – تعالى – لهم في النصرة والغلبة، وذلك مما كثر مجيئه في المؤلفات الموثق فيها[1].

وليس ذلك ببعيد على عمر – رضى الله عنه – إذ كان في كثير من الأحيان مؤيداً، وينزل القرآن فيكون رأى عمر متوافقاً معه تمام التوافق[2]. وهذا مما يستشهد له بقوله ﷺ : "ان يكن في أمتى محدثون ففيهم عمر" حيث كان الوحى يأتيه في قلبه لا من خلال ملك، وإنما من خلال توفيق ربانى[3].

ويذهب العلامة "النبهامى" إلى أن المحدثين بالالهام صنفان :

١- صنف يحدثه الحق من خلف حجاب لقوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه على حكيم﴾[4]، وهذا الصنف له صفات كثيرة.

---

١) من ذلك : الرياض النضرة في مناقب العشرة / جـ١، وكذلك شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية ط الحلبى ١٩٣٨م.

٢) لا أقول ان القرآن ينزل تلبية لرغبات عمر وإنما أقول ان رأى عمر يصيب الحق ومن ثم فكأنه يتحدث من خلف حجاب.

٣) وقد ذكر العلامة النبهانى في كتابه / جامع كرامات الأولياء / باباً سماه : ومنهم – رضى الله عنهم – المحدثون، وذكر ما قاله بن العربى أن في زمانهم رجلاً يقال له أبو العباس الخشاب وآخر هو أبو زكريا البحائى وكان من المحدثين.

٤) سورة الشورى / ٥١.

٢ـ والصنف الثاني تحدثهم الأرواح الملكية في قلوبهم، وأحياناً على آذانهم وقد يكتب لهم القبول، وهم كلهم أهل حديث.

ومن هذا النوع الهواتف التي جاءت الصحابى الجليل عند سماع الآذان[١] وقد ذكر القرآن الكريم أن أم موسى – عليه السلام – ورضى الله عنها – قد سمعت الهاتف في قلبها وعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه وجاعلوه من المرسلين﴾[٢].

---

١) هو عبد الله بن زيد / حيث حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا عبد الوارث / حدثنا خالد الحذاء عن أبى قلابه عن ابن عمر رضى الله عنهم كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود فقال عمر رضى الله عنه : أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ قم يا بلال فنادى بالصلاة.

ولقد فرض الأذان في المدينة بعد الهجرة في السنة الأولى وقيل في الثانية ولقد رأى رؤيا الأذان في المنام الصحابى الجليل عبد الله بن زيد وفيها صفة الأذان ولكن بغير ترجيع وفيه تربيع التكبير وإفراد الإقامة وتثنية "قد قامت الصلاة" وفى آخره قوله ﷺ : "إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى فقم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى صوتاً منك ولقد رأى سيدنا عمر مثل رؤيا عبد الله بن زيد أنه رأى مثل ذلك وروى الإمام البخارى أن الحكمة من مجيء الأذان على لسان الصحابى عبد الله بن زيد أن النبى ﷺ سمعه فوق سبع سنوات وهو أقوى من الوحى فلما تأخر الأمر بالأذان عن فرض الصلاة وأراد اعلامهم بالوقت فرأى الصحابى في المنام فقصها فوافقت ما كان النبى ﷺ سمعه فقال : إنها لرؤيا حق وعلم حينئذ أن مراد الله بما أراد في السماء أن يكون سنة في الأرض وتقوى ذلك بموافقة عمر رضى الله عنه أن السكينة تنطق على لسانه وأيضاً في إعلام الناس به على غير لسانه ﷺ التنويه بقدره والرفع لذكره بلسان غيره ليكون أقوى لأمره وأفخم لشأنه. راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى للعلامة ابن حجر العسقلانى / جـ٢ ص٧٥-٨٢ / ط مؤسسة مناهل عرفان بيروت.

٢) سورة القصص / الآية ٧.

أى قذفنا في قلبها بواسطة الإلهام، وهو وحى إلهام[1].

وكذلك ألهم الله عز وجل أبو العباس الخشاب، وأبو بكر البحائى لما هو معروف من أن الصنف الذي تحدثه الأرواح، فإن الطريق إليه يكون بالرياضات النفسية والمجاهدات البدنية، لأن النفوس متى صفت من كدر الوقوف مع الطبع إلتحقت بعالمها المناسب لها، فأدركت ما أدركت الأرواح العلا من علوم الملكوت والأسرار ومن ثم فكل محدث من هؤلاء إنما يحدثهم الروح المناسب لهم[2].

وفى تقديري أن هذا النوع من الكرامات إنما هو ثابت متحقق، ما دام القرآن الكريم قد ورد به، والسنة النبوية المطهرة قد دلت عليه، وكثير من ذلك الذي جرى على أيدى الصديقين لا يمكن انكاره، لقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾[3].

فالصديقون هم الذين صدقوا بوحدانية الله ووجوده، وآمنوا برسله إيماناً راسخاً كاملاً لا يخالجه شك ولا ارتياب، وهم الذين جمعوا أعلى

---

١) الإمام القرطبى / الجامع لأحكام القرآن / ١٣ / ص٢٥٠، والامام البيضاوى / ٢ / ٨٨، وقال الإمام الرازى تحت تفسيره لهذه الآية : اختلفوا في المراد بهذا الوحى على وجوه : أحدها : المراد رؤيا رأتها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى – عليه السلام – في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالى لم يرده إليها. وثانيها : أن المراد عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة ... ويقال لذلك الخاطر أنه وحى، والثالث : المراد منه الإلهام ... وهو خطور رأى بالبال وغلبة على القلب / الإمام الرازى / مفاتيح الغيب / م١١ / جـ٢٢ / ص٥١، ٥٢.

٢) الإمام النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٨٤.

٣) سورة الحديد / آية ١٩.

المراتب فحازوا درجة الصديقية والشهادة في سبيل الله، فكل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد[1].

ولا يغيبن عن ذى بال أن تكلّم الناس عن طريق الهواتف القلبية قد أقرته النصوص الشرعية، كما دلت عليه المباحث العلمية، حيث ذكرت أن المرء متى تمكن من الغلبة على نفسه، والسيطرة على شهواته بالجوع والرياضة القلبية فإنه يكون مستعداً لقبول أفكار تلقى إليه، أو يتوقع ورودها عليه، وبالتالى يمكنه التعبير عن تلك الأفكار في شيء من الصدق[2]، وكل من استفاد بهذا الجانب كان له أثر كبير في تصديق أن ما تأتى به الهواتف القلبية يمكن أن يجيء مثله عن طريق الرياضات الروحية[3].

بل ان هذا النوع من الكرامات يدل على أن صاحبه يقع له الابتلاء مرتين وكل منهما تجيء معها ألوان النعيم، فالمرة الأولى يقع الابتلاء في شكلها، وتتحقق الكرامة بين أعطافها، حيث يكون هناك طرفان بشريان يسمع كل منهما الآخر وكأنه بجواره[4] وقد يكون أحد

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب جـ٢٩ / ص٢٣٢، والعلامة البيضاوى / ٤٥٣/٣.

٢) د. سبنسر كوك / الطب النفسى الحديث / ص١٨ ترجم له د. خيرى اسكندر / طبعة مؤسسة فرانك لين ١٩٩٥م.

٣) د. رؤوف عبيد مطول / الإنسان روح لا جسد جـ٢ / ص١٣١ ط دار النهضة ١٩٥٤م وراجع أيضاً / الشيخ طنطاوى جوهر / دراسات في الروح الإنسانية وأصحاب هذه المدرسة الروحانية أو مدرسة تحضير الأرواح لا ينكرون ذلك وإنما يقرون به.

٤) كالحال مع سيدنا عمر وسارية، حيث كان كل منهما يسمع الآخر ويحدثه كأنهما معاً يتهاتفان من خلال أحدث الأجهزة التي لا تعرف الأعطال.

الطرفين ملكاً مسخر يأتى من عند الله – تعالى – وقد يكون هذا المتحدث هو الطرف الآخر للنفس الإنسانية ذاتها، وهو ما يعرف بحديث النفس.

دليل ذلك : أن الصحابة – رضوان الله عليهم – قالوا يا رسول الله : إنا نُجدُ في صلاتنا ومع هذا يأتينا، فقال ﷺ ذلك صريح الإيمان[1]. كما أن هذا الوحى أو الهاتف قد يكون بعيداً عن حديث النفس، أو إنما هو حديث نفس لنفس، أو روح لروح، لما هو معروف من أن الأرواح تتلاقى فيحدث بينها وبين بعضها التلاقى وتبادل المعلومات، وربما أكثر من ذلك بحيث يقع القبول، كما يقع بينهم تبادل المعلومات حتى لكأنهما شخصان قد اكتملا من كل ناحية.

ويدل على ذلك قوله ﷺ : "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[2] وحكى عن أبى عبد الله الضجاعى[3] أنه كان من أهل المهاتفة، وأنه كان يحفظ ما سمعه في المرة الواحدة كثر أو قلَّ حتى قيل : أنه حفظ كتاب الهداية في مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان – رضى الله عنه – لمجرد سماعه مرة واحدة[4].

وفى تقديري أن هذا الجانب فيه الكثير مما يمكن تصديقه لا لمجيئه من طريق صحيح فقط وإنما لانضمام قرائن أخرى إلى هذا

---

١) العلامة / خيرى الدين محمد بن باطيس / إثبات كرامات الأولياء / جـ! / ص٨٧ المطبعة الخلوتية / ١٣١١هـ.

٢) الحديث رواه البخارى في صحيحه / جـ ٣ / ص١٢١٣.

٣) نسبة إلى قرية ضجاع وهو معروف لدى الصوفية باسم : الضرير، لأنه ولد أعمى مطموس العينين لا شق لهما، وكان إماماً كبيراً ، عالماً عارفاً كاملاً انتفع به جمع كثير من الأنام وتخرج به جماعة من العلماء والأعلام.

٤) العلامة / يوسف النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٩٥.

الطريق كلها تؤيده، والمعروف أن الآحاد في رواياتها تعضدها الأمور المشاهدة والمسموعة في نصوصها الصادقة في أحوالها، وقليل منها ذلك الذي يرد، لا لكونه جاء من طريق صحيح فقط وإنما لكونه حمل أوجه هدمه معه، فإذا اختلط فعل هذا مع فعل الثاني وقع التمايز بأن هواتف الرحمن تدفع للخير وتصد عن الشر، أما هواتف الشيطان فإنها على العكس من ذلك، تصدر عن فعل الخير، وتنقلب إلى فعل الشر، حتى لكأن القائم بها قد فقد الأصول التي يمكنها الاعتماد عليها[1].

مثال ذلك : ما حكى عن الشيخ طرحون أنه كان يقول : سمعت الجن والملائكة تخبط خبطاً شديداً، ثم أصغيت إليهما وقلت فيم يتنازعان؟ فقالا لى : إنك مهدى الأمة وكل منا يريد السبق إليك ليحدثك، فقلت لهما حدثانى بالترتيب النورانى، وأن يسبق كل منكما حرف هجاءه، فكانت الجن أسبق الحديث معى ثم كان الملائكة يوالون بعدهم[2].

بينما ذكرت المصادر الموثوق بها أن أبا عبد الله بن مرزوق لم يكن له نظير في زمانه : قال : رأيت في النوم نوراً نزل من السماء كالعمود ثم انتبهت فرأيته كذلك حال اليقظة، وإذا بى أسمع سماعاً في رباط الشيخ محمد هذا وأرى النور في تلك الجهة أيضاً، فجئت محل السماع فرأيت النور متصلاً بالشيخ وأينما دار دا رمعه[3].

---

١) المنتسبون إلى بعض فرق الصوفية وليسوا منهم قد يحاولون التلبيس على العوام بادعاء كرامات الهواتف النفسية، ولكنهم ما يلبثون أن يفضحوا أنفسهم.

٢) الشيخ / محمد بن على الدين الطرهونى / من فضائح المتشبهين بالصوفية ص١٨١ ط الدار المصرية القديمة ١٣١٨هـ.

٣) الإمام / يوسف النبهانى / جامع كرامات الأولياء / جـ١ / ص٢٣١.

وفى تقديري أن الفارق الذي ذهبت إليه يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأن أولياء الرحمن لا يزعمون لأنفسهم شيئاً، وإنما يؤكدون على مجيء الأمور كلها بأمر الله، لما هو معروف من أن ولى الله يكون أخشى ان أفصحت فضحت، وأخشى ان أعلنت حرمت، وذلك من آداب أهل التصوف وأصحاب الأعمال الصالحة، والنفوس الكريمة ولا يحسب ما يخالف ذلك عليهم، كما لا يعد المخالف صاحب حق في الطعن عليهم.

ثانياً : بطلان الأسباب العاملة :

المعروف لدى العقل أن هناك أسباباً متى تلاقت مع بعضها كانت النتائج تتعلق بالايجاب أو السلب طبقاً لاقتران السبب بالمسبب في الأمور العادية، أما ان توجد الأسباب ولا تكون عاملة، فذلك خارج نطاق الأمور العادية وهذا مما يفتح الباب لخوارق العادات بناءً على أنها إنما تقع لما هو ليس مألوفاً، إذ المألوف يكون عادة قائمة على الضرورة العقلية، والارتباط بين الأسباب والمسببات العادية أما ما يكون بخلاف ذلك فالأمر مختلف تماماً بدليل

أ) ما حدث مع أبى مسلم الخولانى أن النار لم تحرق ذلك الصحابى الجليل والذى أنكر دعوة الأسود العنسي للنبوة في اليمن وعندما سأله : أتشهد أنى رسول الله؟ قال الخولانى : لا أسمع، قال له الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال الخولانى : نعم، وكلما أعاد الكذاب السؤال أعاد الخولانى الجواب، فاغتاظ الكذاب الأسود وأمر بنار فألقى فيها الخولانى.

وانتهت النار حتى خمدت ولم تحرق الخولانى، وخرج منها سالماً بإذن الله تعالى يضحك كرامة له، ولذلك حينما رآه سيدنا عمر – رضى الله عنه – فرح به وسُرّ واعتنقه وبكى وراح يجلسه بينه وبين

الصديق ويحمد الله أن جعل من أمة محمد ﷺ من ينجيه الله من النيران كما نجى خليل الرحمن[1].

ومن هذا يتضح أن أبا مسلم كان صاحب كرامة له عند الله تعالى – منزلة – حيث وقفت النار عن أسبابها العادية إلى أسباب غير عادية، وذلك من شأنه أن يوقظ في النفوس الرغبة الجديدة لبحث هذه المسائل – خوارق العادات – من جوانب عديدة، وفى نفس الوقت يؤكد على أنه مهما تلاقت الأسباب والمسببات فإن النتيجة هى إمكانية تخلفها.

ويؤكد ذلك النصوص الموثقة، والوقائع المشاهدة بدليل أن سيدنا عمر – رضى الله عنه – لما قابل أبا مسلم قال : الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد ﷺ من يفعل به كما فعل بخليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – حينما ألقى في النار، فقال الله للنار ﴿كونى برداً وسلاماً على إبراهيم﴾[2]. وكأن الله تعالى قال للنار أيضاً – كونى برداً وسلاماً على أبى مسلم الخولانى لما بين الرجلين من تشابه واضح في صورة العذاب التي وقعت على كل منهما.

ربما يقال : ان خليل الرحمن كان نبياً، أما أبو مسلم فلم يكن نبياً، فعدم احراق النار لإبراهيم كان معجزة، أما عدم احراق النار لأبى مسلم فعلى أى جهة يصنف[3]؟!

---

١) الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير / أقباس من نور الحق جـ١ ص٢٨٩ ط مجمع البحوث الإسلامية / ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢) سورة الأنبياء / ٦٩.

٣) هذا مما يمكن وروده على العقل وليس إلى دفعه من سبيل سوى التفكير العلمى الهادف والوقوف على النصوص الشرعية في كثير من العبر وحسن المعالجة.

والجواب : أن عدم احراق النار لإبراهيم - عليه السلام - كان معجزة، ولا ممانعة في ذلك، لكنها جاءت مع أبى مسلم الخولانى من باب الكرامة ولا ممانعة في ذلك أيضاً، لأن الجهة منفكة بينهما، فخليل الرحمن وقع التحدى عليه بعدم احراق النار أو بالاحراق، أما أبو مسلم فلم يقع شيء من التحدى بدليل أن الأسود العنسى الكذاب ما كان يفعل ذلك إلا عندما تأكد له وقوع الإغاظة من أبى مسلم، فلو لم يكن الأسود العنسى على يقين من أن الخولانى شخصاً عادياً، ما كان قد أمر بإلقائه في النار، ولكنها عادة الحمقى الذين تغلب عليهم نزعاتهم، وتستعبدهم شهواتهم فتطفيء وجه الصواب أمام عيونهم بحيث لا يدركون إلا الوهم الكاذب، والفعل الخاطيء والأعمال الاجرامية، والله عز وجل بيّن أنهم الأخسرون أعمالاً. قال تعالى : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾ .

بل لا أغالى إذا قلت أن الخولانى كان يستتر من هذه الكرامة ولا يحكيها، وإذا حكيت عنه كان يحاول التهرب من سماعها أو ترديدها، بل ما كان يفكر أبداً في أن يزيد عليها، وذلك من شأن أولياء الله الذين يمدهم الله بمدد من عنده بحيث يكون هذا المدد زاداً لهم يتزودون به لقوله تعالى : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب﴾(٢).

ربما ظهر مثل أبى مسلم كثيرون، لكنا لم نقف عليهم، ولم نعرف أخبارهم لأمر يعلمه الله - عز وجل - أو رغبة في ستر ذلك عن الناس

---

١) سورة الكهف / الأيات ١٠٤-١٠٦.

٢) سورة البقرة / الأية ١٩٧.

حتى يحصلوا على أكبر قدر من الثواب والأجر، أو أن الله سبحانه قد أكرمهم به، لكنهم لم يفصحوا عنه طلباً للمزيد منه ويكون شأنهم شأن من ذاق قيمة ما عمل، ويطلب المزيد حتى يظل في هذا الطلب قائماً لا ينقطع.

ب) ما حدث مع أبى مسلم الخولانى من عدم تأثير السم فيه :

حيث ذكرت كتب الآثار أن أبا مسلم الخولانى كانت له جارية، وأن هذه الجارية أرادت أن تتخلص منه، ورأت أن أقرب طريقة لهذا التخلص هى أن تسقيه سماً، فراحت الجارية تسقيه السم، ولا يؤثر فيه، فلما فاض بها الكيل قالت له، يا صاحبنا إنى أضع السم لك في مطعمك ومشربك فلا تموت فلم هذا؟

قال : وما حملكى على فعل ذلك؟ فقالت لأنك صرت شيخاً كبيراً وتحتاج خدمة كثيرة، فأعتقها ثم قال لها : أما وانكى كنتى تفعلين ذلك معى فإنى أقول عند كل أكل أو شرب : بسم الله الرحمن الرحيم، ومن ثم فلم يكن السم ليضرنى[1].

فدل ذلك على أن "بسم الله الرحمن الرحيم" كانت لها بركة، وأن هذه البركة كانت تمنع تأثير السم حتى لا يقع على هذا الرجل الكريم، وكيف لا وما كان يأكل إلا ببسم الله الرحمن الرحيم، ولا يشرب إلا بها،

---

١) الشيخ / شهاب الدين أحمد بن حجازى الفشنى / تحفة الاخوان / ص٩، ١٠ ط الحلبى.

والرسول الكريم ﷺ قال : كل امر ذى بال لا يبتدىء فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع[1].

جـ) ما حدث مع سيدنا خالد بن الوليد – رضى الله عنه – :

ذكرت كتب الآثار أن سيدنا خالد بن الوليد – رضى الله عنه – حاولت امرأة يهودية أن تدس له السم وقد فعلت ذلك، فكان يشرب السم من غير أن يعلم أنه سم لكنه كان في كل مرة يقول : "بسم الله الرحمن الرحيم" فما أثر السم في بدنه أبداً، ثم اغتاظت المرأة من ذلك فقالت له : يا خالد : إنى أضع السم لك في كل مرة تأكل أو تشرب ومع هذا لم يقع شيء من الضرر عليك فماذا تفعل حتى تتجنبه، قال لها : انكى كنتى تضعين السم تقصدين ضررى وأنا أقول "بسم الله الرحمن الرحيم" أعتمد على ربى، ولا شك أن اعتمادى على الله تعالى كان يبطل مفعول عملك، قال تعالى ﴿ما جئتم به السحر ان الله سيبطله﴾[2].

---

١) ومعنى أقطع أنه ناقص غير تام فيكون قليل البركة، أو لا بركة فيه أصلاً وقد نظم بعض أهل العلم المسائل التي تسن فيها التسمية فقال :

وتسمية الرحمن جل جلاله	لنا شرعت فاحرص عليها وواصل
كذى الأكل والشرب اللذين تجملا	وغسل بها حال الطهور الغاسل
وعند ركوب جاز في الشرع فعله	على البر أو في البحر ثم لداخل
إلى مسجد أو بيته وللبسه	ونزع واغلاق باب المنازل
واطفاء مصباح ووطء حليلة	له وصعود منبر غير حالم
وتغميض ميت ثم في اللحد جعله	خروج من المرحاض ثم لداخل
وعند ابتداء للطواف بكعبة	لها شرف الرحمن تشريف عادل
وعند وضوء ثم عند تيمم	ونحر فواظب كالحبيب المواصل
وبعد صلاة الله ثم سلامه	على المصطفى المختار خير الأفاضل

راجع / تحفة الاخوان / الشيخ / شهاب الدين أحمد بن حجازى الفشنى ص٩٢٨ ط الحلبى / ١٣٧٢/٢ / ١٩٥٣م.

٢) سورة يونس / ٨١.

والشاهد هنا هو عمل المفسدين، ولما كان دس السم للرجل البريء يمثل عدواناً عليه وعملاً فاسداً يجب تجنبه عنه، فإن الله سبحانه العليم به كان يبطل عمل ذلك كله بقوله للشيء : ﴿كن فيكون﴾ والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة، بل ان أخبار هذه الكرامات أكثر من أن تحصى[1].

بل ان هذه الكرامات إنما كانت مشهورة، وقد أفاض في ذكرها أهل العلم بالله، والذى أعنيه هنا أنها لا تنقطع، ولن تنقطع، لأن الذي يفيض بها هو الله رب العالمين، وما كان لله، أو من الله فإنه يتصل أبداً، وفى الحديث : "ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل".

ثالثاً : جلب عروش بعيدة :

ذكر القرآن الكريم أن نبى الله سليمان بن داوود عليهما السلام قد بلغه نبأ قوم يعبدون الشمس، وأن هؤلاء القوم يعيشون في نوع من الترف والمتع، فلما أخبر خبرهم بلغه أمر نشر الدعوة فيهم إلى الله – عز وجل – فأرسل لملكتهم خطاباً يدعوها وقومها إلى الله رب العالمين، ويبين لهم جميعاً أن عاقبة الكفر بالله تحيق بأصحابها مهما كانت مواقعهم، ومهما أوتوا من قوة وكان مفتتح كتابه : ﴿انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلو على وأتون مسلمين﴾[2].

ويبدو أن هذه الملكة قد أوتيت شيئاً من رجاحة العقل، بدليل أنها لما ألقى إليها الكتاب[3] لم تتخذ قراراً عنيفاً أو متسرعاً، وإنما لجأت إلى أولى الأمر من قومها تسألهم المشورة، ويبدو أن هذا الجنس من

---

١) راجع : الرياض النضرة في مناقب العشرة / جـ١، ٢ ففيهما تفاصيل كثيرة عن هذا الجانب المتعلق بنوع الكرامات، وكثيراً منها جاء على أيدى أولئك الكرام من الذين بشرهم الله وبشرهم رسوله بأن لهم الجنة.

٢) سورة النمل / آية ٣٠.

٣) كان الذي يحمل هذا الكتاب إليها هو الهدهد الذي بعثه سيدنا سليمان ليقوم بدور تسليم الخطاب لأولى الشأن، ويا لها من روعة في دقة التبليغ وعظمة الأمانة، قام بها حيوان، وكأنه يعطى درساً لأصحاب العقول الذين يخونون الأمانات ويعرضون أنفسهم وبلادهم للخراب والدمار بغية حفنة من الرشاوى تزول بزوال منافعها.

المستشارين لم يكونوا أقل وفاءً أو حكمة منها، فحاولوا تثبيت قلبها، وفى نفس الوقت التأكيد على أن ما تتخذه هى سيكون قراراً مقبولاً : ﴿قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليكى فانظرى ماذا تأمرين﴾[1].

بيد أنها راحت تعرض عليهم ما تتوقعه، وأن من شأن الملوك الفاسدين تدمير ما تقع عليه أيديهم واذلال أفراد تلك البلاد[2]، ولم تكن تعلم أن سليمان يخالف هؤلاء تماماً، وكانت عادة تلك الملوك الفاسدين أن يقبلوا هدايا أو رشاوى تحد من أطماعهم، أو تكشف أخبارهم وكما نقول : تكون الهدية بمثابة جس نبض والتعرف على الاتجاه العام عندهم، وكان الذين يحملون الهدية هم الذين يستطيعون تفهم نفوس من أرسلوا إليهم : ﴿قالت ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾[3].

فلما جاء المرسلون من قبل تلك الملكة بهديتها إلى نبى الله سليمان فزع منهم، لأنه رسول، وليس من شأن الرسول أن يقبل التنازل عن دعوته مهما كان الشأن، كما يرفض المساومة فيها على أى ناحية كانت هذه المساومة[4].

---

١) سورة النمل / ٣٣.

٢) لقد كانت تلك العادة منتشرة في بلاد فارس، كما هى منتشرة في الكثير من البلدان العربية، ومملكة سبأ التي كانت باليمن لم تكن بعيدة عن هذه الاتجاهات، ومن ثم فكانت المرأة تحكى عن الوقائع التي تسمع عنها أو عايشت بعضها.

٣) سورة النمل / ٣١.

٤) دليل ذلك قوله ﷺ : يا عمى والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه / راجع العلامة الحافظ الذهبى / تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام / جـ٢ / والسنة النبوية ص١١٨ / تحقيق حسام المقدسى / تقديم د. عبد الحليم محمود.

قال تعالى : ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾[1].

فكانت رسالته هذه بمثابة اعلان حرب على الكفر والكافرين، وتبرئة من الطغاة والطاغين، وفى نفس الوقت جمع مستشاريه في الأمور السياسية والاقتصادية والعسكرية[2]، ويعدهم لما قد انتواه القيام به، وهو ما يعرف بلغة اليوم تحت اسم المخابرات العسكرية، أو الطابور الخامس الذي يعمل خلف الخطوط، بدليل أنه طلب من هؤلاء المستشارين أن يجتهد كل منهم في اتيان سيدنا سليمان بعرش تلك المرأة قبل أن يجيء أهلها إلى سليمان حتى يكون ذلك أوقع في نفوسهم وأكثر وضوحاً، على أن سليمان ليس من ملوك الدنيا، وإنما هو نبى من قبل الله تعالى فقال أيكم يستطيع إتيانى بعرش تلك المرأة وهنا تبارى الجن والانس كل منهما يحاول افراده القيام بهذا الدور، فقال عفريت من الجن أستطيع اتيانك به قبل أن تنتهى جلسة اليوم[3].

---

١) سورة النمل / ٣٦، ٣٧.

٢) حيث لم يكن في الماضى النبى إلا ليكون مبلغاً، ثم يأتى ملك مع النبى بحيث يكون قائداً فكانت تلك العادة في بنى إسرائيل قائمة دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين . وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ سورة البقرة الآيات ٢٤٦-٢٤٨.

٣) وكانت عادة سليمان عليه السلام أنه إذا جلس في مجلسه للحكم تطول الجلسة من طلوع الشمس حتى العصر فكانت معروفة عند الجميع بمدتها. راجع العلامة الصابونى / صفوة التفاسير / جـ٢ / ص٤٠٩.

قال تعالى : ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين﴾[1].

هنا يبرز دور واحد من أولياء الله من بني الانسان هو : آصف بن برخيا الذي كان يعلم الاسم الأعظم، وكان يعلم أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً إنما يستطيع أن ينفذه لقوله : ﴿إنما قولنا لشيء اذ أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[2].

فقال هذا الرجل : وأنا يا نبي الله أستطيع أن آتيك به كاملاً غير منقوص وفي لحظة قليلة جداً، ومن ثم بان لسيدنا سليمان تنافس الانس والجن في القيام بخدمته تنفيذاً لأمر الله عز وجل – فدعا آصف بن برخيا الله عز وجل أن يقدره على ذلك فتحقق رجاؤه، فما ان فتح سليمان عينيه ثم غمضها إلا ورأى العرش مستقراً عنده، فما كان منه ومن آصف بن برخيا إلا أن أعلن كل منهما وأهل الإيمان بالله معهما "هذا من فضل ربي" قال تعالى : ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[3].

وكان آصف بن برخيا من الأولياء المتمكنين من الولاية الذين لا يستطيعون اللعب بالحيل أو ادعاء الملكات أو من ثم استجاب الله دعاؤه

---

١) سورة النمل / ٣٨، ٣٩.
٢) سورة النحل / ٤٠.
٣) سورة النمل / ٤٠.

وحقق رجاؤه وأمكنه أن يأتي بعرشها من مملكة سبأ إلى حيث يقيم سليمان رغم ما بينهما من مسافة بعيدة[1].

بيد أن نبي الله سليمان أرد التمويه على المرأة وبخاصة بعد أن علم بقرب خطواتها من قصره، فقال : غيروا لها بعض معالم عرشها، وكأنه يريد أن يعرف هل المرأة حصيفة رزينة تستطيع أن تميز بين الأشياء، أم أنها من الملوك الذين يتوارثون العروش حتى ولو كانوا من ضعاف العقول أو قليلي الخبرة في الحياة، قال نكروا لها عرشها وانظروا أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون، ويبدو أن فراسة سيدنا سليمان قد تحققت، وأن المرأة كانت حصيفة ذكية تضع الحلول المتبادلة ولا تتمسك بوجهة نظر واحدة[2].

فلما رأت ذلك العرش الذي أحضر آصف وهو عرشها، قيل لها هكذا عرشك؟ فنظرت المرأة إليه ملياً، ولم تقل انه هو، إذ لم يدر بخيالها أن يكون لسليمان أو أحد من أتباعه شيء من القدرة على الاتيان بذلك فقالت كأنه هو، بيد أنها لما رأت منح الله على سيدنا سليمان أعلنت ظلمها لنفسها، لأنها عاشت في الكفر سنوات، ثم أعلنت مرة ثانية استسلامها لله، وتسليمها قلبها وعقلها لله رب العالمين : ﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾[3].

---

١) الإمام البيضاوى / ٢ / ص٨٣ ، ومختصر تفسير بن كثير / جـ٢ // ص٦٧١، والعلامة القرطبى جـ١٣ / ص١٩٤.

٢) وما أجمل أولئك الذين يضعون الحلول البديلة للمشكلات التي يتعرضون لها، بل وما أجمل ذلك السلوك حيث يفضى بأصحابه إلى دعم فكرى وعقلى كما يسمح للمتعاملين معهم بأن يرفعوا من درجات التعامل إلى أعلى مستوى.

٣) سورة النمل / ٤٤.

أى ظلمت نفسى بالشرك وعبادة الشمس وتابعت سليمان على دينه فدخلت في الإسلام مؤمنة برب العالمين، وقال الإمام بن كثير : ان سليمان عليه السلام اتخذ قصراً عظيماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبى كريم، وملك عظيم وأسلمت لله عز وجل(١).

وفى تقديري أن آصف بن برخيا كان ولياً من أولياء الله، سواء استطاع أن يأتى بالعرش الملكى لبلقيس أم استطاع الاتيان بشيء آخر، لأن حدود الولاية لا تقف عند مقاييس بعينها ما دامت تلك الحدود قائمة في خرق الله لها، وإقدار العبد على الاتيان بها، كما أن حدود جريان الخوارق على أيدى الأولياء ليست محددة بشيء اللهم إلا أن تكون قائمة على دعوى غير النبوة، وحينئذ تكون عملاً من أعمال الشيطان لا هداية من هدايات الرحمن.

وموضع الاستشهاد هنا هو : أن إجابة الله لدعاء آصف بن برخيا كانت على كل ناحية، بدليل أن العرش كله قد جيء به، وأن المدة التي جاء فيها ذلك العرش لا حسبان لها في الزمان، إذ ما قيمة طرفة عين في حسبان هذه المدة(٢).

يقول الإمام الرازى تحت تفسيره لقوله تعالى : ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ إما أن يراد بذلك المبالغة في السرعة، كما تقول

---

١) العلامة ابن كثير : مختصر تفسير القرآن العظيم / جـ٢ / ص٦٧٤، والعلامة القرطبى : الجامع لأحكام القرآن / جـ١٣ / ص١٩٥، والامام الرازى / مفاتيح الغيب / م١٢ / جـ ٢٤ / ص١٩٦-١٩٨.

٢) وهذا يدل على أن الله عز وجل يمكن الولى من إبراز نعمة الله عليه حتى تكون شاهدة له أمام الجميع وبخاصة أولئك الذين قد يتشككون فيها، أو يعملون على إثبات وقوعها لأن ما جرى في فعل الله عز وجل يكون هو القاعدة الثابتة والحكم العام الأكيد.

لصاحبك : أفعل ذلك في لحظة، أو نجريه على ظاهره، والطرف تحريك الأجفان عند النظر، فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المرئ وإذا أغمضت الجفن فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين، فهذا هو المراد من ارتداد الطرف.

ثم يطرح الإمام الرازى سؤالاً ويجيب عليه قائلاً : "وههنا سؤال : وهو أنه كيف يجوز والمسافة بعيدة أن ينقل العرش في هذا القدر من الزمان، وهذا يقتضى إما القول بالطفرة، أو حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين، والجواب : ان المهندسين قالوا : كرة الشمس مثل كرة الأرض مائة وأربعة وستين مرة، ثم ان زمان طلوعها قصير، فإذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان القدر الذي بين الشام واليمن كانت اللمحة كثيرة، فلما ثبت عقلاً إمكان وجود هذه الحركة السريعة، وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال[1].

ولا شك أن أنواع الكرامات قد كثر الحديث عنها بالنسبة للمثبتين لها وقد عدها البعض عدداً كبيراً، فالتاج السبكى يذكر ما يزيد على عشرين نوعاً، ثم يأتى صاحب الطبقات الكبرى ليؤكد عليها ويضيف إليها، ثم يأتى صاحب جامع كرامات الأولياء وينقل عن الإمام المناوى وغيره من الإمام محيى الدين بن عربى أنواعاً وعجائب تصل إلى ما يزيد عن خمسين نوعاً، وبضهم ذهب إلى أنها تربوا على المائة[2].

وفى تقديري أن هذه الأنواع تأتى تحتها أجزاء أو دلالات تؤكد على إمكانية تنوع هذه الأنواع أيضاً، وذلك من شانه الاقرار بأن حصرها في أنواع يمثل مبالغة كبيرة، والأولى أن يقال ان هذا العدد ليس

---

١) الإمام الفخر الرازى / مفاتيح الغيب / م١٢ / جـ٢٤ / ص١٩٨.

٢) العلامة / يوسف النبهانى / جامع كرامات الأولياء / ص٤٨-٥٤.

للحصر النوعى أو العددى، وإنما هو حصر قصد به تحريك العقول نحو الكرامات والتأكيد على ان اثباتها هو الواجب الشرعى الذي تظاهرت الأدلة معه، ومن ثم فإن هذا التنوع والكثرة من الأدلة التي تنهض مع المثبتين للكرامات، وفى نفس الوقت تقف حجر عثرة في وجه المنكرين لها لأن تأويل هذه الكرامات والطعن عليها يمثل مشكلة كبرى من حيث أنها قامت على أدلة نقلية قد ورد بها القرآن الكريم أو جاءت في الحديث الشريف، وبالتالى فإن نقلها على طريق آخر من طرق الأخبار يبين أو القصاص وأصحاب الآثار إنما يدعم الأصل الذي قامت عليه وهو النقل المنزل، بل القاعدة قاضية بأن المثبت مقدم على النافي، وأن من عنده دليل يقدم على من لا دليل عنده، كما أن الإثبات يمثل حقيقة واقعة على ناحية من النواحى، أما النفي فإنه اعتراف بصحة الموجود ووقوعه والطعن عليه فيه اعتراف آخر بصحة المثبت لا بنفيه.

الخاتمة

المعروف أن كل عمل علمي له بداية تتمثل في مقدمته وله نهاية تتمثل في خاتمته، وكل خاتمة لابد وأن تكون مشتملة على أهم النتائج التي أمكن الوقوف عليها، حتى قالوا : إن الخاتمة تلخيص دقيق لأهم ما وقفت عليه الدراسة في موضوع البحث ومسائله وغاياته ومناهجه.

وجرياً على تلك العادة المستقرة لدى الكثيرين من الدارسين، فإن نتائج هذه الدراسة، أو خاتمة هذا البحث تجيء فيما يلي :

أولاً : أن القضايا الكلامية لم ينقطع الحديث فيها، وما أظنه سينقطع، وذلك لأنها قضايا يحاول كل مفكر أن ينال منها وأن يساهم في بنائها، ولما كان الناس متباينين في اتجاهاتهم الفكرية وأنماطهم الحياتية، وتوجهاتهم العقلية فمن المناسب أن يجد المرء تبايناً في النتائج التي وقفوا عليها أيضاً.

ثانياً / أن خوارق العادات لا تمثل قفزاً على الناتج العقلى، بمعنى أنها لا تخرق العقل حتى يحتج عليها به، وإنما هى تعبر عن خارق للسنن الكونية بإرادة الله أيضاً فكل منهما – ثبات العقل وخرقه – إنما يجيء من عند الله عز وجل.

ثالثاً : أن بعض الخوارق يأتى للتأييد كالمعجزة والكرامة والإرهاص والمغوثة والمعونة والفراسة، وكلها تتميز عن بعضها، وفى نفس الوقت فإن هذا التأييد يكون من قبل الله لا باستحقاق ممن وقع له أو جاء على يديه.

رابعاً : أن هناك بعض الخوارق جاءت للتكذيب والتحقير بجانب الإذلال والاهانة، ولا شك أنها في مجملها تفرض على من تظهر على يديه بأنه كاذب وأن الله ابتلاه بهذا ليظهر كذبه وفجوره، وما يرد على طريقة كالحال مع الاهانة والاستدراج، وأن ما يجيء مع السحر فإنما هو من قبيل ما يمكن تعلمه ويدخل في دائرة الأحكام الشرعية، وأعنى بها الحل أو الحرمة، الكراهة أو الندب والاباحة.

خامساً : أن الكرامة لها أصل في اللغة العربية، ولها دلالة مؤكدة في القرآن الكريم وبناءً عليه فلا يمكن اعتبار كرامات الأولياء من الأفكار الواردة على البيئة الإسلامية.

سادساً : أن أهل الإسلام يحرصون على قضاياه، ويعملون على بذل المجهود حول مسائله فمن أنكر الكرامات إنما قصد جانباً معيناً وهو عدم التباسها بالمعجزات التي تقوم عليها مسألة صدق النبى في دعواه أنه مبلغ عن الله، ومن أثبتها فإنما غايته التأكيد على استمرار الفعل الخارق وابعاد الحتمية العقلية والضرورية السببية عن أفعال الله تعالى، ولكل وجهة حاول الدفاع عن الإسلام من جهتها.

سابعاً : أن المثبتين للكرامات، أو النافين لها إنما تنازع كل من الطرفين أدلة بعضها نال جانباً من القبول، وبعضها الآخر احتاج الكثير من المعالجة على ناحية من النواحي، ولكن كل يحمد على ما بذل من مجهود، والمخطيء يعذر والمصيب يؤجر، لأن كلاً منهما يدور بين الأجر والأجرين، لقوله ﷺ : "من اجتهد فأخطأ فله أجر، ومن أصاب فله أجران، أجر على اجتهاده وآخر على إصابته"(1).

---

1) الحديث روه البخارى في صحيحه / جـ٦ / ص٢٦٢٧

ثامناً : إن أنواع الكرامات تتعدد وبينها جميعاً قواسم مشتركة ألا وهو كونها خارقة للعادة، ومجيئها على يد عبد صالح، وهي في تنوعها تؤكد على استمرار وقوعها وإمكانية تكرار ذلك الوقوع فضلاً من الله عز وجل لقوله جل شأنه : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

وبعد : فإن أكن قد وفقت فيما قصدت : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [2]. وإن أكن قد سهى مني الفهم، أو نبا القلم، أو تعثرت بي الخطى، فما أنا إلا بشر يخطيء ويصيب والله عز وجل لا يكلف الناس إلا ما يطيقون ولا أملك إلا أن أردد قول الله تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[3] "وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"[4].

د / أحمد محمد علي ليلة

الزقازيق / في غرة المحرم ١٤٢٥هـ

---

١) سورة يونس / الآيات ٦٢-٦٤.

٢) سورة الحديد / آية ٢١.

٣) سورة البقرة / ٢٨٦.

٤) وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين سورة يونس / ١٠.

المصادر

أولاً : القرآن الكريم وعلومه :

١- القرآن الكريم.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / الإمام الشيخ القاضى ناصر الدين الشيرازى البيضاوى المتوفى سنة ٧٩١هـ / طبعة دار المعارف بمصر / ١٣٣٦هـ، وطبعة دار الفكر / بيروت ١٩٩٦م.

٣- البحر المحيط / العلامة / أثير الدين أبو عبد الملك محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى / دار إحياء التراث العربى / بيروت / ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٤- تفسير القرآن الحكيم / المسمى بتفسير المنار / الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا / دار المعرفة / بيروت / دار المنار بالقاهرة / ١٣٥٠هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٥- تفسير القرآن العظيم / الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى القرشى (٧٧٤هـ) مكتبة الارشاد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وطبعة دار الغد العربى ١٩٨٩ / وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١.

٦- التفسير الوسيط / د. محمد سيد طنطاوى.

٧- جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبرى / العلامة / أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤/٣١٠هـ دار الجيل / الطبعة الثالثة / طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربى بالقاهرة ١٩٩٥، وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥.

٨- الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبى / الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصارى القرطبى (ت ٦٧١هـ) دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربى ١٩٨٨م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة / الثانية ١٣٧٢هـ تحقيق أحمد عبد العليم البردونى.

٩- روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى / الإمام أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى / ١٢٧٠هـ/ دار احياء التراث العربى / بيروت / الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠- صفوة التفاسير / الشيخ محمد على الصابونى / مكتبة الغزالى / بيروت.

١١- في ظلال القرآن الكريم / الأستاذ الشيخ / سيد قطب / الطبعة السادسة / دار الشروق ١٩٧٨م.

١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ت٥٢٨) تحقيق / مصطفى حسن / مطبعة مصطفى البابى الحلبى / ١٩٦٦م، وطبعة دار المعرفة / بيروت / لبنان.

١٣- مختصر تفسير بن كثير / الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى / اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد على الصابونى / دار التراث العربى / القاهرة / ١٤٠٧هـ-١٩٧٨م، وطبعة دار الصابونى للطباعة والنشر ١٩٨٨م.

١٤- مفاتيح الغيب / التفسير الكبير للامام الفخر الرازى / العلامة الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى المعروف بفخر الدين الرازى (ت٦٠٦هـ)

المطبعـة البهيـة المصـرية الطبعـة الأولـى ١٩٩١م، وطبعـة دار احياء التراث العربى، وطبعة دار الغد العربى ١٩٩٣.

١٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى / مكتبة دار الحديث الطبعة الأولى / طبعة الشعب ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٦- المفردات في غريب القرآن / العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهانى / دار المعرفة / بيروت / لبنان / مطبعة دار التراث.

ثانياً : السنة النبوية المطهرة وعلومها :

١٧- إرشاد السارى إلى صحيح البخارى / المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٢٣هـ.

١٨- جامع البيان فيما عليه الشيخان / العلامة محمد زمى الدين هاشم / طبعة دار الصفوة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت ٤٣٠) طبعة دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٥هـ / الطبعة الرابعة.

٢٠- الجامع الصحيح / الإمام السيوطى / تحقيق إبراهيم محمد / ١٤٠٧هـ.

٢١- صحيح الإمام البخارى / الإمام محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى (ت٢٥٦هـ) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٤ / ١٩٩٨م.

٢٢- صحيح مسلم / الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت٢٦١) طبعة الحلبى.

٢٣- صحيح مسلم بشرح النووى للامام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ط أولى تعليق الأستاذ / محمد محمد تامر / دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ.

٢٤- فتح البارى بشرح صحيح البخارى / العلامة ابن حجر العسقلانى / تحقيق / محب الدين الخطيب، وقصى الدين الخطيب / طبعة دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٢٥- شرح العلامة الفشنى على الأربعين النووية / العلامة الفشنى ط الحلبى / ١٩٣٨م.

٢٦- من هدى السنة النبوية المطهرة / محمد بن على الجامى / تحقيق د. عبد الحليم محمود / دار الإيمان / ط دار الكتب الحديثة.

٢٧- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة / طبعة أولى / دار الكتب العلمية بيروت / تحقيق / عبد الله محمد الصديق / عبد الوهاب عبد اللطيف.

٢٨- فيض القدير شرح أحاديث البشير النذير / العلامة المناوى.

٢٩- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق مع الشيخان / ط الحلبى.

<u>ثالثاً : المعاجم العربية والتراجم وكتب الرجال :</u>

٣٠- أساس البلاغة / العلامة محمود بن عمر الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) / طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، وطبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٣١- الأعلام للزريكلى / خير الدين الزريكلى / الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.

٣٢- البداية والنهاية / الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى / طبعة دار الغد العربى.

٣٣- بيان للناس / مطبعة الجامع الأزهر الشريف.

٣٤- تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام / الإمام الذهبى / طبعة القاهرة.

٣٥- التعريفات / السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجانى ٧٤٠-٨١٣هـ / مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٣٦- دائرة معارف القرن العشرين / الأستاذ / محمد فريد وجدى / دار الفكر العربى / بيروت.

٣٧- دائرة المعارف الإسلامية / النسخة العربية / دار الشعب.

٣٨- طبقات الشافعية / العامة / تاج الدين السبكى / طبعة دار المعرفة بيروت.

٣٩- الطبقات الكبرى / العلامة بن سعد / ط بيروت ١٣٧٦.

٤٠- القاموس المحيط / الإمام مجد الدين بن يعقوب القيروز أبادى / طبعة الجيل بيروت / وطبعة المطبعة الحسنية المصرية ١٣٣٠ وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٤١- قطر المحيط / المعلم بطرس البستانى / ط دار لبنان ١٩٦٩م.

٤٢- قطر المحيط / لويس معلوف / ط دار الجيل بيروت.

٤٣- لسان العرب / العلامة أبو الفضل جمال الدين بن منظور ٧١١هـ تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون / الطبعة الرابعة ١٩٨٥م دار المعارف.

٤٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير / العلامة أحمد بن محمد بن على المقريزى الفيومى (ت٧٧٠) ط أولى المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ.

٤٥- المنجد في اللغة والآداب والعلوم / لويس معلوف العيسوى / المطبعة الكاثوليكية / بيروت ١٩١٣م.

٤٦- المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية / طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤١٥هـ.

٤٧- مختار الصحاح / أبو بكر الرازى.

٤٨- معجم مقاييس اللغة / بن فارس / ط دار الجيل.

٤٩- الطبقات الكبرى / الإمام الشعرانى / ط الحلبى.

٥٠- كشاف اصطلاح العلوم والفنون / العلامة التهانوى / بيروت / بدون تاريخ.

رابعاً : الرسائل الجامعية :

٥١- زكى نجيب محمود والوضعية المنطقية / رسالة ماجستير / بكلية البنات الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٦.

٥٢- الفكر المادى الحديث / د. محمود عبد الحكيم عثمان / رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٧٦م.

٥٣- فكرة الكرامة عند ابن تيمية / طاهر كوكيتش بن مصطفى / رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م اشراف أ.د / محمد ضياء الدين الكردى.

٥٤- كرامات الأولياء عند ابن عربى / أنور الدين بن عبد المطلب / رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م اشراف أ.د / محمد ضياء الدين الكردى.

خامساً : المصادر العامة :

حرف الألف

ابن القيم

٥٥- المعجزات / تحقيق على السيد توفيق / ط القاهرة ١٩٧٤م.

العلامة المناوى

٥٦- فيض القدير / شرح أحاديث البشير النذير.

العلامة / أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى

٥٧- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود / ط عالم الكتب / ميدان الحسين القاهرة ١٩٨٣م.

احسان الهى ظهير

٥٨- البابية والبهائية نقد وتحليل.

٥٩- المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامى عرض ونقد.

الأنصارى : شيخ الإسلام زكريا

٦٠- هوامش الأنصارى على الرسالة القشيرية / طبعة صبيح.

٦١- الفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذرات الإنسانية / تحقيق / بدوى علام / المطبعة العامرية ١٩٧٦م.

د. أحمد ليلة

٦٢- الفراسة بين الدين والعقل / آل بسيونى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

الأنصارى : الشيخ محمد نصر الدين بن فتح الله

٦٣- الفراسة في الإسلام / طبع المطبعة العامرية بالقاهرة ١٣٣٥هـ.

الأنصارى : الأستاذ : محمد عبد الجواد

٦٤- شبهات المنكرين للنبوات والرد عليها.

الأنصارى – الشيخ محمود نصر الدين بن توفيق

٦٥- النوبة في القرآن الكريم / طبعة دار زاهر ١٩٣٨م.

الأصفاهنى / العامة شمس الدين محمود

٦٦- مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ١٣٠٥هـ.

الآمدى / شيخ الإسلام

٦٧- غاية المرام في علم الكلام / تحقيق / حسن عبد اللطيف / مطابع الأهرام التجارية ١٩٥١م.

الأمير / العلامة محمد بن محمد

٦٨- حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد / طبعة الحلبى الأخيرة ١٣٦٨هـ-١٩٣٨م.

الأجهورى –شيخ الإسلام

٦٩- تقريرات العلامة الأجهورى / المطبعة الأزهرية ١٣٣٨هـ.

الأهل / د. عبد العزيز سيد

٧٠- بين الشريعة والحقيقة / طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

الإفريقى – العلامة محمد بن داوود

٧١- نظرات في علوم البلاغة / الطبعة الثالثة ١٩٤١م / الدار التجارية الحجازية.

الاسفرايينى – العلامة أبو المظفر

٧٢- التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية / تحقيق الشيخ الكوثرى.

الايجى / العلامة عضد الدين

٧٣- / المواقف / مكتبة المتنبى / القاهرة، ونسخة دار الطباعة العامرة بمصر مكتبة كلية جوهر، وأيضاً / مطبعة السعادة ١٣٥٢هـ.

إبراهيم – الدكتور / صلاح عبد العليم

٧٤- الإنسان في القرآن الكريم.

٧٥- العقيدة في ضوء القرآن الكريم / مكتبة كلية أصول الدين القاهرة / ط أولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

أحمد – الشيخ محمد بدوى

٧٦- النبوة والأنبياء / ط الدار الجديدة ١٩٧٨م.

أردوخان – الشيخ على حكمت الله طلعت

٧٧- الكرامات وخوارق العادات / مطبعة الأستانة بالخلافة العثمانية.

ايوب / الأستاذ حسن

٧٨- تبسيط العقائد الإسلامية / دار التراث العربى / ط١٩٨٦م.

ابن القيم / شيخ الاسلام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر أيوب الدمشقى.

٧٩- مدارج السالكين / تحقيق محمد حامد الفقى ط بيروت ١٩٧٢م.

٨٠- الروح / طبعة دار الفكر / بيروت.

٨١- اغاثة اللهفان من معايد الشيطان.

ابن الجوزى

٨٢- صفة الصفوة / ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان.

ابن خلدون / العلامة عبد الرحمن

٨٣- المقدمة وعليها بعض التعليقات والحواشى / طبعة عبد السلام شقرون القاهرة.

ابن هشام

٨٤- سيرة النبى محمد ﷺ تقديم د. عبد الحليم محمود / تحقيق أ. حسام المقبيسى / دار التراث العربى ط أولى.

ابن عجيبة الإمام أحمد بن عجيبة الحسنى

٨٥- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية / تحقيق / عبد الرحمن حسن محمود / ط عالم الكتب / ميدان الحسين بالقاهرة ١٩٨٣م.

ابن عربى – الشيخ الأكبر محى الدين

٨٦- الفتواحت المكية / دار صادر / بيروت / تحقيق د. عثمان يحى القاهرة ١٩٧٢م.

ابن تيمية / شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم

٨٧- التصوف م١٠ من مجموعة الفتاوى / علم السلوك م١١ من مجوعة الفتاوى / مفصل الاعتقاد / م٤.

٨٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / علق عليه / أبو الوفا محمد درويش ١٣٥٨هـ-١٩٧٨م دار الطباعة المحمدية.

ابن أبى العز / العلامة صدر الدين على بن على الحنفى

٨٩- شرح الصحاوية في العقيدة السلفية / تحقيق أحمد محمد شاكر ١٤٠٠هـ / مكتبة أنس بن مالك.

ابن الأثير / عز الدين محمد بن محمد الشيبانى

٩٠- الكامل في التاريخ / دار صادر / بيروت / ١٩٨٥هـ-١٩٩٥م.

ابن الجوزى

٩١- آكام المرجان في أحكام الجان.

٩٢- تلبيس ابليس / تحقيق السيد العربى / مكتبة الإيمان.

٩٣- صفة الصفوة / ط أولى / حيدر أباد / الهند / ١٣٥٥هـ.

الأستاذ : البهى الخولى

٩٤- آدم عليه السلام فلسفة تقويم الإنسان وخلافته / مكتبة وهبه ١٩٧٤.

٩٥- العلامة الشيخ / أحمد الصاوى / حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية / ط الحلبى.

الشيخ أبو الوفا عبد الحكيم رضوان

٩٦- بين اللغة والاصطلاح في الألفاظ والمفاهيم.

الشيخ / الشعراوى

٩٧- معجزة القرآن الكريم.

العقاد

٩٨- التفكير فريضة إسلامية.

حرف الباء

بدج / الأستاذ واليس

٩٩- السحر في مصر الفرعونية / ترجمة وتقديم >. عبد الهادى عبد الرحمن / يسنا للنشر / مؤسسة الانتشار العربى ط الأولى ١٩٩٨م.

الدكتور : بدر الدين عبد اللطيف

١٠٠- النباتات العلمية في القرآن.

البيجورى / شيخ الاسلام

١٠١- الإمام إبراهيم / شرح البيجورى على الجوهرة / المسمى بتحفة المريد على جوهرة التوحيد طبع المعاهد الأزهرية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٠٢- حاشية العلامة البيجورى على شرح السمرقندية ط الحلبى ١٣٣٨هـ.

البسطامى / الشيخ محمد بن أحمد بن على

١٠٣- الولى والولاية طبعة المطبعة الأميرية ١٣٣٩هـ.

البغدادى / أبو منصور عبد القاهر

١٠٤- أصول الدين / الطبعة الثالثة / ١٤٠١-١٩٧١ / بيروت.

١٠٥- الفرق بين الفرق / تحقيق / إبراهيم عثمان / طبعة الديار العثمانية.

بركات / الشيخ عبد الغنى مصطفى أحمد

١٠٦- الاتجاه العقلى عند المعتزلة ط أولى / الدار العصرية / بيروت / ١٩٧١م.

البنايوسى / العلامة محمود عبد العظيم

١٠٧- المتنبئة الكذابون من مسيلمة إلى القديانية / ط دار المعتصم ١٣٦٥هـ.

البوطى / د. محمد سعيد رمضان

١٠٨- فقه السيرة / طبعة دار الفكر / السابعة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

البيهقى

١٠٩- الاعتقاد على مذهب السلف / ط دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٨٠هـ-١٩٩١م.

باطيس / أ. خيرى الدين محمد

١١٠- إثبات كرامات الأولياء / المطبعة الخلوتية ١٣١١هـ.

بارندر أ. جفرى

١١١- المعتقدات الدينية لدى الشعوب / ترجمة د. إمام عبد الفتاح امام / سلسلة عالم المعرفة / بيروت / الكويت / عدد ٣١.

حرف التاء

التفتازانى / العلامة سعد الدين

١١٢- شرح المقاصد / النسخة الغير محققة، وأيضاً المحققة بتحقيق د. عبد الرحمن عميرة ١٤٠٩هـ-١٩٩٠م / طبعة الكليات الأزهرية.

حرف الجيم

جنس / الأستاذ / هنرى

١١٣- القدرات العقلية والفروق الفردية بين الأسوياء / ترجمة حنان مرسى / طبعة دار الفكر / بيروت / بالاشتراك مع مؤسسة فرانك لين / نيويورك / أمريكا ١٩٦٩م.

الجسر / الشيخ حسين بن محمد محمد

١١٤- الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية / ط الحلبى ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

الجوينى / إمام الحرمين

١١٥- الارشاد إلى قواطع الأدلة / تحقيق محمد يوسف موسى / مكتبة الخانجى / القاهرة ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.

جوهر / الشيخ طنطاوى

١١٦- دراسات في الروح الإنسانية.

حرف الحاء

أبو حطب / د. فؤاد

١١٧- الفروق الفردية / طبعة سعيد رأفت ١٩٨٧م.

حلمى / د. محمد مصطفى

١١٨- ابـن الفـارض والحـب الإلهـى / طبعـة دار المعـارف ١٣٧٧هـ١٩٧١.

الحاكم / الشيخ / محمود بن محمد

١١٩- الفعـل الإلهـى والفعـل الإنسـانى / طبعـة مطبعـة الهـدى ١٣١٥هـ.

حجازى / د. عوض الله جاد

١٢٠- المرشـد السـليم فـي المنطـق القـديم / دار الطباعـة المحمديـة بالقاهرة.

الحوينى / د. حسن محرم

١٢١- البابية والبهائية والقديانية في المعايير الإسلامية / دار الهدى ١٩٨٤.

حرف الخاء

أبو خليل / الشيخ محمد محمد

١٢٢- اشراقات في طريق الله / ط أولى ١٣٩٨هـ.

خليل / أ. فؤاد عبد الكريم

١٢٣- / العقيدة الإسلامية.

حرف الدال

الدباغ / الشيخ عبد الرحمن

١٢٤- مشـارق القلـوب وأسـرار الغيـوب / تحقيـق / رينـز / طبعـة صادر / بيروت ١٩٨٣م.

الدياسطى / الشيخ محمد عبد العظيم منصور

١٢٥- أولياء الله وكراماتهم / المطبعة الأميرية بمصر المحروسة.

ديب / د. السيد محمد

١٢٦- أوزان الشعر دراسة في العروض والقافية / ط أولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

الدهشان / الشيخ منصور عبد العظيم

١٢٧- شوارد المعانى والمجاز / طبعة الدار المصرية / بجوار محطة مصر ١٣١٨هـ.

١٢٨- من عاش بعد الموت / حققه / أبو معاذ أيمن بن عارف الدمشقى / مكتبة السنة ط أولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

الدينورى / الشيخ على عبد الغفار

١٢٩- المتنبئة الكذابون وخطرهم على المجتمع المسلم / المطبعة الميمنية / مراجعة الشيخ أحمد نصر أبو الوفا ١٣٢١هـ.

دووماس أ. فرانس

١٣٠- آلهة مصر القديمة / ترجمة فؤاد عبد العظيم الخرس / ط دار الجيل / بيروت ١٩٨٣.

حرف الراء

ابن رزق

١٣١- قرة العين في شرح حكم بن عطاء الله.

الرازى / الإمام فخر الدين

١٣٢- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين / تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد / طبعة الكليات الأزهرية.

١٣٣- معالم أصول الدين / طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.

١٣٤- الأربعين في أصول الدين / تحقيق د. أحمد حجازى السقا / طبعة الكليات الأزهرية ط أولى.

١٣٥- المطالب العلية / تحقيق / أ. د. أحمد حجازى السقا / ط دار الكتاب العربى / بيروت / ١٩٨٧.

١٣٦- الفراسة / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٢.

رؤوف عبيد / الأستاذ الدكتور

١٣٧- مطول الإنسان روح لا جسد / الطبعة الثالثة / جـ١ / ص٩.

رضوان / الشيخ محمد عبد العظيم

١٣٨- دراسات في العقيدة الإسلامية / ط المطبعة الأميرية ١٣١٣م.

رضا / الشيخ محمد رشيد

١٣٩- رسالة التوحيد / تأليف الإمام محمد عبده / تعليق الشيخ محمد رشيد رضا / مكتبة القاهرة / الطبعة السابعة عشرة ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

حرف الزاى

الزبيدى / العلامة الإمام

١٤٠- شرح مختصر الزبيدى / طبع المطابع الأزهرية ١٩٧٢م.

زاهر / د. رفقى

١٤١- قصة الأديان / ط أولى / مطبعة القاهرة.

حرف السين

السنوسى / الإمام الشيخ

١٤٢- شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى / شرح الشيخ إسماعيل الحامدى على الكبير ط الحلبى / أولى ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م.

السهيلى / العلامة المؤرخ

١٤٣- الروض الأنف / طبعة الحلبى.

حرف الشين

الشوكانى / الإمام الشيخ محمد بن على بن محمد

١٤٤- قطر الولى على حديث الولى / ولاية الله والطريق إليها / تحقيق د. إبراهيم هلال / ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٩م.

١٤٥- نيل الأوطار / شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار / مكتبة الدعوة الإسلامية.

شلبى / د. محمد السيد

١٤٦- منهج البحث العلمى ط الدار العصرية / بيروت ١٩٨٨م.

الشافعى / الشيخ محمد نووى

١٤٧- نور الظلام / شرح منظومة عقيدة العوام ط الحلبى ١٣٣٧هـ.

الشورى / العلامة عبد العظيم محمد بن خليل

١٤٨- / الأنبياء والمتنبئون / ط فرج الكردى / الاستانة ١٣٠٠هـ.

الشرنوبى / الشيخ محمد مسعود

١٤٩- كلمات العربية مصطلحات ومفردات / المطبعة المليجية بالقاهرة ١٣٢٣هـ.

الشهاوى / الشيخ محمد محمد

١٥٠- العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى / مطبعة القرآن.

الشهرستانى / العلامة / عبد الكريم

١٥١- نهاية الأقدام / مكتبة المثنى / بغداد / بدون تاريخ.

الشعرانى / العلامة / الشيخ عبد الوهاب

١٥٢- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية / المطبعة الأميرية ١٩٧٣م.

١٥٣- مواقع الأنوار القدسية في العهود المحمدية / طبعة القاهرة ١٩٤٣م.

حرف الصاد

الصواى / العلامة أحمد

١٥٤- حاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ط الحلبى.

الصافى / د. محيى الدين أحمد

١٥٥- محاضرات في السمعيات ط أولى ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

حرف الطاء

د. طه دسوقى حبيش

١٥٦- النبوة والتنبؤ / مطبعة رشوان بالقاهرة ١٩٩٥م.

١٥٧- البهائية وسائل وغايات / طبع مطبعة رشوان ط الأولى ١٩٩٠.

١٥٨- مسيلمة في مسجد توسان الظهور الجديد وراء المحيطات / مكتبة رشوان / عين شمس ط أولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

الطير / الشيخ مصطفى محمد الحديدى

١٥٩- أقباس من نور الحق / طبع مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

طه / الشيخ محمد عبد العظيم

١٦٠- دراسات في النبوة والأنبياء / المطبعة المصرية القديمة.

الطويل / الشيخ توفيق عبد الحميد السيد

١٦١- خوارق العادات وأصحاب الكرامات / ط دار الاستقامة ١٣٣٨هـ.

الطبرى / العلامة الشيخ

١٦٢- تاريخ الرسل والملوك / دار المعارف ط٢.

الطنطاوى / الشيخ عبد القوى محمد سليمان

١٦٣- النبوة والأنبياء / ط المطبعة القومية / بجوار محطة سكك حديد مصر ١٣١٣هـ، والطبعة الثانية / تصحيح / الشيخ / فرج الكردى / المطبعة العامرية ١٣٢٣هـ.

الطويل / د. عبد العظيم السيد

١٦٤- البابية وتعاليمها الفاسدة / ط دار الفجر الجديد ١٩٨١م.

الطرهوى / الشيخ / محمد بن على الدين

١٦٥- من فضائح المتشبهين بالصوفية / ط الدار المصرية القديمة.

الطحاوى / الشيخ / نصر الدين محمد على

١٦٦- معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء / ط المطبعة العامرية ١٣١٤هـ.

العين

الإمام / على بن عثمان الهجويرى

١٦٧- كشف المحجوب / دراسة وترجمة وتعليق د. اسعاد عبد الهادى قنديل / ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

د. على محمد عبد العظيم

١٦٨- دراسات في العقيدة / النبوات / ط٢ / ١٩٨٣م.

الشيخ / عبد الغنى مصطفى أحمد بركات

١٦٩- الاتجاه العقلى عند المعتزلة / ط أولى / الدار العصرية / بيروت ١٩٧١م.

القاضى عبد الجبار

١٧٠- شرح الأصول الخمسة.

عباس محمود العقاد

١٧١- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه / ط القاهرة ١٩٧٧.

عبد السلام / الإمام / العز

١٧٢- بين الشريعة والحقيقة.

عبد البديع / د. توفيق محمد

١٧٣- دراسات في العقيدة الإسلامية / مطبعة دار الفاروق ١٩٩٤م.

عبد العظيم / د. على محمد

١٧٤- دراسات في العقيدة / النبوات / ط٢ / ١٩٨٣م.

عبد العظيم / الشيخ محمد ولى الدين

١٧٥- أحباب الله وأوليائه / ط دار الفؤاد ١٩٤٥.

عوف / د. أحمد محمد

١٧٦- خفايا الطائفة البهائية / بيروت / بدون تاريخ.

العطار / الشيخ / عبد الخالق

١٧٧- / السحر والسحرة والمسحورون / ط أولى.

عوف / كمال أحمد

١٧٨- أولياء الله بين الموالين والجافيين / طبع مجمع البحوث الإسلامية.

العلامة / علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادى / المعروف بالخازن

١٧٩- لباب التأويل في معانى التنزيل / المطبعة الخيرية.

حرف الظاء

ظهير / أ. احسان إلهى

١٨٠- البهائية / نشرة ادارة ترجمان السنة بلاهور.

حرف الغين

الغاياتى / الشيخ / محمد الحسينى بن عبد الرحمن

١٨١- مكاشفات أسرار القلوب / تحقيق / رينز / طبعة دار صادر / بيروت.

الغزالى / الإمام شيخ الاسلام أبو حامد محمد بن محمد المولود ٤٥٠هـ والمتوفى ٥٠٥هـ.

١٨٢- الاقتصاد في الاعتقاد / طبع مطبعة صبيح / ١٩٣٨م.

١٨٣- إلجام العوام / ضمن مجموعة القصور العوالى / مكتبة الجندى.

١٨٤- إحياء علوم الدين / تحقيق / بدوى طبانة / ط صبيح / و ط الحلبى.

١٨٥- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب / ط٢ / مصطفى الحلبى ١٣١٧هـ-١٩٥٢م.

١٨٦- المواعظ في الأحاديث القدسية / دار الفكر / تنقيح / مكتب البحوث الإسلامية / مجموعة رسائل الإمام الغزالى.

الغزالى / د. محمد حسينى موسى محمد

١٨٧- الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى / طبع مطبعة آل بسيونى ٢٠٠١م / ط الأولى.

١٨٨- البابية قراءة جديدة / مطبعة آل بسيونى / غزالة / ط اولى / ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٨٩- المقدمات في التصوف / طبع مطبعة آل بسيونى / ٢٠٠٢ طبعة أولى.

الغمراوى / د. محمد أحمد

١٩٠- سنن الله الكونية / تعليق د. عبد السلام محمد الكردانى.

حرف الفاء

الفيومى / الشيخ محمد بن رمضان

١٩١- الولى والولاية / طبعة دار الراشد / دمشق ١٣٣٨هـ.

الفشنى / الشيخ / شهاب الدين أحمد بن حجازى

١٩٢- تحفة الاخوان في قراءة رجب وشعبان ورمضان / ط الحلبى الثانية ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.

الفشنى / الشيخ عبد الرحمن محمد على

١٩٣- حاشية الفشنى ط المطبعة الميمنية ١٣٣٥هـ.

الفرجانى / الشيخ محمد نصر الدين

١٩٤- التوحيد لله رب العالمين / مطبعة القدس الشريف / ١٣١١هـ.

حرف القاف

القشيرى / الإمام أبى القاسم عبد الكريم ابن هوازن

١٩٥- الرسالة القشيرية / ط٢ / مصطفى الحلبى /١٣٧٩هـ١٩٥٩م.

القرطبى / الإمام

١٩٦- الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / تحقيق / د. أحمد حجازى السقا / دار التراث بالقاهرة ١٣٩٨هـ.

حرف الكاف

الكتابى / الشيخ محمد منصور بن على

١٩٧- من سيرة الصالحين / ط المطبعة الأميرية ١٣١٨هـ.

كوك / ط سبنسر

١٩٨- الطب النفسى الحديث / ترجمة د. خيرى اسكندر / ط مؤسسة فرانك لين.

<u>**حرف الميم**</u>

الإمام / محمد أبو زهرة

١٩٩- تاريخ المذاهب الإسلامية.

الإمام مالك بن أنس

٢٠٠- الموطأ / تحقيق الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى / طبعة الشعب.

الشيخ / محمود بن محمد الحاكم

٢٠١- الفعل الإلهى والفعل الإنسانى / ط مطبعة الهدى ١٣١٥هـ / الديار العثمانية.

الأستاذ : محمد بك جلال

٢٠٢- الأمثال في الفصحى / القاهرة ١٩٢١.

محمود / الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر د. عبد الحليم

٢٠٣- المنقذ من الضلال مع مقدمة في التصوف / طبعة دار الطباعة المحمدية ١٩٧١م.

المنيلاوى / الشيخ عبد القادر أحمد عبد العظيم

٢٠٤- أولياء الله / ط أولى / دار الجيل / بيروت ١٩٧٣م.

المزارى / الشيخ إبراهيم بن محمد بن مصطفى الحلبى

٢٠٥- اللمعة / تحقيق الشيخ / محمد زاهر الكوثرى / مطبعة الأنوار ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

المنياوى / الشيخ محمد نصر الدين

٢٠٦- أيام العرب وحضارتهم ط الدار الميمنية العامرية ١٣٢٨هـ / عناية الشيخ فرج رزق الكردى.

٢٠٧- أولياء الله وخوارق العادات / طبع دار صقر ١٩٦٨م.

المنياوى / الشيخ عبد الوهاب عبد العظيم

٢٠٨- أهل الله / ط المطبعة العامرية درب الأتراك ١٣١٨هـ.

محمود / د. زكى نجيب

٢٠٩- المنطق الوضعى / ١٩٨٠م / بيروت ط أولى.

منصور / الشيخ منصور عبد السميع

٢١٠- الألوهية في الأديان السماوية ط الدار العصرية ط٢ / ١٩٧١م.

مرسى / محمد عبد العاطى السيد

٢١١- النبوة والمتنبئين / ط أولى / بيروت.

حرف النون

النكلاوى / أ. محمد على باشا

٢١٢- كرامات الأولياء وموقها من معجزات الأنبياء / مطبعة التقدم بمصر المحروسة ١٣١١هـ.

٢١٣- أمثال العرب وحكمهم ط الدار العصرية ١٣٢٨هـ عناية فرج الكردى ١٣٢٨هـ تعليق / محمد فهمى سعد الله.

النبهانى / الشيخ محمد عبد العظيم السيد

٢١٤- من هدى السنة النبوية / طبع المطبعة الأميرية بمصر المحروسة ١٣٣٨هـ.

النبهانى / الشيخ يوسف بن إسماعيل

٢١٥- جامع كرامات الأولياء / تحقيق إبراهيم عطوة عوض / مطبعة مصطفى البابى الحلبى / ط أولى ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

٢١٦- حجة الله على العالمين.

النصر / د. عبد العزيز سيف

٢١٧- نظرية السببية في الفكر الإسلامى.

نفيسة عابد

٢١٨- أصحاب الكرامات / المطبعة الفنية / ١٩٨٧م.

النووى / الشيخ محمد

٢١٩- الاتحافات الثنية بالأحاديث القدسية / تحقيق / الشيخ محمد المدنى.

النسفى / الإمام أبو المعين

٢٢٠- التمهيد لقواعد التوحيد / تحقيق : حبيب الله حسن أحمد / تقديم : د. محمد ربيع الجوهرى / دار الطباعة المحمدية / الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦م.

حرف الواو

الأستاذ : وحيد الدين خان

٢٢١- الإسلام يتحدى / ترجمة ظفر الدين خان / تقديم د. عبد الصبور شاهين / الطبعة السابعة / بيروت.

الواسطى / الشيخ محمد عبد العظيم

٢٢٢- مكاشفات الصوفية بين النقل والعقل / طبعة دار حشمت بالديار العثمانية ١٣١٣هـ.

وجدى / أستاذ / محمد فريد

٢٢٣- الإسلام في عصر العلم / ط دار التراث

فهرس الموضوعات